سلسلة أعيان من شيوخ الشاذلية بالمغرب ⑥



الإمام مولاي العربي الدرقاوي

شيخ الطريقة الدرقاوية الشاذلية
ترجمته وبعض آثاره

تأليف
الدكتور محمد بن محمد المهدي التمسماني



دار الكتب العلمية
أسسها محمد علي بيضون سنة 1971
بيروت - لبنان

سلسلة أعيان من شيوخ الشاذلية بالمغرب

تأليف الدكتور محمد بن محمد المهدي التمسماني

1-سيدي محمد المرون قدّس الله سرّه

ترجمته - مؤلفاته - حكمه - أقواله صلاته-كراماته

شعره - شروحه - رسائله

2-الإمام مولاي عبد السلام بن مشّيش

ترجمته وبعض أقواله

3-الإمام سيدي محمد بن أحمد البوزيدي

ترجمته وبعض آثاره

4-مولاي علي شُقُّور

ترجمته وبعض آثاره

5-سيدي الخَضِر الشَّجْعي

ترجمته وبعض آثاره

6-الإمام مولاي العربي الدرقاوي

شيخ الطريقة الدرقاوية الشاذلية

ترجمته وبعض آثاره





Mohamad Ali Baydoun Publications Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah

دار الكتب العلمية ®

أسسها محمد علي بيضون سنة 1971

هاتف 12 / 11 / 804810 5 961+ — ص.ب. 9424 - 11 بيروت - لبنان

فاكس 804813 5 961+ — رياض الصلح - بيروت 2290 1107

http://www.al-ilmiyah.com — info@al-ilmiyah.com

e-mail: sales@al-ilmiyah.com

سلسلة أعيان مشيوخ الشاذلية بالمغرب (6)

الإمام مولاي العربي الدرقاوي

شيخ الطريقة الدرقاوية الشاذلية
ترجمته وبعض آثاره

تأليف

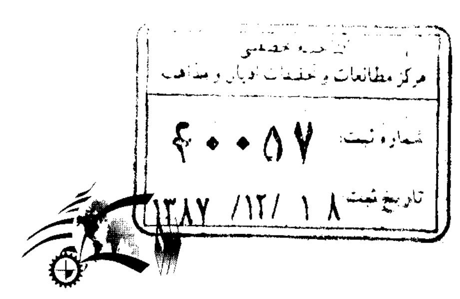
الدكتور محمد بن محمد المهدي التمسماني



دار الكتب العلمية

أسسها محمد علي بيضون سنة 1971

بيروت - لبنان



Title: The life and works of Al-ʾimām mawlāy al-ʿArabi al-Darqāwi

classification: Sufism and biographies

Author: Dr. Muḥammad ben Muḥammad al-Mahdi al-Tamsamāni

Publisher: Dar Al-Kotob Al-ilmiyah

Pages: 200

Year: 2007

Printed in: Lebanon

Edition: 1st



دار الكتب العلمية
أسسها محمد علي بيضون سنة 1971
بيروت - لبنان




الكتاب: الإمام مولاي العربي الدرقاوي
شيخ الطريقة الدرقاوية الشاذلية
ترجمته وبعض آثاره

التصنيف: تصوف وتراجم

المؤلف: الدكتور محمد بن محمد المهدي التمسماني

الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت

عدد الصفحات: 200

سنة الطباعة: 2007

بلد الطباعة: لبنان

الطبعة: الأولى

الطبعة الأولى
٢٠٠٧م - ١٤٢٨هـ



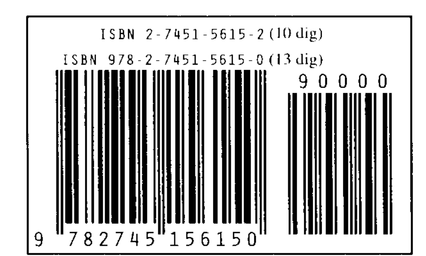
دار الكتب العلمية
أسسها محمد علي بيضون سنة 1971
بيروت - لبنان

Mohamad Ali Baydoun Publications Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah

Aramoun, al-Quebbah,
Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Bldg.
Tel : +961 5 804 810/11/12
Fax:+961 5 804813
P.o.Box:11-9424 Beirut-lebanon
Riyad al-Soloh Beirut 1107 2290

عرمون ، القبة،
مبنى دار الكتب العلمية
هاتف: ٨١٠/١١/١٢ ٨٠٤ ٥ ٩٦١+
فاكس: ٨١٣ ٨٠٤ ٥ ٩٦١+
ص.ب: ١١-٩٤٢٤ بيروت لبنان
رياض الصلح -بيروت ١١٠٧ ٢٢٩٠

http://www.al-ilmiyah.com
sales @al-ilmiyah.com
info@al-ilmiyah.com
baydoun@al-ilmiyah.com



ISBN 2-7451-5615-2 (10 dig)
ISBN 978-2-7451-5615-0 (13 dig)



المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين

قد جمع الشيخ الإمام مولانا العربي الدرقاوي نفعنا الله ببركاته، بيده المباركة، ما شاء الله من رسائله، قال رضي الله عنه: (وما ألفتُها أي جمعتُها حتى ظهر لي فضلها وسرها وخيرها ومزيتها، والله على ما نقول وكيل).

في سنة 1997 م، بتوفيق من الله، أعدت كتابة [رسائل مولاي العربي الدرقاوي] بخط واضح بيّن يُقرأ بيسر وسهولة وبدون معاناة وصعوبة، غيرةً مني على جواهر وأسرار هذه الرسائل الفذة القيمة التي نادرا ما يجود الزمان بمثلها والذي يجب أن لا يُحرَم من قراءتها أي محب لأهل الله.

قال سيدي محمد بن جعفر الكتاني في كتابه "سلوة الأنفاس" بخصوص رسائل مولاي العربي الدرقاوي: (ورسائله نفعنا الله به من أنفع الرسائل للمريد، وأدلها على كيفية السلوك والتجريد، لا يستغني عن مطالعتها سالك، ولا يجحد خيرَها وفضلَها إلا هالك)، وقال سيدي ابن القاضي: (ومن أراد كمال الفائدة فلينظر رسائله التي عزَّ نظيرها وقلَّ مثيلها، فإن فيها من الفوائد خرق العوائد، وفيها من الأسرار ما لا تكاد أن تحصيها الأفكار)، وقال سيدي محمد بوزيان الغريسي تلميذ مولاي العربي الدرقاوي: (ومن أراد أن يتحقق فوق ما قلنا في أستاذنا، وما وصفناه به على حسب فتور رأينا وقصور علمنا، فلينظر كتابه رضي الله عنه المسمى بشور الطوية في مذهب الصوفية، رضي الله عنهم، فإنه يجده كتابا جليلا، ما رأينا له والله مثيلا، قد أجاد فيه ما شاء، قد بيَّن فيه أمور الشريعة وأقوالها، وسنن الطريقة وأعمالها، وأسرار الحقيقة وأحوالها، كل ذلك في أوجز لفظ وتحرير عبارة لأنه ألفه بعد صفاء كبير ولقحه وهذبه ولم يترك فيه إلا ما تقبله عقول الناس).

زيادة في تسهيل [رسائل مولاي العربي الدرقاوي] وخدمتها وتيسيرها وتقريب مواضعها، وفقني الله إلى إعداد فهارسها، وهذه الفهارس مذكورة في كتابي هذا.

عدد الرسائل التي جمعها الشيخ مولاي العربي الدرقاوي هي مائتان واثنتان وسبعون رسالة.

أكرمني الله تعالى حيث ظفرتُ بست عشرة رسالة أخرى للشيخ مولاي العربي الدرقاوي، من بينها رسالة طويلة، وجل هذه الرسائل وجدتها في قسم المخطوطات بالخزانة العامة بالرباط في المغرب.

ظفرتُ بعد ذلك بعدة تراجم تترجم للشيخ مولاي العربي الدرقاوي (كلمة لسيدي محمد البوزيدي، ترجمة لسيدي محمد بوزيان الغريسي، ترجمة لسيدي ابن القاضي، كلمة لسيدي محمد بن مسعود الفاسي، ترجمة لمولاي الطيب بن مولاي العربي الدرقاوي، ترجمة لحفيده مولاي عبد العزيز الدرقاوي، ترجمة لسيدي محمد البشير الفاسي، ترجمة لسيدي محمد بن جعفر الكتاني، ترجمة لسيدي أحمد بن الصديق، كلمة لسيدي محمد المختار السوسي، كلمة لسيدي عبد الكبير الفاسي...).

استخرجتُ من كتب تلاميذ وتلاميذ تلاميذ مولاي العربي الدرقاوي، استخرجت بعض أقواله وهي مليئة بالمواعظ والإرشادات والتوجيهات.

ثم ذكرتُ شروحا لبعض أقوال الشيخ مولاي العربي.

استخرجتُ أيضا وصايا الشيخ مولاي العربي من رسائله وأقواله، وكذلك استخرجت حِكَم الشيخ مولاي العربي من رسائله وأقواله.

أرجو أن يهيئ الله من يشرح أقوال ووصايا وحِكَم الشيخ مولاي العربي.

وأخيرا ظفرت ببعض دعاء الشيخ مولاي العربي، وبحفيظته، وبمزجه لآية الكرسي بالصلاة على سيد الوجود صلى الله عليه وسلم وعلى آله.

قال الشيخ مولاي العربي بخصوص حفيظته: (بالله الذي لا إله إلا هو، المواظب عليها حتى تفتح له الطرق في السماوات والأرضين) وقال: (أظنها والله أعلم مشتملة على الاسم الأعظم) وقال: (جعلتها لمن أهمَّه أمر أو عزم أن يقدم على أمر مهم يتلوها فلا يرى إلا ما يسره إن شاء الله).

لا أزعم أني جمعت كل ما تركه الإمام مولاي العربي الدرقاوي شيخ الطريقة الدرقاوية الشاذلية، ولذا أرجو من كل أخ ظفر بما في غير هذا المجموع أن يخرجه إلى الوجود وذلك لتتميم الفائدة وتكميلها حتى نجمع كل ما تركه هذا الشيخ الجليل إن شاء الله، والله يجازي كل محسن خيرا.

مولاي العربي الدرقاوي شيخ النظرة، وأيضا شيخ التربية، وقد تخرَّج على يده ما يزيد على التسعين شيخا، كلهم عارفون بالله كاملون راسخون في العلم بالله واصلون.

مولاي العربي شيخُ الشيوخ، وفي حياة مولاي العربي أصبح عدد من تلاميذه شيوخا يربّون، وانتشرت الطريقة الدرقاوية الشاذلية في حياة مولاي العربي انتشارا كبيرا في المغرب وفي الجزائر وفي الحجاز، وبعد وفاة مولاي العربي زاد انتشار الطريقة الدرقاوية الشاذلية في سائر الأقطار شرقا وغربا، فانتشرتْ في المشرق في البداية على يد سيدي محمد بن حمزة ظافر المدني (تلميذ مولاي العربي الدرقاوي) وعلى يد خلفائه وعلى الأخص ولده سيدي محمد المدني وسيدي علي اليشرطي وسيدي محمد بن مسعود الفاسي.

قال سيدي محمد بن مسعود الفاسي في كتابه "الفتوحات الربانية في تفضيل الطريقة الشاذلية": (ولما توفي الشريف مولانا العربي – الدرقاوي – رضي الله عنه مات عن أتباعه من المريدين المتجردين نحو من أربعين ألف مريد، وأما الذين تعلقوا به من أهل الأسباب فعامة أهل المغرب الأقصى).

قال شيخي سيدي حمزة شقور، شيخ الطريقة الشقورية الدرقاوية الشاذلية، رضي الله عنه:

(مولاي العربي الدرقاوي أحْيى الطريقة الشاذلية وقوَّاها، ألا ترى أن عدد تلاميذ مولاي العربي الدرقاوي الذين أصبحوا أولياء أكبر من عدد تلاميذ سيدي أبي الحسن الشاذلي الذين أصبحوا أولياء. مِنْ عهد سيدي أبي الحسن الشاذلي إلى مولاي العربي الدرقاوي، لم يأت ولي مثل مولاي العربي الدرقاوي).

يكفي في مناقب الشيخ مولاي العربي الدرقاوي ما ذكره العلاَّمة الكبير سيدي محمد بن جعفر الكتاني في كتابه "سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من الصلحاء والعلماء بفاس" عند ترجمته لسيدي إبراهيم الغماري:

(ومما ذكره فيه أيضا قال حكى عن **الولي الصالح سيدي الحسن الخمسي رضي الله عنه قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم وقال لي أنت من أصحاب مولاي العربي الدرقاوي، قلت سيدي نعم، فقال عليه السلام: إن الله اختار أمتي من سائر الأمم واختار أصحاب مولاي العربي من سائر أمتي**، وحلف بالله ان هذا

لسمعته مشافهة من رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن كذب فعليه لعنة الله).

اللهم لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك، وجزى الله سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم بما هو أهله، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الدكتور محمد بن محمد المهدي التِّمْسَمَانِي.

21 يناير 2006م

الرباط، المغرب.

الباب الأول: التراجم

- ترجمة سيدي علي العمراني الجمل (شيخ مولاي العربي الدرقاوي).
- تراجم مولاي العربي الدرقاوي.
- ذرية مولاي العربي الدرقاوي.



ترجمة سيدي علي العمراني الجَمَل
(شيخ مولاي العربي الدرقاوي) رضي الله عنه

قال سيدي محمد المهدي ابن القاضي في كتابه"النور القوي في ذكر شيخنا مولانا عبد الواحد الدباغ وشيخه مولانا العربي الدرقاوي":

* (شيخ الطريقة، وإمام أهل الحقيقة، قطب الأنام، وغوث العالم، معدن الكيميا، ونجم الثريا، الكبريت الأحمر، والحجة الأشهر، صاحب العلوم اللدنية، والأحوال السنية، ذو المعارف الربانية، والمواهب الإلهية، محيي طريق الأكابر من الرجال، ومجدد ما اندرس منها من المقامات وبلِيَ من الأحوال، ينبوع الكمال، الشريف الحسني أبو الحسن سيدنا ومولانا علي العمراني الملقب بالجمل، بن مولانا عبد الرحمن، بن مولانا محمد، بن مولانا علي، بن مولانا إبراهيم، بن مولانا عمران، بن مولانا عبد الغفار، بن مولانا الحسن، بن مولانا سليمان، بن مولانا عبد الرحمن، بن مولانا علي، بن مولانا عبد الله، بن مولانا إدريس، بن مولانا إدريس، بن مولانا عبد الله الكامل، بن مولانا حسن المثنى، بن مولانا الحسن السبط، بن مولانا علي بن أبي طالب ومولاتنا فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم. كان والده رضي الله عنه مستوطنا ببني حسَّان في ناحية الجامع البيضاء[1]، ثم سكن فاس وولد له سيدي علي بها فاستقر سكناه بفاس، وبها تولى الولاية الكبرى، وتوفي بها يوم السبت تاسع وعشر ربيع الأول سنة أربع وتسعين ومائة وألف في رواية وقيل ثلاث وتسعين على ما سيأتي عند تلميذه مولانا العربي الدرقاوي، ودفن يوم الأحد في زاويته المقابلة لزاوية سيدي أبي مدين الغوث بحومة البليدة من مدينة فاس دفع الله عنها كل بأس).

* (كان رضي الله عنه من أشد الناس توكلا على الله، ومن أشدهم ثقة بالله، إذ كانت عنده أو قال كان يعرف أربعة وعشرين طريقا في الحكمة، كل طريق منها تقيم دار الملك للساعي، ومع ذلك كان يسأل القراريط بالأسواق ويده ترتعش لشدة كبر سنه رضي الله عنه، فإنه عاش ما يزيد على مائة سنة، وقد حكى لي ولده الشيخ أبو

---

(1) ثاني مسجد في الإسلام في بلاد المغرب هو الجامع البيضاء في قبيلة بني حَسَّان (ما بين مدينة الشاون ومدينة تطوان ، في شمال المغرب)، وقد بناه طارق بن زياد.

عبد الله ولي الله تعالى سيدي محمد الشريف أنه ولده وهو من مائة وثمان عشرة سنة، وقيل عاش غوثا ما يزيد على ثلاثين سنة.

وسمعت شيخنا مولانا عبد الواحد الدباغ يقول سمعت شيخنا مولانا العربي الدرقاوي يقول إن بعض أهل التصرف ممن كانت له اليد الطولى في الحكمة والإطلاع على الكنوز أتى إلى شيخنا سيدي علي الجمل وأخذ عنه وسلب له الإرادة في نفسه وخرج عن جميع تصرفاته فكان شيخنا يقول في بعض الأحيان قمْ اسأل لنا شيئا من الدراهم لنقضوا بها حاجة وإياك أن تأتينا بشيء من ذلك السحت، يعني ما يخرجه بطريق الحكمة أو من الكنوز، فكان ذلك الرجل يخرج للأسواق ويسأل مثل الفقراء ولا يلتفت إلى ما له من التصرفات، إذ المراد من السؤال هضم النفوس لا جمع الفلوس، والتذلل للخلق، ومخالفة الهوى لا ملاحظة السوى.

ومن أراد أن يعرف مقام الشيخ سيدي علي الجمل في التحقيق، وينظر علو مرتبته في الطريق، فلينظر كتابه الذي ألّفه فإنه عزيز الوجود، قلَّ من عثر على مشربه وصنفه، وفيه من الفوائد خرق العوائد، سمعت شيخنا مولانا عبد الواحد الدباغ يقول سمعت شيخنا مولانا العربي الدرقاوي يقول: لا يعرف سيدي علي إلا من كان سيدي علي، أي لا يفهم كلامه إلا من وصل مقامه، وسمعته أيضا يقول: كان شيخنا سيدي علي فقيها كبيرا عالما شهيرا في علم الضدين أعني الحقيقة والشريعة، والحرية والعبودية، والجمع والفرق، والسكر والصحو، والسلوك والجذب، والفناء والبقاء، والبدايات والنهايات، وما أشبه ذلك من علم الضدين).

* (وخرج على يديه جماعة من المشايخ كلهم عارفون بالله كاملون راسخون في العلم بالله واصلون إلا أن منهم من تصدّر للمشيخة ومنهم من لم يتصدر، كما تقدم بيانه في ترجمة الشيخ مولانا العربي الدرقاوي، فالمشهور منهم عند الطائفة وارث مقامه وحاله وجامع بضاعة أسراره وكماله شيخ المشايخ المربي وقطب الأقطاب بفضل ربي شيخ شيخنا مولانا العربي الدرقاوي رضي الله عنه وقد تقدم ذكره.....

سمعت شيخنا مولانا عبد الواحد الدباغ يقول: كان يتبع الشيخَ مولانا علي الجمل ما يزيد على ثمانية وعشرين رجلا كلهم أولياء، وسمعته أيضا يقول سمعت شيخنا مولانا العربي الدرقاوي يقول سمعت شيخنا مولانا علي الجمل يقول: نحن نسوق بالمائة وإذا خرج لنا منها رجل كامل نفرح به ونشطح، إشارة إلى قلة أرباب الصدق في الطلب، قال تعالى ﴿ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ﴾ [ص: 24] فافهم).

ترجمة سيدي علي العمراني الجمل، جمعتُها من أقواله رضي الله عنه

قال سيدي علي العمراني الجمل نفعنا الله ببركاته:

- (اعلم وفقني الله وإياكم يا إخواني لا تنكروا فضل العوام، والله ما فتح إلي الباب إلا على يد رجل عامي جاهل من عوام المسلمين فأتت له أيام كان يرافق فيها أحد العارفين، فلما اجتمعت مع ذلك العامي مصادفة من غير قصد، وكنت ذلك الوقت واقفا بلصق الباب أدق عليها ليلا ونهارا صباحا ومساء، فلما أراد الله أن يفتحها إلي اجتمعت مع ذلك العامي بقرب الباب وفي يده المفتاح، وهو لا يدري ما الباب وما المفتاح، ألهمني الله تبارك وتعالى إليه فمددت يدي لنأخذه على أني أقيسه على الباب هل تفتح أم لا، فدفعه إلي وهو زاهد فيه لا يعرف له قدرا، فأدخلت المفتاح في الباب فانفتح الباب فدخلت في الحين، فكنت أول نهاري مع العوام وآخر نهاري مع الخصوص، فلما دخلت سبَّحت وقلت [الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور]، فالمنة لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم، وأصل ذلك أني كنت أكثر زيارة الشيخ مولانا عبد السلام بن مشيش نفعنا الله به وبأمثاله، وهذا الباب الذي ذكرنا هو باب الفناء الذي ليس للداخل عنه محيد، ولا ننكر فضل المربّي الذي ربّانا بعد الدخول جزاه الله عنا خيرا، جَمَعَنا الله تبارك وتعالى به بعد الدخول).

- (اعلم أنني أول ابتداء أمري كنت أصوم السنة بعد السنة، وأقوم من الليل نحو نصفه، وكانت عندي أوراد بالليل وأوراد بالنهار، فأوراد الليل كنت أصلي ركعات بالقرآن حزبا في كل تسليمة، وأوراد النهار كانت عندي عشرين ألفا من الذكر كل صباح ملقوطة من الأسماء وغيرها كنت أتمها قريبا من الزوال، وكنت إذا أتممت أورادي لا يفتر لساني عن الذكر ليلا ولا نهارا، وكنت أوثر العزلة على الخلق، ولا أقدر على كثرة الكلام معهم، وبقيت مدة من ثلاث سنين وأنا على تلك الحال، فأول ما فتح لي الباب وأنا جُنب بالحمام: ظلمة الجنابة وظلمة الحمام، فما شعرت بنفسي حتى أشرقت أنوار باطني على ظلمة ظاهري، هذه أول فجأة فجأت الحق حقا، وتجلى البر الساقي وقال لي أنا سيدك هل عرفتني، قلت نعم يا مولاي وكيف لا أعرفك يا مولاي وأنا بك قد عرفتك، فحياني وأدناني وسقاني وهنأني

وقال لي افرحْ وأبشرْ أنت من أحبابي وأصفيائي وأوليائي وندمائي في قرب حضرتي ﴿ فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي ﴿٢٩﴾ وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي ﴿٣٠﴾ ﴾ [الفجر: 29 - 30]. فهذه أول ثمرة جنيتها من باطني، كأني غرست جنانا وهذا أول طعمه، فلما وقع لي هذا الأمر وأنا في هاتين الظلمتين ظلمة الجنابة وظلمة الحمام ألهمني الله تبارك وتعالى فعلمت أن عمارة الباطن لا تكون إلا بتخريب الظاهر، لأن الإنسان ليس له إلا مادة واحدة، ما تقوتْ من جهة الظاهر إلا ضعفت من جهة الباطن، ولا تقوت من جهة الباطن إلا ضعفت من جهة الظاهر، والعارف هو الذي ملكه الله تعالى نفسه ورزقه أي العلم بالحكمة الأزلية حتى صارت الحكمة طوع يديه: تقوية الظاهر بيديه وتقوية الباطن بيديه، فصار عندي من ذلك اليوم باطني يتقوى وظاهري يضعف حتى علمني الله تبارك وتعالى ما لا كنت أعلم من علم الظاهر وعلم الباطن، فصرت أجني من ثمار الظاهر كما أجني من ثمار الباطن علما وعملا، والحمد لله على فضله وجوده وإحسانه القديم).

- (اعلم أنك إذا أردت ورود الحسيات عليك أكثرْ من المعاني، وإذا أردت ورود المعاني عليك أكثرْ من الحسيات، جرت عادة الله تعالى يُخرج الأشياء من أضدادها ﴿ يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ ﴾ [يونس: 31]. ما كان سبب دخولي إلى المعاني في ابتداء أمري إلا أني أكثرت من أفعال الحس ودمت عليها أكثر من ثلاث سنين فما شعرت إلا والمعاني أقبلتْ علي وأحاطت بي من كل جانب حتى استغرقت فيها، فما زلت كذلك إلى الآن فوجدت نفسي في بحر لا ساحل له لا يعلم حده إلا الله سبحانه الحكيم العليم).

- (اعلم أنه مما منَّ الله به علي في أول ابتدائي أن تفضل علي بالذكر، ثم استخرج لي من الذكر الحضور، ثم استخرج لي من الحضور العلم أي علم الإلهام، ثم استخرج لي من العلم الغيبة عما سوى الله، ثم استخرج لي من الغيبة عما سواه المعرفة بالله، ولا علينا إلا فضل سادتنا الذين أيّدنا الله بهم ورافقونا في هذه الأحوال كلها، جزاهم الله عنا خيرا، أرشدونا ونصرونا وأدّبونا وهذبونا، ما علينا إلا فضلهم، جعلنا الله من السالكين على منهجهم القويم، وأماتنا على محبتهم آمين بفضله وإحسانه).

- (ومما وقع لي يوما مع الشيخ سيدي العربي[أي شيخه سيدي العربي بن عبد الله] نفعنا الله به أنه جاءني يوما إلى القرويين وهو يريد صلاة العصر، ووقف يصلي العصر مع سارية من سواري المسجد، فجلست أنا قريبا منه، فلما فرغ من

صلاته قمت إليه وجلست بين يديه، فكان أول ما تكلم لي به قال لي يا ولدي هذا الأمر الذي أراك تطلب لا يُنال إلا بما أراك تفر منه وهو الذل، أحببت أم كرهتَ، لا سبيل له سوى هذا، لا سبيل له سوى هذا، لا سبيل له سوى هذا).

- (ومما قال لي الشيخ رضي الله عنه لما رآني أخذت في التجريد قال لي: حالتك هذه يا ولدي اجتمعت فيها حالتان: الظهور والخفاء، وقال لي: ما أخبرتك بهذا الأمر إلا لننتفع بأخبار حالك هذا إن شاء الله).

- (اعلم أنه لما أدخلني الشيخ نفعنا الله به بلاد الأفعال، أول ما أمرني به التجريد من الثياب، ثم بعد ذلك أمرني بالسعاية في الأسواق، ثم بعد ذلك أمرني أن أنفق من ذلك ليلتي بالمعروف وأتصدق بما يبقى ولا أدخر لغد ولا أبيت ومعي درهم أملكه على وجه الأرض، فلما حصلت على هذه الثلاثة منازل واستقررت فيهن، ما بقي لي بعدهن إلا والنتائج قد أشرقت ظاهرا وباطنا حسا ومعنى، المنة لله ولسادتنا الرجال شرَّفنا الله بذكرهم آمين).

- (اشتكيت على الشيخ فقلت له يا سيدي رأيت نفسي ضعيفا من جهة القول قويا من جهة الفعل وخفت أن يتعذر أمري من أجل ذلك. قال لي: احمد الله على ذلك واعرف منته عليك فيك، ولو جعل الله القوة التي جعل فيك في الفعل في القول لأهلكك العامة لأنك إن سلمت من أهل الرياسة لا تسلم من علماء الشرائع).

- (ومما قال لي الشيخ سيدي العربي نفعنا الله به قال: يا ولدي بنفس ما أسمع صوتك تنادي عليّ من باب الدار يا العربي مثلت نفسي في تلك الساعة كامرأة سمعت صوت ولدها صاح في المهد، بنفس ما سمعتْ صوته يوجد الحليب في ثديها لترضعه مع كونها قبل استماع صوته لا حليب كان في ثديها ولكن بسبب استماع صوت ولدها يُوجد الله الحليب في ثديها ما ترضعه، كذلك أنا بنفس ما أسمع صوتك نجد ما أرضعك به من العلم بالله).

- (منذ عرفت الشيخ رحمه الله ما فرحت قط مثل ثلاث فرحات. أولها، جاء رجل إلى الشيخ فلم يجده فجلس يرجوه حتى جاء الشيخ نفعنا الله به فسلّم عليه وجلس بين يديه وجعل يتحدث مع الشيخ والشيخ يحدثه وأنا جالس معهما فقال له الرجل يا سيدي كنا نأتوا إليك ولا نجدوك فقال رحمه الله: إن أتيتَ إليّ ولم تجدني هذا يقضي لك كل ما نقضيه أنا لك، وأشار إلي بيده رحمه الله. ويوما آخر كنت

جالسا ولا معنا أحد، وكان الشيخ رحمه الله في تلك الساعة اعتراه حال عظيم فعطف عليّ، مثل الرجل إذا عطف على ولده، ورفع عمامته من فوق رأسه وقال لي هاتِ رأسك، فمددت رأسي وجعلها لي على رأسي كما كانت على رأسه. ويوما آخر كنت جالسا معه صباحا في الزاوية قبل أن يأتوا أصحابنا الذين كانوا يجلسون معنا كل يوم مع الشيخ، والشيخ رحمه الله يتحدث معي حتى قال لي يا ولدي لو ما كنا نأتي كل يوم إليك بقصدك هذا الموضع لم نأت لأحد من هؤلاء الناس- يعني الذين يجلسون معنا- جلوسي ها هنا كله لأجلك. هذه الثلاثة مرات ما فرحتُ قط مثلها لاعتناء الشيخ بي، ونفسي كانت عندي أحقر من ذلك، فعلمت أن الله تعالى قد تفضل علي بخاطر الشيخ أو ما ملكت ملك الأكاسرة ما فرحت به مثل ذلك).

- (ومما وقع لي مع الشيخ، شرفنا الله بذكره، ذات يوم جئت إليه صباحا كما كانت عادتي معه، فصادفته نفعنا الله به خارجا من باب الدار، فلما رآني تبسم ضاحكا، فسلمت عليه وقبلت طرفه، وسار قاصدا الزاوية وأنا من وراء ظهره حتى دخلنا الزاوية فجلس وجلست بين يديه، فكان أول ما تكلم به أن قال لي هل عرفت لمَ ضحكت حين أقبلت على باب الدار؟ قلت لا يا سيدي، قال: أردت أن أتكلم لك بكلام لا تظن أني أقوله لك. قلت: وما ذاك يا سيدي، كل ما يخرج من عندك حسن. قال لي: هذا المجيء الذي تجيء إلينا لا تجئ. قلت: وكيف يا سيدي؟ قال لي: الفائدة التي كنت تجيء إلينا تطلبها ظفرت بها أنت والحمد لله، ما عندنا عندك، وما عندك عندنا، ولماذا تبقى تمشي وتجيء إلينا صباحا ومساء. فلما سمعت هذا الكلام نزل بي أمر عظيم لا أقدر على وصفه، واشتد بي البكاء وأنا أخفيه حتى غلبني وما قدرت على كتمه فجعلت أشهق وأبكي حتى عاينت الهلاك من نفسي، وهو نفعنا الله به يصبّرني ويقول لي: والله يا ولدي ما قلت لك هذا الكلام حتى عاينته منك وعرفت أنك لا تحتاج إلي، وقلت له: يا سيدي والله لا أقدر أن أغيب عنك حيّا ولا ميتا، فقال لي: أما أنا فقد ذكرت ما هو عليّ حق أن أذكره إليك وإذا أردت أن تأتي إلينا من باب المحبة فافعل، فقلت له: يا سيدي كيف بكلام سيدي أبي مدين حين قال (وإنْ غبتم عنا ولو نفَسا مُتْنا)، قال لي: قالها على العروة الوثقى والدرة البيضاء، قال لي: افعلْ ما شئت).

- (اعلم أنني كنت أخرج من منزلي أريد الزاوية فتشرق على قلبي أنوارها وأنا في منزلي، وكنت أيضا أخرج من منزلي وأنا أريد حاجة من أمور الدنيا فتشرق

على قلبي ظلمة أعرفها من نفسي فأسير مستغرقا فيها حتى أصل تلك الحاجة. كأن الأمر موكول بالاهتمام، ولا يُفهم هذا إلا بصفاء مرآة القلب).

- (اعلم أني ما اشتغلت باسمي إلا حُجبت عن ذاتي، ولا اشتغلت بذاتي إلا حجبت عن اسمي، لأن اسمي من جملة صفاتي، ولا يحجبني عن صفاتي إلا ذاتي، ولا يحجبني عن ذاتي إلا صفاتي، وشريعتي تحجبني عن حقيقتي، وحقيقتي تحجبني عن شريعتي، ولا تقوم شريعتي إلا بحقيقتي، كما لا تقوم حقيقتي إلا بشريعتي، واجتماعي يحجبني عن فرقتي، وفرقتي تحجبني عن اجتماعي، ولا يقوم اجتماعي إلا بفرقتي، كما لا تقوم فرقتي إلا باجتماعي، وحسّي يحجبني عن معناي، ومعناي يحجبني عن حسي، ولا يقوم حسي إلا بمعناي، ولا تقوم معناي إلا بحسي، وفقدي يحجبني عن وجدي، ووجدي يحجبني عن فقدي، ولا يقوم فقدي إلا بوجدي، كما لا يقوم وجدي إلا بفقدي، وقربي يحجبني عن بعدي، وبعدي يحجبني عن قربي، ولا يقوم قربي إلا ببعدي، كما لا يقوم بعدي إلا بقربي، وفقري يحجبني عن غنائي، وغنائي يحجبني عن فقري، ولا يقوم فقري إلا بغنائي، كما لا يقوم غنائي إلا بفقري، فافهم وتأمل واعرف، وهذه بعض أوصافي).

- (اعلم سيدي أن مما تفضل به علي مولاي جل ثناؤه أن جعلني أعذر نفسي، وأعذر من يعذرني، وأعذر من لم يعذرني لماذا لم يعذرني، وأذكر نعمته عليّ أيضا أن جعلني أتطور بجميع الأطوار لأقضي سائر الأوطار: تارة أكون وليّا وتارة أكون أميا، وتارة أكون ملِكا وتارة أكون مملوكا، وتارة أكون حرا وتارة أكون عبدا، وتارة أكون رجلا وتارة أكون امرأة، وتارة أكون كهلا وتارة أكون صبيا............... هذه بعض أوصاف صفاتي).

- (اعلم ومما منَّ الله عليّ أن أدخلني جنتيْن: جنة حقيقتي وجنة شريعتي، إذا كنت في جنة حقيقتي أجد العرش العظيم وما حوى كله في قبضتي، والكون العلوي والسفلي أتصرف فيهما بحكمتي ومشيئتي، وإذا كنت في جنة شريعتي أتنعّم في عشقي وشوقي وخضوعي وذلي في عبوديتي، وأتبختر في اضطراري وعجزي وضعفي وتملقي على أبواب أحبتي، وكمال المنّة عليّ أن لا أرجح شريعتي على حقيقتي ولا حقيقتي على شريعتي).

- (اعلم ومما تفضل عليّ مولاي، منة منه، أن جعل لي عالمين: عالم الحس وعالم المعنى، وجعلني فيهما كالعريس معشوقا لهما، مشتاقان إلي، مَن ظفر بي منهما دون الآخر يفتخر ويُباهي الآخر، وهما عند أمري ونهيي، إذا التفتُّ إلى عالم الحس بادر لامتثال أمري وأمدَّني بكل ما أردت واشتهيت من غير عطلة، وإذا التفتت إلى عالم المعنى كذلك يبادر لامتثال أمري ونهيي ويمدني بما أردت من غير تعطيل، حتى غدتْ عندي مادة الغيب كمادة الحاضر، ومادة الحاضر كمادة الغيب، وأنا بينهما متخير، أنا أمير وهما جنودي، وذلك من فضل الله تعالى وجوده، لا خير إلا خيره، ولا فضل إلا فضله، لا رب غيره، ولا معبود بالحق سواه).

- (والله لو طلبوني أهل السماوات السبع وأهل الأرضين السبع، في ساعة واحدة، لقضى الله تبارك وتعالى حوائجهم في تلك الساعة جميعا).

- (اعلم أنه كان شيخ شيوخنا سيدي أحمد اليماني، نفعنا الله به، من أهل التجريد ظاهرا وباطنا، أما الباطن فلا إشكال، وأما ظاهرا فكانت حقيقته في يده. وشيخنا سيدي العربي، نفعنا الله به، كان من أهل التجريد ظاهرا وباطنا، أما باطنا فلا إشكال، وأما ظاهرا فكانت حقيقته في لسانه. وأنا عبدُ الله منَّ الله عليّ من بركة معرفة هؤلاء الرجال، سادتنا أهل المخفية شرَّفنا الله بذكرهم، ولكن سيدي منهم وسندي وأستاذي هو سيدي العربي ابن العارف بالله سيدي أحمد بن عبد الله نفعنا الله بالجميع أخذت عنه التجريد ظاهرا وباطنا، أما باطنا فلا إشكال، وأما ظاهرا ففي أربعة جوارح: في لساني وفي رأسي وفي رجلي وفي ظهري، هذه أربعة حقائق.....والتجريد باطنه علم وظاهره عمل).

- (**اعلم أن مما خصني به مولانا من فضله وجوده وإحسانه أن جعلني ما ذكرت النبي صلى الله عليه وسلم بفكر أو بذكر إلا وجدته معي وأنا بين يديه جهرة حسا لا معنى، يحدثني صلى الله عليه وسلم بعلوم المغيبات وآخذ عنه علوم الظاهر والباطن، وأصحابه الكرام جالسون معي بين يديه صلى الله عليه وسلم رضي الله عنهم أجمعين.** هذا مما تفضل علي به الكريم جل ثناؤه وتقدّست صفاته وأسماؤه، والحمد لله على ذلك، **فصرتُ آخذ العلم والعمل من عين العلم والعمل، والجودَ والكرم من عين الجود والكرم، والصدقَ والتصديق من عين الصدق والتصديق، والحق والتحقيق من عين الحق والتحقيق**، فبِه أرقص، وبه أغني، وبه فناء فنائي، فهو ذكري وشهودي وفكري، وهو شرابي ومدامي وخمري).

- (اعلم يا أخي أن أصحابي يأتون على أنواع، بعضهم اشتدت عليه البرودة يأتي إلي يطلبني السخونة، وبعضهم اشتدت عليه السخونة يأتيني يطلبني في البرودة، وكل منهم لا يخرج من عندنا إلا مملوء بما طلب، على أحسن هيأة).

- (اعلم علّمك الله أنه بينما أنا في مشاهدة الحق إذ سرقتني نفسي واشتاقت إلى الجنة، فأمر الجليل جل جلاله رضوانَ خازن الجنة أن يفتح لي الباب ويدخلني إياها لنأكل من أثمارها ونشرب من أنهارها وننكح أبكارها ونشاهد ما أعدّ الله لعباده المخلصين، ففعل وفتح لي باب الجنة فدخلت فرأيت فيها ما يعجز الواصفون عن وصفه " ما لا عينٌ رأتْ ولا أذن سمعتْ ولا خطر على قلب بشر"، ومن جملة ما رأيت أني بعدما دخلت الأبواب واستشرفت على قصور الجنة وأشجارها وأنهارها، والحور العين تستشرف من القصور كأنهن اللؤلؤ والمرجان، وإذا أنا بشجرة في باب القصر الذي قابلني طالعة على ساق واحد حتى استوتْ وتفرَّعت أفراعا وأغصانا وأوراقا وأثمارا، ما رأيت مثل حسنها وزينتها واختلاف ألوانها وأثمارها، ورقة لا تشبه ورقة، وثمرة لا تشبه الأخرى، طولها خمسمائة عام، وعرضها كذلك، ومكتوب على ساقها وعلى كل فرع وعلى كل ورقة وعلى كل ثمرة: مكتوب لا إله إلا الله محمد رسول الله، وكل خط مكتوب بقلم لا يشبه الآخر، وكل غصن وكل ورقة وكل ثمرة لها صوت يغني بألحان لا يشبه الآخر. ليس صوت الأغصان كصوت الأوراق، ولا صوت الأوراق كصوت الأثمار، وكل صوت وورقة وثمرة لا تشبه أختها، فأكلتُ من أثمارها وشربتُ من مائها، فإذا أخذتُ ثمرة نبتتْ أخرى مكانها، وكل ثمرة لا يشبه طعمها طعم الأخرى ولا لذتها ولا نغمتها، فسألت عند ذلك رضوان وقلت له: يا أخي لمن هذه القصور وهذه الأنهار وهذه الأشجار؟ قال لي: هذا بعض ما أعدّ الله لرجل من أهل لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه. فلما رأيت نفسي قد ركنت لذلك، تركت الجنة ونعيمها وزخرفها، ورجعت إلى العلم الأسنى، فلما رجعت إلى مشاهدتي كما كنت أولا، نسيت الجنة كأني وددت لم أدخل الجنة ولم أنحط إليها، لما وجدت من لذيذ المشاهدة، صرت كأني كنت مسجونا واسترحت بمشاهدة مولاي، فجعلت أستغفر من ذلك، فغفر لي مولاي وأقبل عليّ وقرّبني إلى حضرته، وخاطبني خطاب الحبيب لأحبابه).

- (اعلم أني وقعت مني هفوة وعصيت مولاي أي غفلت عنه، فأخرجني ربي

من جنة المشاهدة والعيان وأدخلني في جنة النعيم والرضوان أي سَجنني فيها، فلما دخلتها واستشرفت على قصورها وأنهارها وأشجارها وسمعت أصوات ألحان الغصون فذكّرني أصواتهم في حضرة مولاي، فتبتُ واستغفرت ورغبت إلى الباب فوجدته غفارا لمن تاب، فأقبل علي بوجهه الكريم وسقاني من خمرة الكريم، في حضرة رضاه وقربه أدناني وسقاني وقرّبني واجتباني).

نسب مولاي العربي الدرقاوي

مولاي العربي، بن أحمد، بن الحسين، بن علي، بن محمد، بن يوسف، بن أحمد، بن الحسن، بن علي، بن محمد، بن علي، بن الحسين، بن أحمد، بن الحسين، بن سعيد، بن إسماعيل، بن عبد الله، بن محمد بن يوسف الملقب بأبي درقة وبهذا اللقب يُعرَف الشيخ مولاي العربي، ابن جنون، بن عمر، بن عبد الرحمن، بن سليمان، بن الحسن، بن عمر، بن محمد، بن محمد، بن أحمد، بن جنون، بن أحمد، بن مولاي إدريس الأزهر، بن مولاي إدريس الأكبر، بن سيدي عبد الله الكامل، بن سيدي الحسن المثنى، بن سيدنا الحسن السبط، بن سيدنا علي بن أبي طالب وسيدتنا فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم.

العائلة الدرقاوية

▪ قال سيدي عبد الحفيظ الفاسي في كتابه " معجم الشيوخ":

(بيت السادات الدرقاويين بالمغرب، من أشهر البيوتات العريقة في السيادة والحسب والمجادة، ذكرهم شائع في الأقطار، ومجدهم ذائع في كافة الأمصار، وللناس فيهم اعتقاد وإجلال واحترام، وذلك لما جبلوا عليه من الأخلاق الفاضلة، والشيم الكاملة، وتحليهم بالتواضع والعفاف، والكرم والإنصاف، وصفاء العقيدة وحسن السيرة، والتباعد عن الريب وصفاء السريرة. وجَدّهم الذي إليه ينتسبون هو الشيخ أبو درقة محمد بن يوسف دفين وادي قبال حيث منازل قبيلة بني ياكرين من أولاد بني زرك، وكانت ديارهم الأولى قرب أسفي ومنها انتقلوا إلى قبيلة شراكة قرب فاس، فنزلوا عيون زناتة منها، ثم انتقلوا إلى قبيلة بني زروال وما زالوا بها إلى الآن. أما أساس مجدهم وركن فخارهم فهو الشيخ الكبير، العلم الشهير، أبو حامد العَرْبي صاحب الطريقة الدرقاوية الذي طار صيته في مشارق الأرض ومغاربها، وانحشر الناس للأخذ عنه من كل الجهات، ورفع علمه في عصره، على سائر مشايخ عصره، لما جمع من الأوصاف والمزايا التي أهلته لذلك، ومناقبه شهيرة،

وقد ظهر بعده ولده الشيخ أبو عبد الله محمد الطيب فكان ناهجا منهجه من الاستقامة والتبري من الدعوى مع إقبال الخلق وبعد الصيت ورفعة القدر، جدَّد الله عليهما الرحمات).

■ قال سيدي محمد البشير الفاسي الفهري في كتابه " قبيلة بني زروال":

* (الأسرة الدرقاوية الشريفة، من الأسر العريقة في المجد، والمذكورة من قديم بلسان الثناء والحمد، تعدد فيها العلماء والعُباد والأتقياء، ونسبها واضح، وفضلها شهير ولائح، وغلب عليها لفظ الدرقاوي نسبة إلى أحد أجدادها أبي درقة، وكان الشيخ العربي الدرقاوي دفين بُوبْرِيحْ أصل مجدها، ونجم سعدها، حصلت له شهرة عظيمة، واجتمع عليه أتباع ومريدون من كافة نواحي المغرب، وأحيى رسوم الطريقة بعد أن كان ضعف أمرها، فهو أساس مجد ذا البيت الدرقاوي وركن فخاره. وكان لهذا البيت وجاهة وحظوة لدى ملوك دولتنا الشريفة العلوية أطال الله ملكها وخلد أمرها، فقد وقفت بزاوية أمجوط على ظهير للسلطان الأعظم مولاي إسماعيل العلوي في التنويه بهم والاعتناء بشأنهم، وها أنا أنقل نصه تتميما للفائدة.....).

* (والسادات الدرقاويون فرقُهم متعددة: منهم فرقة بسوس الأقصى بقبيلة جزولة وهنا زاوية أحد أسلافهم سيدي أحمد فصال، وفرقة بقبيلة عَبْدة بقرب ثغر أسفي ويُعرفون بشرفاء القليعة ولهم زاوية عظيمة هناك بها ضريح الولي الشهير أبي محمد صالح تلميذ الشيخ أبي مدين الغوث، وفرقة بمدينة فاس وسكناهم قديما بحومة العيون، والفرقة الساكنة بقبيلة بني زروال).

■ قال سيدي محمد بوزيان في كتابه "الطبقات":

* (وقد رأيت أيضا من ظواهر الملوك التي بأيدي أستاذنا صاحب الترجمة- مولاي العربي الدرقاوي- دولة بعد دولة، كدولة بني مرين ودولة الشرفاء السعديين ودولة الشرفاء العلويين وغيرهم مما لا نعرف شكله، ما يزيدك فيهم غبطة وسرورا، ومحبة ونشاطا وحبورا، مِنْ تعظيمهم وتوقيرهم وإجلالهم، واحترامهم وتعزيرهم وتبجيلهم، ومحاشاتهم عما ينوب العامة من الوظائف والتكاليف، وهدايا الملوك لهم وإتحافهم إياهم ومحبتهم فيهم والتماس صالح دعائهم، إذ هم رضي الله عنهم شجرة طيبة تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها، ولي بعد ولي، وصالح بعد صالح، وفقيه

بعد فقيه. سمعت شيخنا يقول مرارا مكث جده من أمه مولاي محمد اثنا عشر سنة في بيت مقعد كل ليلة يختم سلكة من القرآن وكذا ألف من الأذكار ونهاره كله كتابة وتصحيحا لألواح الطلبة يبعثون له ذلك لبيته، وكثيرهم بله في دنياهم، فقهاء في دينهم، والحاصل أن شمائلهم لا تحصى، لأن بركة السلف تعود على الخلف).

* (وهم [1] في كل أرض لا يختلف اثنان في شرفهم، ولا يتمارى رجلان في نسبهم، لشهرتهم لدى الخصوص والعموم، قديما وحديثا، وذكرهم في جل القوانين والرسوم ذكرا حثيثا، ذكرهم الإمام الحافظ جلال الدين السيوطي والإمام ابن جُزَي والإمام ابن فرحون والإمام ابن خلدون وغيرهم، لأن جدهم أبا عبد الله سيدي محمد بن يوسف الملقب بأبي درقة شهير الذكر، عظيم الأمر والخطر، ولم نستحضر من جميع ما رأيت وسمعت إلا كونه كان عالما عاملا زاهدا مجاهدا كثير القيام والصيام والصدقة يختم القرآن كل يوم وكل ليلة ويتصدق كل يوم بعدد كثير من الدنانير والدراهم وإطعام الطعام، وكان فارسا وشجاعا وذا سيف قاطع في سبيل الله، وقد كانت له درقة عظيمة يتوقى بها السهام في الحرب فصارت عليه لقبا، وضريحه مشهور مقصود للزيارة كثير الانتفاع به معظم محترم عليه قبة متقنة بتامسنة قبيلة الشاوية بوادي قيبان قريب من وادي أم الربيع).

■ قال سيدي أحمد الشباني الإدريسي في كتابه "مصابيح البشرية في أبناء خير البرية":

(ينتسب الشرفاء الدرقاويون إلى جدهم أبي عبد الله سيدي محمد المكنى بأبي درقة.

كان أبو عبد الله سيدي محمد أبو درقة، يستوطن بلدة زواوة بالجزائر، على عهد السلطان يعقوب المنصور الموحدي، الذي استصحبه معه سيدي أبا درقة تبركا به، للجهاد بجزيرة الأندلس، ولما عاد صحبة السلطان، توفي أبو درقة بمدينة مراكش التي كانت العاصمة آنذاك للملوك الموحدين. ثم نقل قبره إلى تامسنا، ودفن بها، وقبره بها شهير، وخلف رحمه الله أربعة من الذكور وهم سيدي محمد وسيدي أحمد وسيدي عبد الله وسيدي يحيى، وكلهم عقبوا إلا سيدي يحيى فلم يعقب).

(1) أي الشرفاء الدرقاويون.

ترجمة شيخ الشيوخ مولاي العربي الدرقاوي

قال سيدي محمد البوزيدي في كتابه "الآداب المرضية لسالك طريق الصوفية":

(ولما لقيتُ شيخَنا الإمام الهمام، العارف بالملِك العلام، سيدنا ومولانا العربي بن مولانا أحمد الشريف المنيف الدرقاوي الحسني رضي الله عنه ونفعنا ببركاته آمين بحضرة فاس حرسها الله من كل باس عام ستة وتسعين ومائة وألف، وقد أخبرني بفضل الله قبل قدومي عليه رضي الله عنه، والسبب في ذلك أنه كان هناك مع إخوان له في شيخه فانحرفوا عنه بعد موت الشيخ وادعى كل واحد منهم بالدعاوي الكثيرة، ومن جملة الدعاوي أن جعلوا الشيوخ منهم على وفق نفوسهم، وكان شيخنا رضي الله عنه ينصحهم ويذكرهم ويجلس لهم مع الباب الذي ينزلون فيها البْلاغي [1]، وكانوا لطف الله بنا وبهم لا يقبلون منه المشيخة، إلا أن كلامه كانوا يقرونه كثيرا لأن الحق لا يرده أحد، ولكن لما غلب الحسد على قلوبهم كانوا لا يسمعون منه شيئا بقلوبهم، ولو سمعوا بالقلوب لانقادوا إلى حضرة علام الغيوب قال تعالى ﴿ ۞ إِنَّمَا يَسۡتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسۡمَعُونَ ﴾ [الأنعام: 36]، فلما أيس من هدايتهم خرج يوما بنية أن لا يعود أبدا إليهم، فبينما هو مار في بعض أزقة المدينة المذكورة وهو يقول في نفسه هذا المريض الذي بين يدي عالجته بكل العلاج إن كان للموت يموت وإن كان للحياة يحيى وقد تعذر من يصحبني في هذا الفن يارب، قال رضي الله عنه: فإذا بالنداء من قِبَل الله تعالى يقول سيأتونك أهل هذا الطريق من البحار ويخلقون لك من الحجار، فما بقي بعد هذا إلا أيام قلائل وأنا عبد الله قدمتُ عليه بإذن ولي من أولياء الله تعالى وذلك بعد أن تعلق قلبي بملاقاة القطب الكبير وكنت أطلبه في كل سجدة إلا نادرا وكنت والحمد لله مشتغلا بذكر الله والصلاة والسلام على مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم تاليا لكتاب الله عز وجل معتزلا بنفسي في الخلا مصليا قائما وصائما وكان ذلك الولي يحبني غاية المحبة وكنت لا أرضاه شيخا فلما رآني تعلقت همتي بغيره وأردت المسير إلى مكة لكون الناس يقولون القطب الكبير هو بها أبدا فلما علم مني هذا الولي ذلك قال: يا أخي هو بفاس عليك به وهو فلان الفلاني، فقصدته في الحين مسرعا،

---

(1) البْلاَغِي: أي الأحذية التقليدية المغربية.

فوصلت لفاس وسألت عنه فلم نجد له خبرا، فلم أزل أفتش وأسأل عنه حتى وصلت إلى باب داره ونقرت الباب وخرج إليَّ رضي الله عنه مسرعا فقبلت يده الكريمة وطرفه الشريف، فقال لي: من أين جئت؟ قلت له: يا سيدي من البحر، فقال من أين من البحر؟ فقلت: من أَشَقَّر [1]، فقال ما تريد: عندنا فقلت أردت أن أكون ببركاتك من ملوك الآخرة، فقال: أعطيناك سلطنة الدنيا والآخرة، فدخل مسرعا للدار وقال لي ادخل فإن مثلك لا يترك خارج الدار، فأدخلني ورحب بي وأجلسني على سجادته التي كان يقعد عليها في خلوته فأطعمني وسقاني وجعل يحدثني ويوصيني، فمن جملة ما أوصاني به رضي الله عنه أن قال لي: يا ولدي احذر من صحبة ثلاثة أصناف من الناس المتصوفة الجاهلين والقُرَّاء المداهنين والجبابرة الغافلين، فما صحبتُ أحدا من هذه الثلاث إلى الآن والحمد لله رب العالمين، وكان رضي الله عنه في ذلك الوقت عليه مرقعة ما رأيت أهون منها في المرقعات وكان يظهر منها الكثير من جسده الأعلى رضي الله عنه، وما رأيت في داره ما يساوي درهما سوى السجادة بسطها لي وزلافة وإبريق لا غير، وكان مع هذا إذا فتح الله عليه بشيء تصدق به ودخل على أهله بلا شيء، ففي مثل هؤلاء رضي الله عنهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما تركت لعيالك يا أبا بكر قال تركت لهم الله ورسوله، وكان لا يعرفنا أحد في ذلك الوقت غير بعض إخوان قليلين من أهل فاس كانوا يعرفون شيخه وكانوا يجتمعون معنا بالنهار وبالليل يذهبون إلى ديارهم، وكنت في الزاوية وحدي أياما عديدة، ففتح الله بعد ذلك في الإخوان والأحبة، وكنا في ذلك الوقت متصلين الذكر والمذاكرة، وكنا لا نعرف الليل من النهار إلا بالآذان في الصومعات، ومن شدة بقائه رضي الله عنه كان يتلقاني قرب المغرب برحبة قيس وكان حالنا من بعد صلاة العصر نخرج لخدمة نفوسنا للتذلل بين أقراننا نسأل الفلوس من الحوانيت فإذا التقينا عند المغرب برحبة قيس نشتري ما نتقوت به في الوقت فيأتي إلى صاحب الخبز أو البصل أو غيره فيشتري بأربعة فلوس أو بستة فلوس أو ما أشبه ذلك فيزيده قدر ذلك على القيمة وهكذا كنا أياما عديدة، وكان يدلني على السخاء وحسن الخلق والزهد أكثر من كل شيء، وكان يقول لي رضي الله عنه: يا ولدي الرجل هو الذي يشمته الناس كلهم اختيارا عن طيب نفسه وهو يفرح لذلك والشَّمَّاتَة هو الذي يحب أن يشمت الناس كلهم لأن

---

(1) أَشَقَّر: جبل يقع قرب مدينة طنجة.

الرجال عملهم مع الله تعالى والشَمَائِتْ عملهم مع نفوسهم، وكان رضي الله عنه يحبني أشد من حبه لأهله وأولاده، وكان رضي الله عنه يقول: والله واحد ما شَدّ لنا أكتافنا في الله مثل محمد بن أحمد البوزيدي، وبالجملة مدحُه لنا كثير بقدر ذمنا وقبحنا وأكثر وأكثَر والسلام).

قوله [الشْمَائِتْ] أي الشُّمَّات، والشُّمَّات جَمْعُ شامِت. شَمت: أي غدر به أو غبنه.

قال سيدي محمد البوزيدي في قصيدته " التائية ":

ولاِزمْ كتاب الله واحْكُمْ بحكمه ... وسنة أحمد إمام الأئمةِ
وعالم ورع في دنياه زاهد ... فكن عنه آخذا لأمر الشريعةِ
ومن كان سالكا ومجذوبا دائما ... ولا أخذ إلا عن شيوخ الطريقةِ
كمثل أُسْتاذِي قَلَّ في القوم مثله ... وفخْري به طرًّا على أهل نسبةِ
وبه على الورى أصُولُ حقيقة ... ولا أخشى إلا من إله البريّةِ
فجملةُ أهل الوقت تحت لوائه ... عارف بأحكام النفوس الخفيةِ
له هِمَّةٌ إنْ قال للشيء كنْ يَكُنْ ... يُعِز إذا شاء يُذِل في لحظةِ
تمد مددَ الخلق همة سِره ... جميع همم الخلق في كل حاجةِ
يقلد في الأمور كلا بأسرها ... في حكم الحقيقة وأمر الشريعةِ
فمن لم يدر معنى سلوك طريقة ... حقت له جملة الأحمال الظاهرةِ
لمثله كنْ عبداً تنلْ كل المنى ... وتبلغ منتهى الأسرار العاليةِ

قال سيدي محمد المهدي ابن القاضي في كتابه"النور القوي في ذكر شيخنا مولانا عبد الواحد الدباغ وشيخه مولانا العربي الدرقاوي":

(ولما توفي الشيخ أبو عبد الله سيدي محمد بن إبراهيم، تولى تربية شيخنا مولانا عبد الواحد الدباغ الشيخُ المربي الراسخ المتمكن في شهود عظمة ربه، إمام الطريقة، وسلطان أهل الحقيقة، جُنَيْدي الشهرة، وشاذلي النظرة، الكبريت الأحمر، المسك الأظفر، الطبيب للأرواح والقلوب، المطهر للنفوس والأشباح، قطب الزمان، وغوث الأعيان، العارف بالله الكامل، المحقق المدقق الواصل، شيخ المشايخ، الشريف الحسني، سيدنا ومولانا العربي الدرقاوي... فهو عمدة شيخنا وعليه عوَّل في الطريقة الشاذلية، وإليه سلب الإرادة في الوصول إلى الحضرة الإلهية، ومنه اقتبس التخلق بالأخلاق المحمدية، فكثيرا ما كان يستدل بكلامه،

ويتحلى بأحواله، ويعير أفعاله بأفعال العارفين بالله، ويزن أقواله بأقوال الكاملين الواصلين إلى حضرة الله، ويقول لنا: الرجال صناديق مغلقة ومفاتحها ألسنتها فمن تكلم عرفناه من حينه ومن لم يتكلم عرفناه بعد حين، ثم يقول لنا: قال شيخنا مولانا العربي (الناس قالوا مَنْ نقص شيئا حرم من بركاته، وأنا أقول من نقص شيئا حرم بركة الجميع لأن البعض هو الكل)، ويقول لنا أيضا: قال شيخنا مولانا العربي (قال بعض العارفين لتلامذته اصمتْ اصمت من يصمت، وأنا أقول اسمعْ اسمع من يسمع)، ويقول لنا أيضا: قال شيخنا مولانا العربي (قال سيدي ابن عطاء الله في بعض كتبه: ما رأينا العز إلا في الذل، وأنا أقول: والله ما رأينا الذل إلا في الفقر)، ويقول لنا أيضا: قال شيخنا مولانا العربي (قال سيدي ابن عطاء الله في حكمه: ما نفع القلبَ شيءٌ مثل عزلة يدخل بها ميدان فكرة، وأنا أقول: ما نفع القلبَ شيء مثل الزهد في الدنيا والجلوس بين يدي الأولياء، لأن صاحب العزلة مأمون ما دام في عزلته وإذا خرج منها ربما يرجع لما كان بصدده، وأما صاحب الزهد في الدنيا والجلوس بين يدي الأولياء مأمون بفضل الله أبدا)، ويقول لنا أيضا: قال شيخنا مولانا العربي (قال سيدي ذو النون المصري: والله لو كانت السماء من النحاس والأرض من الرصاص وأهل مصر كلهم عيالي لما اهتممت من الرزق، وأنا أقول: والله لو كانت السماء من النحاس والأرض من الرصاص وأهل السماء وأهل الأرض كلهم عيالي وأطلعني الله على خزائن غيبه ووجدتها فارغة لما اهتممت بالرزق)، ويكرر لنا بعض كلامه كقوله (مخالفة الهوى تنتج العلم الوهبي، والعلم الوهبي ينتج اليقين الكبير، واليقين الكبير ينفي الشكوك والأوهام، ويزجّ بصاحبه إلى حضرة العَلاَّم) وقوله (التصوف: حفظ شرائع الدين، وحسن الخلق مع المسلمين، وسلب الإرادة لله رب العالمين) وقوله (من كان عبد الظهور فهو عبد الظهور، ومن كان عبد الخفاء فهو عبد الخفاء، ومن كان عبد الله سواء عليه ظهر أم خفي)، ويكرر لنا بعض وصاياه كقوله للفقراء (من لم يصدره الوقت منكم لشيء - يعني للتربية - فليقتصر على حال شيخنا سيدي علي الجمل فإنه كان مع العوالم: ذاك الذي تكرهون مني هو الذي يشتهيه قلبي)، وقوله للفقراء عند موته (عليكم بالتجريد ظاهرا وباطنا وحلقة الذكر والورد ومساواة الصفوف وتهلوا في عاركم) يعني أولاده، ويذكر لنا بعض مذاكرته مع الفقراء كقوله (كل الأوصاف المحمودة ملَّكَها لي الله تعالى وصرفني فيها إلا السخاء وحسن الخلق ملَّكني الله لهما وصَّرفَهما في) وقوله (من عرف لي شيئين أراحني الله منه - يعني من تربيته- أحدهما ضيقْ ظاهرك يتسعْ باطنك، الثاني ما ازداد في الحس انتقص من المعنى)،

وقوله للفقراء من وقف فقره على الصَّحّ فليعلمني به، قال فسكت الفقراء كلهم إلا واحدا منهم قال: يا سيدي إن كان علما فقد وقف وإن كان حالا أو ذوقا فلا، قال شيخنا فلم يجبهم الشيخ حينئذ حتى كان مسافرا في بعض سفره فمر على عظم جيفة راشية فوقف عليها ونادى الفقراء حتى اجتمعوا عليه، ثم قال هذا الذي وقف فقره على الصح، يعني مجموع تلك العظام الراشية، فصار الفقراء بعد ذلك يقولون الفقر عظم راشي لم يجد كلب الهوى ما يمشش فيه، وقوله للفقراء (من أراد أن يعرف ما بيده من الخصوصية فلينظر ما بيده من العمومية، فالوصف الذي شارك فيه العموم فهو عامي في ذلك الوصف، والوصف الذي خالف فيه العموم فهو خاص من حيث ذلك الوصف)، وقوله للفقراء أيضا: من ادعى عليكم بالخصوصية أو قال بالمعرفة فاختبروه في الاستواء - يعني استواء الأضداد عنده كالمدح والذم والعز والذل والغنى والفقر والعطاء والمنع والإقبال والإدبار- ومن ادعى عليكم بالاستواء فاختبروه في الاكتفاء يعني الاستغناء بعلم الله كالتجاهل بعد حصول العلم والافتقار بعد حصول الغنى والتذلل بعد حصول العز والعبودية بعد حصول الحرية، وما أشبه ذلك من المذاكرات والوصيات والنصيحات التي اشتمل عليها كلامه رضي الله عنه، فلو ما قصدنا الاختصار في هذا الكتاب لاستوعبناها، ولو استوعبناها لملأنا منها مجلدات، وجلها محفوظة عند أصحابه رضي الله عنهم، وما ذكرت هنا إلا بعض ما حفظت أنا من شيخنا مولانا عبد الواحد، وما حفظت منه بالنسبة لما عنده إلا كملء اليد من البحر، وما عنده بالنسبة لما عند مجموع الفقراء من إخوانه إلا كملء اليدين من البحر، وما عند مجموع الفقراء بالنسبة لما كان عند الشيخ رضي الله عنه إلا كملء اليد من البحر، وما ذكرته هنا فيه كفاية لمن أراد النصيحة لنفسه وكان مقصوده معرفة ربه وحظه حضرة قدسه، ومن أراد كمال الفائدة فلينظر رسائله التي عزَّ نظيرها وقلَّ مثيلها، فإن فيها من الفوائد خرق العوائد، وفيها من الأسرار ما لا تكاد أن تحصيها الأفكار.

ولم يزل شيخنا في خدمة شيخه مولانا العربي وعند أمره ونهيه إلى أن توفاه الله تعالى في يوم الثالث والعشرين من صفر سنة تسع وثلاثين ومائتين وألف رحمه الله تعالى ورضي عنه، ونفعنا ببركاته، وحشرنا في زمرته، وجعلنا في حزبه وشيعته، بحق ذاته وصفاته وبحق أسمائه وأفعاله وبحق من أحبه من خلقه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله. قال شيخنا مولانا عبد الواحد: ولما توفي شيخنا مولانا العربي رأيته في المنام بعد أيام قليلة فقلت له: يا سيدي إن الشيخ مولانا عبد القادر الجيلاني نفعنا الله به قال: كنت أنتسب إلى الشيخ حماد الدباس وأما الآن

فإني أسقى من بحرين: بحر النبوة وبحر الفتوة، يعني ببحر الفتوة علي بن أبي طالب رضي الله عنه، والشيخ أبو الحسن الشاذلي قال: كنت أنتسب إلى الشيخ عبد السلام بن مشيش وأنا الآن لا أنتسب إلى أحد بل أعوم في عشرة أبحر: محمد وأبي بكر وعمر وعثمان وعلي وجبريل وميكائيل وعزرائيل وإسرافيل والروح الأكبر. قال شيخنا ثم قلت له يا سيدي والآن قلْ لي ما أفعل، فقال رضي الله عنه: اجعلْ بينك وبينهم وسيلة، ثم استيقظت ولم أدر ما أراد بالوسيلة، فبقيت متحيرا فيها، إلى أن توضأت وصليت وأخرجت وردي وأنا مستغرق الفكرة في معنى الوسيلة حتى وجدت لساني يتلو سورة الإخلاص فلما دوَّرت السبحة وكمَّلت المائة أطلق الله لساني أن أقول: (هذه هدية مني إليكم يا أهل المشرق يا أهل المغرب يا أهل الجنوب يا أهل الشمال يا أهل البر يا أهل البحر يا أهل السماء يا أهل الأرض يا أهل العرش يا أهل الكرسي يا أهل لا إله إلا الله محمد رسول الله كافة أجمعين). قال فشرح الله صدري لهذا العدد فجعلت أذكره عقب وردي ثم أدعو الله تعالى بما تيسر في الوقت حتى فتح الله علي في دعاء جامع مانع وهو: (اللهم طهرْ قلبي من جميع الدنس والخبث والشهوة والرياسة وحب الدنيا والناس والجاه) ثم أدعو أيضا بالدعاء الوارد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو (اللهم أرني الحق حقا وارزقني اتباعه، وأرني المنكر منكرا وارزقني اجتنابه، وأعذني من أن يشبه عليّ فأتبع هواي من غير هوى منك، واجعل هواي تابعا لطاعتك، وخذ رضا نفسك من نفسي في عافية، واهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم)، فاطمأن بذلك قلبي والحمد لله، وسكن روعي والمنة لله.

قال شيخنا: ثم بعد موت الشيخ مولانا العربي بثلاثة سنين، ظهر لي أن نحي الطريق كما كانت في الصدر الأول وألبس المرقعة بشريعتها وأضبط أدبها وأرجع إلى عمل البدايات من السؤال وخرق العوائد في الأسواق وذكر الجلالة بأعلى صوت والصمت عن كل ما لا يعني، فرأيت الشيخ في المنام وعليه حلة خضراء وهو في وسط حلقة كبيرة من الفقراء يذكرون الله وأنا من جملتهم وبيده قدح من اللبن فوددت في نفسي أن لو مكنني الله منه فأشرب حتى أشفي غليلي، فإذا بالشيخ ينظر يمينا وشمالا حتى وقع بصره علي فأتاني ومكنني من القدح وقال لي اشرب فشربت حتى رويت، ثم قال لي اشرب فشربت أيضا حتى رويت، ثم قال لي الثالثة اشرب فشربت أيضا حتى رويت وخرج الري من أظافري، ثم قال اشرب فقلت يا سيدي هذا جهدي ومكنته من القدح، فقال لي امكث على حالك فإن الحق تبارك وتعالى خاطبني من أجلك مرتين وأشار بأصبعيه وقال لي بقي لك عشرون سنة

وتموت، فاستيقظت ووجدت في نفسي فرحا وسرورا برؤية الشيخ، وفي صدري انشراحا بشرب اللبن لأنه علم كما فسّره رسول الله صلى الله عليه وسلم، ووجدت في قلبي اطمئنانا بقول الشيخ امكثْ على حالك، وقد كنت في حياته أستأذنه في التجريد فقال لي أنت عندي مجرَّد أنت عندي مجرد مرتين أو ثلاثة ثم قال لي وأنا أعرف، فبقيت على حالي كما قال لي، وبقيت أنتظر قوله بقي لك عشرون سنة وتموت لم أدر هل أراد بذلك الموت الحسية أو المعنوية، فلما قرب أجل المدة التي ذكر الشيخ خرجت مع أخي في الله الشيخ أبي عبد الله سيدي محمد الحراق إلى سياحة فجرتْ بيننا المذاكرة إلى أن تكلمنا على المرائي فذكرت له هذه الرؤية فأوَّلَ اللبن بالعلم كما أوَّلتها أنا أولا، وأوَّلَ الموت بقطع الباقية وقال لي ستموت إن شاء الله موتة أخرى معنوية، فكان الأمر كما قال.

وخرج على يد الشيخ مولاي العربي الدرقاوي رضي الله عنه ما يزيد على التسعين شيخا، كلهم عارفون بالله كاملون راسخون في العلم بالله واصلون، إلا أن منهم من تصدر للمشيخة ومنهم من لم يتصدر، ومنهم من تصدى للتربية ومنهم من لم يتصدى، وليس من تصدر وتصدى فضْل على من لم يتصدر ولم يتصدى، لأن المشيخة والتربية مزية، والمزية لا تقتضي التفضيل، إذ الولادة المعنوية كالولادة الطبيعية عند أهل الله، وقد قال الله تعالى: ﴿ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ۝ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ۝ ﴾ [الشورى 49 - 50]، مع أن الذكورية والرجولية محققة في الجميع، فلا تفاضل لمن ولد على من لم يلد، وإنما التفاضل في كمال الرجولية وتوفر شروط كمال الذكورية، وأيضا التفاضل في كثرة الأوصاف المحمودة كالعلم والمعرفة والسخاء والكرم والجود والشجاعة والإقدام وما أشبه ذلك من الأوصاف المحمودة التي تتفاضل فيها الرجال، فكذلك الولادة المعنوية لا تفاضل لمن ولد على من لم يلد، وإنما التفاضل في كمال المعرفة بالله توفر شروط التربية والدعاء إلى الله، وأيضا التفاضل في كثرة الأوصاف المحمودة كالزهد والورع والتوكل والثقة بالله والمحبة والشوق والرضا والتسليم والفهم عن الله وما أشبه ذلك من الأوصاف المحمودة التي تتفاضل فيها الأولياء رضي الله عنهم. ومنهم من مات في حياة الشيخ، ومنهم من تأخر بعد موته، ومنهم من لقيته واستفدت منه، ومنهم من لم ألقه ولم أستفد منه، ومنهم من أدركت زمانه ولم ألقه، ومنهم من لم أدرك زمانه، ولكن أذكره بحسب ما سمعت به عن شيخنا مولانا عبد الواحد إذ كان رضي الله عنه كثيرا ما يثني على إخوانه الثناء

الجميل ويستشهد بكلامهم ويتحلى بأحوالهم ويأمرنا بتعظيمهم وتوقيرهم ويحضنا على إجلالهم واحترامهم ويذكرنا في محبتهم ومودتهم ويقول لنا: (منهم ربحنا فنحبكم أن تربحوا منهم أيضا) ويذكر لنا وصية شيخه مولانا العربي إذ كان يوصيهم كثيرا ويقول لهم: (عظِّموا بعضكم بعضا، واحترموا بعضكم بعضا، فإن المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا)......

سمعت شيخنا مولانا عبد الواحد الدباغ يقول سمعَ الشيخ مولانا العربي يقول: (لا زال الفقير يمشي من هنا إلى بلاد المشرق وهو يبيت عند إخوانه في الله حتى يصل إلى الحرمين الشريفين، فيجد هناك إخوانه أيضا) وقد رأينا ذلك عيانا، وسمعت شيخنا أيضا يقول إن شيخنا مولانا العربي كان كثيرا ما يقول: (من صحبنا ثلاثة أيام يحسن دينه ولم يشمت فيه أحد)، وسمعته أيضا يقول إن شيخه كان يقول: (أقل ما يستفيد منا صاحبنا معرفة الحق من الباطل)، وسمعته أيضا يقول إن شيخه كان يقول: (تركت أصحابي كلهم رشداء، فمن اقتدى بواحد منهم اهتدى بفضل الله وكرمه)، إلى غير هذا من الأقوال التي تدل على صفاء مشربه وكثرة الإنتفاع به، وقد كان رضي الله عنه يقول لأصحابه: (جولوا في أقطار الأرض، فإن وجدتم مشربا أصفى وأعذب من مشربنا فأتوني أذهب معكم إليه ونرده جملة، فإن مقصودنا الله ولا حظ لنا سواه).

قال سيدي محمد بن جعفر الكتاني في كتابه "سلوة الأنفاس":

(وكان [مولاي العربي الدرقاوي] من أفراد الكُمَّل العارفين بالله، الدالين بأقوالهم وأفعالهم وجميع أحوالهم على الله، جامعا لمحاسن الشيم والأخلاق، واقعا على خصوصيته من الأئمة المعتبرين الإطباق، طائرا صيته المعجب، في جميع البلاد من المشرق والمغرب، حتى انتشرت أتباعه في عامة الأقطار، وعمرت زواياه بالإخوان الفقراء في سائر البوادي والأمصار، وصار شيخ العصر، في مقام الجبر والكسر، كعبة للطائفين، وقدوة للسالكين، وملاذا للخائفين، وسراجا للسائرين، وظهرت له كرامات أجلى من الشمس في الوضوح، يغدو بمشاهدتها جميع منْ أهَّله الله لرؤيتها ويروح، وتواترت بها النقول، فتلقاها العظماء بالقبول. أخذ رحمه الله عن جماعة من الأولياء، وجمهور من الكبراء الأصفياء، وعمدته منهم الشيخ العارف بالله مولانا أبو الحسن علي الجمل رضي الله عنه، فبه أشرقتْ في صدره أنوار العرفان، وتجلتْ له من ربه شموس الإحسان، ووقع له الفتح الكبير، والمدد الفيّاض الغزير، وتخرج على يده هو من لا يُحصى من الشيوخ،

وأرباب التمكين والرسوخ. وطريقته رضي الله عنه مبنية على اتباع السنة في الأقوال والأفعال والعبادات والعادات، ومجانبة البدع كلها في جميع الحالات، مع كَسْر النفس وإسقاط التدبير والاختيار، والتبري من الدعوى والاقتدار، والإكثار من الذكر آناء الليل وأطراف النهار، والاشتغال بالمذاكرة وما يَعني، وترك كل ما يُعني، وبالجملة فطريقته رضي الله عنه جلالية الظاهر جمالية الباطن، وإن شئت قلت سُفلية الظاهر عُلوية الباطن، كطريقة شيخه. ورسائله نفعنا الله به من أنفع الرسائل للمريد، وأدلها على كيفية السلوك والتجريد، لا يستغني عن مطالعتها سالك، ولا يجحد خيرَها وفضلها إلا هالك. ولد رحمه الله بعد الخمسين والمائة والألف ببني زروال، وبها توفي ليلة الثلاثاء الثاني والعشرين من صفر الخير عام تسعة وثلاثين ومائتين وألف، وضريحه هناك مشهور معروف، وبإنالة الخيرات والبركات لقاصديه وزائريه موصوف، ومناقبه وأحواله وأوصافه ومعارفه لا يفي بها قلم، وهي في الشهرة كنار على علم، رضي الله عنه ونفعنا به وبأمثاله آمين).

قال سيدي محمد بوزيان الغريسي المعسكري في كتابه "الطبقات":

* (اعلم سلك الله بنا وبك سبيل المعارف، وحملنا وإياك في سفينة هذا الرئيس الماهر العارف، أن هذا الإمام، هو كهف الإسلام، وملاذ الأنام، وملجأ الخاص والعام، والولي الشهير، والصِّديق الكبير، والعارف الكامل، والمحقق الواصل، المشاهد للأحدية، المتلاشي في عظمة الذات العلية، المتمكن الراسخ، الطود الشامخ، الكامل في الشريعة والحقيقة غاية الكمال، والبالغ فيهما مبلغ كبراء فحول الرجال، الوارث الجامع، المربي النافع، الداعي إلى الله بحاله ومقاله، الجامع عليه في وصفيْ جلاله وجماله، حجة المريدين، ومَحجة المسترشدين، جبل السنة والدين، وعلم المتقين والمهتدين، الواضح الآيات، اللائح في العالم البراهين البينات، خليفة الرحمن، ونادرة الزمان، وإني لا أستوفي أبد الآبدين نعت قشر نواته، فأحرى لآلئه وجوهراته، لأني كلما تذكرت فضيلة وجدت فضائل أخرى، وكلما تدبرت منه لطيفة جاءت لطائف تترا، ولو كان من يكون معه من أول الزمان إلى هلم جرا، لأن من كان بالله وتخلق بأخلاق الله شمائله لا تعد، وديمة قطر سحاب وصفه لا تنحصر ولا تحد، وإن لم نكن نحن من خيل هذا الميدان، ولا ممن بسطت له في الأخذ والعطاء اليدان، فحَول حماه نحوم، ولعرف نشره الفائح نروم).

* (فهو والله الآية الكبرى، والغنيمة في الدنيا والأخرى، والكنز الأكبر،

والكبريت الأحمر، وكيمياء السعادة، وتاج العز والسيادة، والولي الصالح، والقطب الشهير الواضح، والإمام العارف الزاهد الورع، والجرس الكامل الجامع، فلقد كان والله آية ربانية، وكلمة تامة صمدانية، وموهبة من الله لدنية، حاز قصب السبق في المعرفة بالله، والإنحياش والانقطاع إليه، والإقبال والتوكل والاعتماد عليه، قد صعد ذروة مقام الرسوخ والتمكين، وتبوأ من الاكتفاء بالله ربوة ذات قرار ومكين، فاق بذلك جميع المجذوبين والسالكين، ولعن الله من كذب عليه، أو وصفه بوصف لم يبلغ إليه، أو مقام لم يتحقق لديه، ولو وصفه لعَمْري الواصفون مدى الدهر لما أحاطوا بشمائل أوصافه، كما قال إمام العشاق ولي الله تعالى الشيخ سيدي عمر بن الفارض رضي الله عنه في وصف من غطى الله وصفه بوصفه وهو الله تعالى:

وعلى تفنن واصفيه بحسنه يفنى الزمان وفيه ما لم يوصف

* (فلقد كانت علومه لدنية، وأعماله قلبية، وأحواله وهبية، قد فتق الله له رتق سماوات الروحانية، وأرض البشرية، وجعله ماء طاهرا مطهرا به قوام كل شيء، وحياة كل شيء، ﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ﴾ [الأنبياء: 30] الآية، ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ ﴾ [الطلاق: 12] الآية، قد ارتفعت له الحجب وزالت عنه الموانع، وصار نظر العين وشهود السر عنده واحدا، والغائب في نظره عين الحاضر الشاهد، وتساوت فيه الحالات، واتحدت الأوقات، ورجعت الجلاليات جماليات، والسفليات علويات، والشريات خيريات، إذ الذات عين الصفات، عنده وعند جميع السادات، من أهل الفناء في الذات، فعاش عمره كله مواجهات ومحادثات ومكالمات ومُناغات وإدلالات، والناس في غفلة عن هذه الملاحظات والمشاهدات، ولا يدرون حقيقة هذه المقالات.......ومن أراد أن يتحقق فوق ما قلنا في أستاذنا، وما وصفناه به على حسب فتور رأينا وقصور علمنا، فلينظر كتابه رضي الله عنه المسمى بشور الطوية في مذهب الصوفية، رضي الله عنهم، فإنه يجده كتابا جليلا، ما رأينا له والله مثيلا، قد أجاد فيه ما شاء، قد بيَّن فيه أمور الشريعة وأقوالها، وسنن الطريقة وأعمالها، وأسرار الحقيقة وأحوالها، كل ذلك في أوجز لفظ وتحرير عبارة لأنه ألفه بعد صفاء كبير ولقحه وهذبه ولم يترك فيه إلا ما تقبله عقول الناس، وما لا فلا، متمسكا بحديث: حدِّث الناس على قدر ما يفهمون، وكان

يقول: لا أحب الإكثار من الكلام إذ هو من قلة الفائدة عند الأنام).

* (فواللهِ ما رأيناه إلا يحب الخير لجميعهم، ولا رأيناه يسوء لأحد ولا يسر بنكبة مؤمن قط، وقد صحبناه ولزمناه سنة تسعة عشر [1] إلى أن توفاه الله [2] لحضرته، وأكرمه بكمال رؤيته، فما رأيناه عبس في وجه أحد ولا أغضبه، والله على ما نقول وكيل، قد كان متصفا بأوصاف الرحمة متخلقا بأخلاق الله، مالكا للأحوال، مملوكا لها في ثلاثة: السخاء وحسن الخلق والاكتفاء بشهود عظمة ذات الله تعالى، قد غلب عليه وملكه شهود الرحمة لعباد الله، ينصح الأحداث والأصاغر، ويعظم السادة والأكابر، يشرف الشريف، ويرفع الضعيف، وينسب للشرف كل من له أدنى نسب، ويحلم على من لا خلاق له فأحرى أهل العلم والدين والأدب. سمعته يقول: (منذ سبعة أيام وأنا مريض من أجل بعض اليهود- لعن الله طائفة اليهود- باتوا بزاويتنا ضيافا وأطعمناهم، ونسيت أن نهيئ لهم موضعا يرقدون فيه وكانت الليلة كثيرة البرودة)، وكان يقول: (يهون علي أن تقطع رقبتي ولا أن نغضب مسلما)، وكان يقول: (من المحال أن يشاهد الإنسان مولاه مشاهدة الشهود والعيان ثم يكون سيئا خلقه). وبالجملة، هو النفس المطمئنة الراضية المرضية، الباقية على عهدها مع ربها، التي بها قوام العالم، ولولاها لأهلك الله العالم، هي محل نظر الله من خلقه وميزاب التنزلات، ومهبط البركات والرحمات، قد نفث رسول الإلهام في روعها، فكان الحق سبحانه عين لسانها وبصرها وسمعها، خليفة بعد خليفة، قال تعالى ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ [البقرة: 30]، ﴿ يَـٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَـٰكَ خَلِيفَةً ﴾ [ص: 26]، قد أحيى الله به ملة التصوف، وأزاح به عن أهل الجد والاجتهاد التثبط والتسوف، وقطع به عن قلوب المريدين إلى غير الله التطلع والتشوف، وكان رضي الله عنه لا يقطف من روض كلام الصوفية إلا الأزاهر، ولا يعتبر منهم إلا المُحرر الظاهر، ويقول: (قد اشتهرت التربية بغَرْبنا بثلاثة: الحِكم العطائية والرائية الشريشية والمباحث الأصلية) ويتكلم عن جميعهم حالا ومقاما، ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ﴾ [هود: 120]، وكان يعجبه غاية كلام تاج الدين في حِكمه رضي الله عنه: لو أنك لا تصِل إليه الخ وقوله أيضا: وصولك إلى الله الخ،

(1) أي عام 1219 هـ.

(2) أي عام 1239 هـ.

فكان يقول: (علامة الوصول إلى الله هو الاكتفاء به والاغتناء بشهوده، وبرهان المكتفي بالله أن لا يستوحش حين يفارق من يهوى، وأن يجد العز في الذل والغنى في الفقر والقوة في الضعف والقدرة في العجز والتَّاسِيع في الضيق وهكذا)، ويتلو قول الله تعالى ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ﴾ [الزمر: 36] ﴿ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [فصلت: 53] ﴿ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴾ [العلق: 14] إلى غير ذلك، ويستدل بقول النبي صلى الله عليه وسلم للرجل الذي قال له هل استويت فقال وكيف أستوي يا رسول الله قال أن يستوي عندك المدح والذم والعطاء والمنع الخ. والحاصل كان أستاذنا رضي الله عنه كلمة الله لا نفاذ لها ﴿ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى ﴾ [الكهف: 109] الآية ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ ﴾ [لقمان: 27] الآية، فكيف تعد شمائله أو تحصى، أو تحد فضائله أو تستقصى، والولي حقيقة من تولاه الله فغطى وصفه بوصفه ونعته بنعته فأفناه عنه وأبقاه به).

* (ومَـــنْ أبـــاح نفـــسه مـــا تهـــواه فإنمـــــا معـــــبوده هـــــواه

وكان رحمه الله يحب هذه المقالة ويثني على قائلها وهو الشيخ سيدي ابن البنا في مباحثه رضي الله عنه، ويقول ينبغي لها أن تكتب بماء الذهب).

* (وكان رضي الله عنه يؤكد على المواظبة والدؤوب على الوضوء دائما ويقول: قال الله تعالى لكليمه سيدنا موسى عليه السلام وعلى جميع أنبياء الله الصلاة والسلام: يا موسى إن أصابتك مصيبة وأنت على غير وضوء فلا تلومن إلا نفسك).

* (وسمعته يقول: "كنت بزاوية الشيخ الجليل ولي الله تعالى سيدي عبد الوارث اليلصوتي العثماني أقرأ القرآن، فابتدأت سلكة واعتقدت ألا نقرأ شيئا على غير وضوء في كل وقت ولا أشتغل بغير ما يعنيني قط حتى نختمها، فكنت على هذه الحالة أياما عديدة، فلما كان بعض الأيام صلينا صلاة الغداة في أول وقتها مع أستاذي الذي كنت نقرأ عليه وهو الأستاذ المحقق البركة سيدي عبد الله بن فراعين وقرأنا حزب الفلاح وحزب القرآن، وخرج الناس من المسجد وطفئ المصباح، واضطجعت على يمين الداخل من الباب السفلية، فأخذتني سِنَة كالنوم وإذا بنور قد أشرق فأضاء منه المسجد كله فظننت أن المُقَدَّم قد أوقد المصباح ليعيدوا الصلاة ظنا منه أننا صلينا قبل الوقت، لأنه ربما كان يقع منا في بعض الأيام ذلك، فإذا به

مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم واقف أمامي ينظر إلي فأردت أن أقوم إليه فأشار إلي بيده الكريمة مرتين أو ثلاثة أن أبقى على حالي، وخرج وإذا بنور مشرق داخل للمسجد أيضا فنظرت فإذا هي مولاتنا فاطمة الزهراء البتول رضي الله عنها قائمة أمامي تنظر إلي ولا تتكلم، فحدث بقلبي بسبب رؤيتهما أمر عظيم من المحبة والشوق إليهما، وبقيت نحو العشرة أيام وأنا مهما جلت فيها تفيض عيني بالدموع فيضا كبيرا، وارتحل قلبي بسبب ذلك عن الدنيا وعن أهلها وعن كل شهوة كنت أشتهيها وكل لذة كنت أتلذذ بها، ولما عرفت أستاذي الشريف الغوث الكامل أبا الحسن سيدي علي الجمل رضي الله عنه أخبرته بذلك، فقال لي: أمَّنَك صلى الله عليه وسلم بإشارته لك أن تبقى راقدا، فظهر لي وجه الأمان وشهدته بالعيان والحمد لله والشكر لله".

ومعنى شهود الأمان بالعيان، والله أعلم، وصوله لمقام البقاء بعد الفناء، لأنهم يقولون: من وصل البقاء أمن من الشقاء، إذ البقاء هو المقام الأكمل الذي لا مقام فوقه إلا مقام الرسل عليهم السلام، لأن صاحبه دائما بين خوف ورجاء ثم قبض وبسط ثم هيبة وأنس على حسب ترقيه في المقامات الثلاث: إسلام وإيمان وإحسان- أو شريعة وطريقة وحقيقة- أو علم يقين وعينه وحقه- أو عبادة وعبودية وعبودة- أو محاضرة ومكاشفة ومشاهدة.......).

* (سمعته رضي الله عنه يقول: أُلْهِمْتُ إلى ذكر ربي في حال شبابي من غير واسطة ووفقت لذلك حتى كانت جوارحي كيَدي وفخذي وكتفي وجنبي وغير ذلك يذكرن قهرا عليّ، ومهما قبضت عضوا تحرك الآخر بلا ذكر رغما على أنفي، وانخرقتْ نفسي فكنت أمثل نفسي كالحوت في الماء إذا خرج يموت، كذلك كنت في الاستغراق في الذكر، وحبب الله إلي العزلة عن الخلق والصمت والجوع والسهر وقيام الليل حتى كنت أعتقد في نفسي وفي غيري ممن هو على حالي اعتقادا جميلا، ثم إن الله بفضله وكرمه وجوده صَغَّر وحقر بين عيني جميع ما أنا عليه وشوَّقني لطلب الشيخ المربي واضطرني إليه اضطرار الظمآن للماء والخائف المطلوب للأمن، وكان بعض الأساتيذ وهو من أشياخي في قراءة السبع وحاله في الجد والاجتهاد كحالي وهو الشيخ الناصح الأستاذ الناسك الصالح أبو عبد الله سيدي محمد بن علي اللجائي رحمه الله ورضي عنه كم من مرة يهيئ لنا الزاد للسفر ويقول لي بالله يا سيدي نسافر معاً إلى بعض السادات من أهل الوقت ليأخذ بيدنا ونتخذه شيخا من شيوخ الطريقة إما إلى الشيخ الجليل الشريف الأصيل ولي

الله تعالى سيدي مولاي الطيب بن محمد الحسني العلمي بوزان حرسه الله أو الشيخ الجليل ولي الله تعالى سيدي المعْطَى بن الصالح الشَّرْقَاوِي العُمَرِي بتادلا أو الشيخ الجليل ولي الله تعالى سيدي يوسف ابن ناصر نجل الشيخ البركة ولي الله تعالى سُني أهل المغرب أبي العباس سيدي أحمد ابن ناصر الدرعي بدرعة أو الشيخ الجليل ولي الله تعالى نجل الولي الصالح سيدي محمد بوزيان بالقنادسة، فكنت أقول له في جميع ذلك المرة بعد المرة: فالذي أطلبه هو علم الباطن ليس هو عندهم والله أعلم، إذ لو كان عندهم لكان عند أصحابهم، وقد قيل (اختبروا الناس بأصحابهم)، وإن كان عمل الظاهر فالذي عندهم عندنا، فأنا أرجع إلى ربي سبحانه هو الذي يحملني إليه أو يحمله إليّ، ويبلغني به حيث ما كان بالمشرق أو المغرب ببر الإسلام أو ببر النصارى، فالقدرة تحملني إليه أو تحمله إليّ وتجمع بيني وبينه، حيث هو مشهورا عند الناس أو خامل الذكر بينهم، والغالبُ حاجتي لا تكون إلا عند الخاملين المستضعفين، قال تعالى ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [القصص: 5] الآية، وقال صلى الله عليه وسلم [رب أشعث أغبر ذي طمرين لا يؤبه به تنبو عنه أعين الناس] الحديث بتمامه.

قال ولزمت زيارة سيدنا وسيد أهل غَرْبِنا مولاي إدريس بن إدريس بن عبد الله المحض بن حسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب وفاطمة الزهراء البتول رضي الله عنهم أجمعين، وقيل قرأ بضريحه ستين سلكة في طلب الشيخ المرشد، ولما ختم الستين بكى بكاء شديدا حتى احمرتا عيناه وسأل الله باضطرار كبير، وخرج فمَرَّ ببعض الناس وهو سيدي حميد حفيد الشيخ الجليل قطب الأحوال ولي الله تعالى سيدي عبد العزيز الدباغ رضي الله عنه وهو ابن ابنته، قال فقال لي: مالك يا سيدي ومالي أراك في هذه الحال؟ وكنت منظورا بالتعظيم عنده وعند غيره، فقلت له: الذي نطلبه لا تعرفه أنت، فقال لا بد لك أن تخبرني ما هو، فلما لم أجد بدا منه قلت له اضطررنا إلى من يأخذ بيدنا فلم أجده ولا حول ولا قوة إلا بالله، فقال لي: أنا أدلك عليه إذا لم تشاور أهل الرأي القاصر والعقل الفاتر، لأنهم لا ينظرون إلا إلى حال العلو والعمارة، وهذا حاله حال الدنو والخراب، وذلك ينفر الناس لا محالة، وأيضا ربما دلوك على ناقص يحسبونه كاملا، ونهوك عن كامل يظنونه ناقصا، وقد قال الشيخ الأجل سيدي الشريشي رضي الله عنه في رائيته في هذا المعنى:

ولا تسألن عنه سوى ذي بصيرة ... خلي من الأهواء ليس بمغتر

فمن صديت مرآة ناظر فهمه ... أرته بوجه الشمس من كلف البدر

قال فقلت له ومن هو يا سيدي، قال: هو الشيخ الجليل، الشريف الأصيل، الغوث الجامع، والبحر الواسع، أبو الحسن سيدي علي بن عبد الرحمن العمراني، الملقب بالجمل عند أهل فاس، وعند ملائكة الرحمان بالجمال في حكاية عن بعض الأولياء رضي الله عنه كان ممن تكلمهم الملائكة وتسلم عليهم قال أخبرتني الملائكة عن سيدي علي الجمال أنه ولي الغوثية منذ ثلاثين سنة، وقد أخبرنا صاحب الترجمة عن هذا الرجل أنه رآه وقد تروحن حتى صار جسمه كبالارجْ وهو قليل الألفة للناس، ولا جرم أن الملائكة والأنبياء عليهم السلام ينظرونهم الأولياء ويكلمونهم يقظة ومناما، ومن أراد أن ينظر بعض ذلك فليطالعْ كتبهم كتنوير الحلك في إمكان رؤية النبي والملك للإمام الحافظ جلال الدين السيوطي وكتاب التوحيد والإمام الرصاع والإمام اليافعي والساحلي والحاتمي والجيلي والغزالي وابن مغيزل وغيرهم).

* (سمعته مرارا يقول: كنت نرى تسعة أقسام من سيدي علي رسولَ الله صلى الله عليه وسلم، والقسمة العاشرة كنت أراه فيها سيدي علي بن عبد الرحمن ولكني كنت فيها ضعيفا جدا، والله على ما نقول وكيل، وليس ذلك باختياري ولا باختياره، وإنما هو باختيار السميع البصير الذي أطلعني على حقيقته).

* (قال شيخ أشياخنا أبو العباس سيدي أحمد اليمني رضي الله عنه: ومنهم – يعني من الصوفية العارفين بالله تعالى – من يجد البقاء في أول وهلة، وذلك قليل ما له مثيل، وقد وقع والحمد لله هذا لأستاذنا صاحب الترجمة رضي الله عنه، فأول ما كشف الله له عن ذات نبيه صلى الله عليه وسلم، فكان رضي الله عنه لا يرى في نفسه وفي كل أحَد أحد ولا في كل شيء شيْء إلا ذات رسول الله صلى الله عليه وسلم، لكن بنفس ما يراه صلى الله عليه وسلم يرى الله تعالى رؤية واحدة مفردة متحدة، فضلا من الله ونعمة، ﴿ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ﴾ [آل عمران: 73]، ﴿ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾ [النساء: 113]. قال: والكون قد فقدته بالكلية، كما هو لا وجود له في الأحدية. وكان سكره مصحوبا بصحوه، وجمعه لا يحجبه عن فرقه في شهود الله ورسوله. قال: فما صدرت مني مصافحة للشريعة ولا تعديت حدودها، فهو رضي الله عنه ممن وجد البقاء أول وهلة، وقد كان يتقوى عليه الحال في بعض الأحيان لكن لا يخرجه عن حد الاعتدال ولا ينحرف عن مشهد الكمال كل الانحراف. قال: كان يتقوى حالي حتى يكاد جلدي أن يتمزق، وذاتي أن

تتلاشى وتمتحق، فنقصد جماعة أهل اللهو واللعب كجلائلي واقاريبي بقصد أن يضعف حالي ونتفتر في شهودي، فإذا به يتقوى أكثر مما كان عليه، فرجعت إلى ربي سبحانه فقوّاني حتى جعلني من أهل الصحو التام والسكر التام جامعا بينهما وقويا فيهما القوة الكبيرة، والله على ما نقول وكيل).

* (سمعت الشيخ رضي الله عنه مرارا يقول: كان الغالب علينا نذكر حلقة الذكر من صلاة العشاء إلى صلاة الصبح وفي النهار مثل ذلك، فهكذا كنا دائما متصلة أوقاتنا بذكر الله، قال ولقد كلمتني والله البطمة الكبيرة التي بالجامع بلسان فصيح كما يكلم أحدنا أخاه وقالت لي يا سيدي حين تذكرون الله هنا نستبشر ونفرح ونفتخر. وقد كان حالهم كبيرا لا يدرك وصفه بالتعبير، لأنه رضي الله عنه كلما تذكر تلك البدايات يتبدل حاله وتدور عيناه في رأسه ويقول: ما علينا إلا فضل الله وتلك الأيام فوقت ذكرنا لها نحيي ونعيش ويطيب وقتنا).

* (أوصاف البشرية هي مطايا السير للسائرين، وجناح الطيران للترقي في أعلى عليين للعارفين الواصلين، ولا يقول بعدمها أصلا إلا جاهل بتحقيقها وسرها رأسا، قال أستاذنا: القول بعدم وصف البشرية جملة هو القول بالحرية بلا عبودية وهو قول النصارى في اللاهوت بلا ناسوت في عيسى بن مريم عليه السلام، والوصفُ لا يقوم بنفسه ولا بد من ظهور معناه وحسه، وقال: ولولا الطّلا الذي به تنعكس أشعة الأنوار ما رُئي في المرآة فافهم).

* (فصلٌ فيما يتيسر من ذكر بعض أوصاف بشريته وروحانيته مجملا ونزر قليل مما رأيناه منه قولا وعملا: اعلم جعلنا الله وإياك من المنظومين في عقد سلكه، وسقانا رحيق كأسه المختوم بمسكه، أن ظاهره كان بشرية من جملة البشر تطرأ عليه أوصاف الإنسانية المضادة للأوصاف الإلهية: كان ينسى ويسهى، ولا يدري الأمور ويسأل عنها، ويضعف ويحرض ويحتاج ويتوقف ويفتقر ويعجز وينام ويأكل ويشرب وينكح ويخالط الناس ويبيع ويبتاع ويرهن ويتسلف ويتعجب ويضحك مما يضحك الناس ويمزح بالأدب ويشير في ذلك إلى مندرجة، إلى غير ذلك من أوصاف البشرية التي لا تناقض العبودية، بل بها وفيها كمالها، وبوجودها ظهر سر الربوبية وجمالها، والحاصل ظاهرُه كالناس، وباطنه وحقيقته والله ليست كالناس وإن وافقهم في العورة، فمشاهدته لم تكن كهم في نفوسهم وفي الكائنات محصورة. كان يقول على الدوام: كل شيء ظن الناس لحوقه ورجوا إدراكه إلا

كونهم يذكرون الله عز وجل ذكرا حقيقيا يرحلهم عن هذا الوجود حتى يفنى في نظرهم ويتلاشى ويضمحل ويزول ولم يبق إلا الملك الحق الواحد الأحد سبحانه لا إله إلا هو، لم يظنوا ذلك مع أن الأمر حقا كذلك، ووالله لو قرض جسم العارف بالله حقيقة بالمقارض ما خطر على قلبه شيء سوى الله تعالى، أبى المحققون أن يشهدوا غير الله إذ لا وجود لشيء سواه.

وسمعته يقول: العارف هو الإكسير الذي يقلب الأعيان حقيقة لا محالة، كان عندنا مفارقة بعض الأمور من المحال القطعي من جملتها الأكل والشرب والنوم والجماع ومخالطة الناس والاستئناس بهم، فإذا بنا إن شئنا والله أن لا نأكل ولا نشرب ولا ننام ولا نباشر النساء ولا نخالط الناس لكان لنا ذلك بلا مشقة ولا تعب.

وسمعته يقول: إن رأيتموني مفتقرا أو محتاجا ومضيقا وعاجزا ومهانا ومنكسرا وذليلا وضعيفا وهكذا، فإني في الباطن والله لست كذلك ولا أنا هنالك، إذ تبدل وصفي بوصف سيدي ونعتي بنعته، سبحان من ستر سر الخصوصية بظهور وصف البشرية، وظهر بعظمة الربوبية في إظهار وصف العبودية).

* (كان رضي الله عنه لا يخل بأمر من الأمور التي وردت عن الشارع صلى الله عليه وسلم عادة وعبادة من كل الآداب، في أكل وشرب ولباس ونوم ويقظة ودخول وخروج وركوب ونزول وقيام وقعود ومعاشرة أهل وحركة وسكنة في الملأ والوحدة وملاقاة الناس ومباشتهم ونصحهم بالتي هي أحسن وبذل المعروف لهم وإغاثتهم وتفريج كربهم وتذكرهم بالسنن والآثار وحكاية الأبرار، وتعاهدهم بالموعظة من غير أن يسئمهم ويقنطهم أو يتركهم سدى، ولا يؤمن من مكر الله، ولا ييأس من روح الله، ويعود المرضى، ويشيع الجنائز، ويحضر الولائم إن دعي، ويتعجب مما يتعجب منه، ويضحك مما يضحك الناس، ويبسط الصبيان والعجائز بالقول المباح، ويجلس حيث انتهى به المجلس، ويلتفت ويقبل على كل أحد من جلسائه حتى يظن أنه أحب الحاضرين إليه، ويستفهم مَنْ كلَّمه، ويكرر الكلام إن حدث بحديث، نسَّابة يسأل كل أحد من الناس ويلحقه بشعبته وقبيلته، أزهى الجلساء وأعلاهم، وأطول القائمين وأملأهم، لو كان معه ألوف من الناس من أمثاله لم يقع النظر إلا عليه، من غير طول مفرط، جميل الصورة غاية، معتدل الأعضاء، نير الوجه، صافي البدن، كثيف اللحية، ما رآه أحد إلا أحبه ولو كان عدوا له، وبالجملة كان آية من آيات الله خلْقا وخلُقا، خليفة لرسول الله صلى الله عليه

وسلم حقا وصدقا، وأنَّى لي أن أصفه وفاقا نسقا، فهذا والله بعيد).

* (ويتلو قول الله عز وجل ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ [الحج: 78] ويقول لو قال لنا أحد من غير الله ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ لأعجبنا ذلك وفرحنا به فكيف بكلام العزيز الحكيم الذي ليس كمثله شيء وهو السميع البصير).

* (وسمعته يقول: منذ خمسة وخمسين سنة قد فتح الله علي فتح العارفين به فرأيت أن كل واحِد واحد من الناس خصته حوائج شتى، وهم في الحقيقة كلهم ما خصتهم إلا حاجة واحدة وهي الإقبال على الله والإعراض عن ما سواه).

* (وسمعت شيخنا صاحب الترجمة رضي الله عنه يقول في قول بعضهم "كابدتُ الليل عشرين سنة فتنعمت به عشرين سنة" وقال الآخر "كابدت القرآن عشرين سنة فتنعمت به عشرين سنة": والله لو كابدوا الفقر أقل من هذا العدد لتنعموا به أبد الآبدين).

* (وقال إمامنا سيدي الشاذلي رضي الله عنه: والله ما رأينا العز إلا في الذل، وقال أستاذنا صاحب الترجمة رضي الله عنه: "والله ما رأينا الذل إلا في الفقر، فمن أراد أن يذل نفسه فليفقرها من الدنيا ومن الناس إلا من ينهض حاله ويدل على الله مقاله، إذ لا شيء أثقل على النفوس من ذلك").

* (قد قال غير مرة عند سبب يقتضي تدكدك الجبال الرواسي: فوالله لو قطع عنقي بمنجل مضرس حتى لم يبق منه إلا عرق واحد ما اضطرب ذلك العرق ولا اختلج، أو كلام هذا معناه).

* (ودخلتُ عليه صبيحة اليوم الذي دخل السجن وهو في السجن فسلمت عليه، فباششني وخلقني بخلقه كعادته مع كل بشر، وقال لي: وجدتني أقول إذا أطلق الله سراحي من هذا السجن بفضله نخبر الفقراء بحقيقة التصوف وقيامه بالنفس واتصافها به وصفا لازما وامتزاجه بالذات دما ولحما. قال لي: قل لي كيف ذلك، قلت: لم، قال: لما كنا البارحة بين هؤلاء القوم وكثر الهرج وهم مجتمعون علينا أخذتني سِنَة كالنوم، ووقع لي والحمد لله مثل ما وقع لأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد قال تعالى ﴿ إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ ﴾ [الأنفال: 11]، فلم أدر ما قيل ولا ما كان فأخبرني كيف كان الأمر، فأخبرته بتفصيل ذلك كله كيف كان، وقد كان يوما عظيما وأمرا جسيما، فقال لي: ما دريت شيئا من هذا وإنما أنا

أثق بخبرك وما وقع لي هو ما قلت لك ولم أفق حتى قال لي بعضهم بباب السجن ادخلْ يا سيدي تؤدي حكم الله، فشعرت وعلمت أنهم أرادوا سجننا أو قتلنا، فالتفت إلى باطني في الحين بنفس مقالته فإذا أنا ساكن مطمئن لم يختلج في عرق واحد، ولا جزعت ولا اخترت حالة على حالة ولا تمنيت شيئا ولم أفقد شيئا ولا فرقت بين حياة وموت وهكذا، وهذه مدة تزيد على خمسة وخمسين سنة وأنا أقول للإخوان: الوصول إلى الله هو الوصول إلى العلم به، ومن وصل لهذا المقام حصل له الاكتفاء بالله والغناية بشهوده، والمكتفي له دلائل شتى: منها ألا يستوحش حين يفارق ما يهوى، ولا يحس بفقد شيء من الأشياء جليلا كان أم حقيرا، لأنه يجد الوجد في الفقد، والعز في الذل، والغنى في الفقر، والقوة في الضعف، والتاسيع في الضيق، والحبيب في العدو، والعطاء في المنع، والبسط في القبض، والجبر في الكسر، والرفعة في الإهانة، والقرب في البعد، والموت في الحياة، وهكذا، إذ هم رضي الله عنهم يرون الجلال عين الجمال، وقد حقق الله لنا ذلك بهذه القضية وبغيرها، والحمد لله، فالله الله يا إخواني، وإياكم ثم إياكم أن تعتقدوا أن الإنسان إذا ذكر الله تعالى حقيقة لم يكتف به، وإياكم ثم إياكم أن تعتقدوا ذلك إذ هو من المحال القطعي.

وقد كان قبل هذه القضية بمدة طويلة يقول: كل من حصل فقره على الصَّحّ منكم يا إخواني فليخبرني، ومن لا فليخبرني أيضا، وكان يعني به حال التصوف حقيقة من استواء الحالات، فلم يقل له أحد أنا حصل لي فقري على الصح، ولم يكن سوى إظهار العجز من المبتدئ والمنتهي: الأول حقيقة والثاني أدبا كما قال إمام العشاق أبو حفص سيدي عمر بن الفارض رضي الله عنه في تائيته:

ويحسن إظهار التجلد للعِدَا ويقبح غير العجز عند الأحبة

وحين لم يجاوبوه عن حقيقة الأمر المرة بعد المرة كره أن يبقى الأمر مبهما، وربما يدعيه المبتدئ جهلا بحقيقته ويتوهم أنه بلغ أقصى الكمال وهو في مبدأ قدم من الطريق، قال رضي الله عنه: من وقف فقره على الصح وصل إلى ربه، ووصولُه إليه وصولُه إلى العلم به، ووصولُه إلى العلم به هو الاكتفاء بشهود عظمة ذاته، والمكتفي به له دلائل وبراهين كثيرة منها ألا يستوحش من فقد شيء من الأشياء الخ).

* (ولما قربت وفاته رضي الله عنه صار يوصينا، ويكرر ويؤكد على أن

نستوصي خيرا ببعضنا بعضا، وأن نواظب على النظافة التي هي شرط الإيمان، والمسكنة، والتجريد من الدنيا ظاهرا وباطنا، وحلقة الذكر التي هي رياض الجنة كما ورد عنه عليه السلام، وتسوية صف الصلاة الذي هو من إتمام الصلاة ومن حسن الصلاة، ويقسم بالله إنكم إن دمتم على هذه الوصية حتى يحي الله بكم البلاد والعباد، لأن هذه الأمور هي أركان القوم رضي الله عنهم وقد اندرست وأنتم أحييتموها أحياكم الله، وأكد أيضا تأكيدا محتما على ذكر الورد والدؤوب عليه بعد صلاة الصبح وبعد صلاة المغرب وهو: أستغفر الله مئة واللهم صل على سيدنا محمد عبدك ورسولك النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم مئة ولا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير مئة، وفي سائر الأوقات لا إله إلا الله من غير عدد ولا كلفة ولا مشقة).

ترجمة مولاي العربي، اقتبستُها من وصية مولاي الطيب بن مولاي العربي الدرقاوي.

قال مولاي الطيب بن مولاي العربي الدرقاوي رضي الله عنهما:

* (كان والدنا مولاي العربي الدرقاوي أقبل على الله بكليته بعد توفيق الله له، فأقبل الله عليه وصرف إليه وجوه وقلوب عباده في حياته وبعد مماته شرقا وغربا، وأتته الدنيا راغمة، ومع ذلك لم يشتر لنا دارا بفاس، ودخلت في يده القناطير رضي الله عنه فكان في إنفاقها في سبيل الله أسدا، ولا يستكثر في مرضات ربه عددا، وكان لا يدخر لنفسه ولا للولد، إذ كان غاية همه الإقبال على الواحد الأحد، وبذلك فاز، هو ببني زروال وشمسُ ضحاه مشرقة في نواحي مكة وأرض الحجاز، ولو أشار إلى إخوانه رضي الله عنهم بشراء دار لاشتروها)

* (ولم ينل في عصره رفعته أحد إلا آل وزان فقط هذا في إقبال الخلق، وأما طريقة القوم الصوفية لم يلحقه في غربنا في زمانه لاحق، ولم يسابقه في علمها وعملها سابق، وأدَّب المريدين، وأوضح لهم طريق العارفين، وانجمعتْ قلوب كثير الخاصة على محبته، وعكفوا هممهم بحضرته، حتى منهم من قال " لولا العربي ما عرفت ربي"، فحين توفاه الله إليه قدس الله روحه خلفنا ثلاثة: واضع هذا وأخوين أشقاء وأخت شقيقة لهما).

قال مولاي عبد العزيز بن مولاي الطيب بن مولاي الطيب بن مولاي العربي الدرقاوي:

* (الزاوية الدرقاوية لعبت دورا طلائعيا في محاربة الاستعمار الفرنسي

وأذنابه، وخير دليل على ذلك شهادة المجاهد الأكبر أمير البيان الشيخ شكيب أرسلان إذ قال: "أما الطريقة الشاذلية فقد تأسست في النصف الأول من القرن الثالث عشر للميلاد، ومركزها بوبريح في مراكش [أي المغرب]، وكان من أشياخها سيدي العربي الدرقاوي المتوفى سنة 1823 م، الذي أوجد عند مريديه حماسة دينية شديدة امتدت إلى المغرب الأوسط [الجزائر] وكان للدرقاوية دور فعال في مقاومة الفتح الفرنسي" الجزء الثاني من المجلد الأول من حاضر العالم الإسلامي، الصفحة 396، وقد ذكر أيضا في نفس الكتاب "حاضر العالم الإسلامي" في موضوع جهاد الشيخ مولاي العربي المذكور ما نصه:"كان يوجد بالمغرب شيخ يقال له الشيخ مولاي العربي الدرقاوي الدّركلي الذي عاصمته بوبريت [أي بُوبْرِيحْ] ما دام هذا الشيخ حيا لم تطمع فرنسا في دخول الشمال الإفريقي، لأن الأمير عبد القادر الجزائري كان تلميذا للشيخ مولاي العربي وكان هو الذي يأمره بالجهاد").

* (الحركة الوطنية ليست حديثة العهد ولا هي انطلقت منذ احتلال وطننا العزيز [أي المغرب] من طرف أسبانيا وفرنسا، بل هي قديمة بدأت في عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الله قدس الله روحه، وقد حمل لواء هذه الحركة الوطنية المباركة الشيخ مولاي العربي الدرقاوي، وحركته الوطنية هذه لم تكن محدودة ولا هي مقتصرة على أرض المغرب فحسب بل جاوزت حدود الجزائر، ويكفينا فخرا أن نقدم للسادات القراء الكرام رسالتين من بين الرسائل التي وجهها السلطان مولاي سليمان رحمه الله إلى الشيخ مولاي العربي الدرقاوي يكلفه فيها بأمورَ هامة كسفره لوهران سنة 1220 هجرية للإلتقاء بالأمير عبد القادر الجزائري:

نص الرسالة الأولى:

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما

محبنا الفقير الشريف مولاي العربي الدرقاوي، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد فقد وصل كتابك وعرفنا ما فيه وبلغنا كتاب الشريف سيدي عبد القادر بن الشريف [الجزائري] وكتبنا له الجواب وها هو يصلك فطالعه وتدبر أمره، فإن الذي ظهر لنا من الرأي تأخير هذا الأمر إلى خروج فصل الشتاء ودخول فصل الربيع فهو أليق وأصلح، إذ فصل الشتاء لا يتحرك فيه أحد من كثرة الوحل وعمارة الأودية وقلة المرافق، فإذا خرج الشتاء نتوجه بحول الله وقوته بأنفسنا وعساكرنا

المظفرة ويكمل الفتح إن شاء الله، فأكدْ على سيدي عبد القادر إذا سمع بوصولنا لوجدة أو تلمسان يقدم علينا إن شاء الله في متم شعبان 1220 هجرية.

نص الرسالة الثانية:

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

محبنا في الله الشريف الحسني الفقيه البركة سيدي العربي الدرقاوي، سلام عليك ورحمة الله وبركاته، وبعد فقد بلغنا كتابك فجزاك الله خيرا عن نصحك للمسلمين، فإننا لا نريد إلا العافية والهناء لكم ولذلك وجهناك، وما ذكرت من قدومك ببيعة ولدكم السيد عبد القادر بن الشريف [أي الجزائري] مع أصحابه فمرحبا به وبأصحابه، فالله يوفقه للخير ويعينه عليه، وقد أحسنت في الإتيان بتلك القافلة وجلوسك عليها حتى خلصها الله على يدك من التلف، فالكل في ميزان حسناتك إن شاء الله، وإذا قدمت علينا نتشاور معك في أمر تلك الناحية، وما تشير عليه يكون العمل إن شاء الله لأنه ليس من رأى كمن سمع، والسلام في 16 جمادى الأخيرة عام 1220).

* (إن الطريقة الدرقاوية كانت مشعل الحركة الوطنية في الحاضرة والبوادي حيث جنَّدت مريديها الصلحاء لنشر تعاليم الإسلام وجمع كلمة المواطنين عليها وتوحيد صفوفهم بالبيعة والطاعة للملوك العلويين الأمجاد، أليس هذا السلوك حركة وطنية حقيقية، أليس سلوك جدنا الأكبر الشيخ مولاي العربي حركة وطنية حينما وقع القحط في عام من الأعوام وقصده سكان قبيلة بني زروال ليطلب معهم الغيث، فلبَّى رغبتهم وأمرهم بالوضوء وصلاة ركعتين فامتثلوا لأمره وعادوا إليه، فخاطبهم بقوله: "ارفعوا أكفَّكم إلى السماء عالية وقولوا بأعلى أصواتكم: الله ينصر السلطان سيدي محمد بن عبد الله العلوي". ثم بيّن لهم أن السلطان هو خليفة الله في الأرض على جميع المؤمنين، فكيف بكم- يقول الشيخ- تستغيثون الله ليمطركم ماءً وأنتم لم تنصروا خليفة الله، فقالوا بلسان واحد: "الله ينصر السلطان اذْيالنا سيدي محمد بن عبد الله العلوي" [السلطان اذْيالنا: أي سلطانُنا]، وسرعان ما ظهرت بوادر الغيث وهم خاشعون بالتضرع للسلطان، وتراكمت سحب الغيث في السماء وتساقطت أمطار غزيرة في الحال، فحمد الشيخُ الله واتجه إليهم كواعظ مرشد للبيعة والطاعة والإخلاص والوفاء، ومنبه لما يتحمله كل مسلم من مسؤوليات الخلاف والعصيان أمام الله قائلا لهم: أغاثنا الله بغيثه ونشر رحمته علينا بفضل

خليفته الصالح، دعوتم الله له بالنصر فاستجاب دعاءكم بالغيث، فعليكم أن تلتزموا ببيعتكم للسلطان وطاعته، فمن لا ولي له ولا سلطان فالشيطان وليه وسلطانه. استبشر الجميع وعاد كل واحد منهم راضيا مرضيا.

فلا بأس هنا أيضا أن نشير إلى قصيدة العلامة الجليل سيدي عبد القادر الفاسي رضي الله عنه، القصيدة التي مدح بها الشيخ مولاي العربي ونوّه بولايته وأسرارها والأعمال الجليلة التي كان يقوم بها والغيرة الوطنية الصادقة التي كان يتحلى بها، فالقصيدة طويلة جدا، نكتفي بذكر أبيات منها:

الحمد لله شارق الأنوار ... على قلوب أهله الأبرار

ثم على محمد المختار ... أزكى صلاة وعلى الأخيار

أصحابه وآله الأطهار ... ما كوّر الليل على النهار

يا طالبا طريق الهداية ... خذها وجنب الغواية

في غربنا ووقتنا بسند ... موصل إلى النبي محمد

عن الإمام العارف الرباني ... أبي المعالي العَرْبِي النوراني

الحسني نسبا الدَّرْقاوي ... لقبه أعظم به من راوي

جنيد وقته وشاذلي ... زمانه وولي وتقي

قد ظهرت طريقته وانتشرت ... أعلامها بذكره واشتهرت

فهو حجة على المخلوق ... اعلق به تنل من التحقيق

قد أظهر الحقيقة الشريفة ... وبيّن الطريقة المنيفة

وحقق الطريقة الوجودية ... ووضّح الشريعة الحنيفية)

قال سيدي محمد البشير بن عبد الله الفاسي الفهري في كتابه "قبيلة بني زروال":

* (وكان- لمولاي العربي الدرقاوي- اهتمام كبير بالسعي في مصالح المسلمين وإخماد نار الفتنة بينهم وجمع كلمتهم على طاعة أئمتهم، فقد قام بأعمال جليلة في هذا السبيل أيام سلطنة السلطان المقدس مولاي سليمان بن سيدي

محمد بن عبد الله العلوي إذ كثيرا ما كلفه بأمور هامة كسفره لوهران سنة 1220 عند أميرها مولاي عبد القادر بن الشريف، وقد وقفت على رسائل من السلطان المذكور للمترجم تدل على ما له من الأيادي البيضاء في جمع الكلمة وإخماد نار الفتنة).

* (وانحشر الناس للأخذ عنه من كافة الأقطار والأمصار، وتلمذ له الشريف والمشروف، والرئيس والمرؤوس، حتى قال العلامة أبو حفص الحاج عمر ابن سودة المري كما في مقدمة كتاب رسائل المترجَم بقلم العلامة سيدي أحمد بن الخياط الزكاري رحمهما الله: لم يمت مولاي العربي حتى خلف نحو الأربعين ألف تلميذ كلهم متأهلون للمشيخة.

قلتُ وممن أخذ عنه من العظماء جلالة السلطان مولاي عبد الرحمن بن هشام العلوي المتوفى عام 1277، وسيدي عبد القادر بن الشريف سلطان وهران المتوفى سنة 1233، وكفى بجلالة منصب الإمارة دليلا على بعد صيته ورفع علمه في عصره على سائر مشايخ وقته).

قال العلامة سيدي المختار ابن الشيخ سيدي الحاج علي السوسي في كتابه "من أفواه الرجال":

* (قال مولاي العربي الدرقاوي رضي الله عنه: حضرتْ معي بركة شيخي قبل أن أعرفه حين لا تنقاد لي الدنيا، فكلما هززت منها ثمرا يساقط علي حشفا، فكان ذلك مما زهدني منها، ورد قلبي عنها، واستأصل جذورها من نفسي).

* (...ما وقع للشيخ مولاي العربي الدرقاوي رضي الله عنه، وذلك أنه بعد أن كانت له قدم كبيرة في تربية المريدين، كان مرة بفاس فوصله بعض فقراء له من زاويته ببني زروال فذكروا له أن المطمورات التي في المكان الفلاني- وكانت بِخلاء هناك- قد أصبحت يوما ولا حبة فيها قد طاف بها الطوافون. فقام مولاي العربي فأكرم الفقراء الذين معه إكراما جما، فقالوا فيما بينهم هذه بشارة عظمى بشر بها الشيخ، فلما أكلوا وشربوا قال لهم هذا إكرام لمطمورات ذهبت حبوبها، فقالوا له أو يستحق مثل هذا الكرم عليه- وعادة الفقراء أن كل من حدثت عليه نعمة يكرم من أجلها الفقراء- فقال لهم: أية نعمة أعظم من هذه، أو ليس أن الله علم منا صدق بواطننا وأن نفوسنا قد سختْ بهذه الحبوب وأننا نوينا أن نطحنها ونطبخها ثم نطعمها لعباد الله، كفانا كل تلك المشقة والتعب).

قال سيدي عبد السلام ابن سودة في كتابه "إتحاف المُطالع، بوفيات أعلام القرن الثالث عشر والرابع":

(وفي ليلة الثلاثاء ثاني وعشري صفر توفي العربي بن أحمد بن الحسين بن علي الحسني الإدريسي الشهير بالدرقاوي، الشيخ الشهير، والمربي الكبير، الولي الصالح، صاحب الأتباع الكثيرين، وله الزوايا في جل مدن المغرب. ولد بعد الخمسين ومائة وألف، ثم تحققتُ أن ولادته كانت عام تسعة وخمسين ومائة وألف، له رسائل شهيرة، وألفتْ في مناقبه ومناقب أتباعه تآلف، وما زالت طريقته شهيرة إلى الآن، وزواياه وأتباعه قائمون بالذكر والعبادة. دفي في بُوبْريح من قبيلة بني زروال).

قال سيدي عبد الكبير الفاسي في كتابه "تذكرة المحسنين، بوفيات الأعيان وحوادث السنين":

(وفي سنة تسع وثلاثين ومائتين وألف، توفي بها الولي الكبير، والعارف الرباني الشهير، آخر أهل التربية بالمغرب، وصاحب الكرامات التي يُحجم عنها كل معرب، مُحيي الطريقة الشاذلية بعد اندثارها، ومجلّي بحقائقه العرفانية جميع أطلالها وآثارها، ممن طبَّق الآفاق بأتباعه الذاكرين، وشعشع أنوار اليقين بقلوب عباد الله المؤمنين، وهدى الله به أقواما ففازوا، وهنيئا لهم بما قد حازوا، ذو الشرف الصميم والقدر السني، سيدنا ومولانا العربي بن أحمد الدرقاوي الحسني نفعنا الله به).

قال شيخُ العلماء سيدي أحمد بن الخياط في مقدمته على رسائل مولاي العربي الدرقاوي:

(بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله

الحمد لله الذي جعل في كل الأزمنة داعيا، وإلى معالجة أمراض النفوس وطريقة إصلاح القلوب هاديا، فسَعد من لدعوته ملبيا، وبقي بعضال دائه من كان متكبرا أو مستحييا. سبحانَه سبحانه طهَّر قلوب من شاء من العباد، وجعلهم أئمة في طريق الرشاد، سلكوا الطريق إلى الله وعرفوا أوحالها، واطلعوا على دسائس النفس وعلموا أفعالها، فهداهم المولى إلى سبيله بعد المجاهدة، واطمأنت نفوسهم بعد المقاتلة والمكابدة، وتقربوا لمولاهم بخالص النية، وتقرب منهم مولاهم كما يليق

بالذات العلية، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، عَلَّمَ من شاء من عباده العلوم اللدنية، وأشهد أن سيدنا محمد عبده ورسوله الذي من اقتدى به رقي المراقي السنية، صلى الله عليه وسلم وعلى آله الذين زهدوا في هذه الدار، وعملوا محبة في ذات الحق سبحانه لا طمعا في جنة ولا خوفا من نار، صلاة وسلاما ننتظم بهما في سلك من أحَبّ الأبرار، وننال بهما مزية (أنت مع من أحببتَ) في دار القرار.

وبعد، فإن هذه رسائل الشيخ الإمام، الغوث الهمام، الذي انتفع به الخاص والعام، الولي الشهير، والصديق الكبير، العارف الكامل، المحقق الواصل، المغرق في بحر الأحدية، المتلاشي في عظمة الذات العلية، الممكن الراسخ، الطود الشامخ، الجامع بين الشريعة والحقيقة، الحائز في كل مقام تحقيقه، كهف الأنام، وملجأ الخاص والعام، حذو مقدمة الأئمة الأماجد، ومحي سنة المصطفى صلى الله عليه وسلم التي يجب العض عليها بالنواجذ، آية الرحمن، ونادرة الزمان، كلمة الله اللدنية، ومجمع تجلياته السنية، الشريف الدرقاوي الحسني المربي، أبي المكارم سيدنا ومولانا العربي، نفعنا الله ببركاته، وأعاد علينا من نفحاته، أرْسلَها إلى من انتفع بصحبته، ودخل تحت لوائه وفي حضرته، أحبّته الذين رفع عنهم الأستار، وتباعدت عنهم الأغيار، وصار الليل عندهم ضحوة النهار، وتلاشى الكون في أعينهم بمشاهدة الواحد القهار، فيا لها من مشاهدة ما أحلاها، ويا لها من مقامات ما أعلاها.

هي رسائل تنبئ عن مقام مُرسلها، وتعلن بمعارفه في قولها، صفتْ مشاربه للظمآن، وظهرت مخدّراتها ظهور الشمس للعيان، جمعتْ من الأحاديث والآثار، ومن المواعظ وآيات الاعتبار، ما تشهد بسببه العقول وتجتمع الأنظار، أنّ علم صاحبها بحر زخار، فيها أمور الشريعة وأقوالها، وسُنن الطريقة وأعمالها، وأسرار الحقيقة وأحوالها، كل ذلك بأوجز لفظ وتحرير عبارة، وأوضح إشارة، وكانت عنده على حسب الوقائع، إذ الجواب على قدر السؤال، وكل رسالة تغني صاحبها الغنى الأكبر، وتبلغه غاية الأمل والوطر، وبالجملة فمُحصل هذه الرسائل، لا يلتفت لسواها من الكتب والرسائل، فشدّ أيها الأخ اليد عليها، واعمل بمقتضاها وتخلق بأخلاقها، فما فيها إلا شريعة سيد المرسلين، وطريق السالكين، وإشارة المحققين الواصلين العارفين، ومواجيد المحبين المحبوبين، هي كصاحبها معروفة مشهورة

في كل الأقطار، منتشرة بانتشار هذه الطائفة الدرقاوية طائفة الأبرار، غير أن بعض الشرفاء الكرام، والسادات العظام، طلب أن تجعل لها خطبة كسائر المؤلفات، وتذكر معها جملة من أحوال هذا العارف الكبير وإن كان النهار لا تقام عليه الدلائل والبينات، فلم تسع إلا مساعدته، وأن تجاب طلبته ورغبته، فأقول:

صاحب هذه الرسائل هو الشيخ الإمام، الغوث الهمام، العارف الرباني، المحقق الصمداني، شيخ المشايخ العارفين، وقدوة الصدور المربين الواصلين الكاملين، مَنْ بالنظرة والعطفة يداوي، ولغير سيده ومولاه لا يأوي، الشريف الحسني أبو المعالي، مولاي العربي بن أحمد الدرقاوي، فهو رضي الله عنه من ساداتنا الشرفاء أهل بيت الرسول المصطفى، الذين عنهم الرجس انتفى، وشمس مجدهم ما لها خفا، من الفرقة التي لقبها الدرقاويون، وهم في بقاع من الأرض منتشرون، وفي أماكنهم معظمون، وبحيازة النسب الشريف معروفون، ذكرهم غير واحد من أهل التآليف، ورُفع نسبهم الشريف في الكتب والتصانيف، عند ملوك الإسلام، بأيديهم ظهائر [1] الآمرة بتعظيمهم بين الأنام، سيّما ظهائر الشريف الجليل أمير المؤمنين مولانا إسماعيل فقد بحث عن الأشراف، وميّز اليواقيت من الأصداف، واستعمل النظر، وتوّج بطابعه الشريف من له الدليل المعتبر. قال أمير المؤمنين ابن أمير المؤمنين ابن أمير المؤمنين سيدي محمد بن مولانا عبد الله بن مولانا إسماعيل في ظهير له ما نصّه: ولا يحل لنا أن نهمل ما أظهره الله بالمواجب الشرعية والظهائر السلطانية لأن الملوك الأقدمين كانوا لا يحددون جديدا إلا بعد شهادة أهل بلادهم لهم بتحقيق نسبهم، وقال في هذا الظهير أيضا قبل هذا ما نصه: ويعلم ويتحقق أن العلماء العاملين أجمعوا على أن النسب المقطوع به في غربنا من غير شك ولا ريب هو ما أدخل في دفتر مولانا الجد رحمه الله بعد ما تحقق أمره لأنه اتبع القرى والمداشر والحواضر وشهدتْ لهم الكافة والجمهور، وحقق من دفتر أبي العباس المنصور، وبحث فيه أولا وثانيا فإذا هو مشهور، وبوجوده- رحمه الله- انقطعت شوكة أهل الظلم والجور والجرأة والعناد بالكذب على سيد العباد، انتهى المراد منه. ونحوه لمولانا سليمان في ظهير له وذكر فيه مولانا العربي رضي الله عنه ووصفه بالزهد والمعرفة بالله، في قضية ذكرها في شأنه.

(1) الظهائر أي المراسيم.

ولا شك أن هذه الطائفة من الأشراف منتشرة، وفي مواضعها مشتهرة، ففرقة منها بفاس دفع الله عنها كل بأس بالعيون تعرف بأولاد ابن عبد النبي، وكانت في هذه الفرقة المباركة النقابةُ زمن مولاي إسماعيل وسيدي محمد بن عبد الله ومولانا سليمان كما وقفت على ذلك في غير موضع، ومنها فرقة بسوس الأقصى، ومنها فرقة بساحل دكالة بثغر أسفي التي بها ضريح الولي الصالح الشهير الواضح أبي عبد الله صالح شيخ الشيخ الكبير أبي مدين الغوث نفعنا الله به، والكثير منها بقبيلة بني زروال، وكلهم أهل حياء وسخاء ومسكنة وعفة، وجدّهم الذي ينتسبون إليه هو الإمام أبو عبد الله سيدي محمد بن يوسف الملقب بأبي درقة [1] كان رضي الله عنه عظيم القدر، شهير الذكر، كان رضي الله عنه عالما عاملا زاهدا كثير القيام والصيام والصدقة يختم القرآن كل يوم مجاهدا في سبيل الله وكانت له درقة كبيرة يتوقى بها في الحروب فصار يقال له أبو درقة، وضريحه مشهور للزيارة عليه قبة متقنة بتامَسْنة بقبيلة الشاوية قريبا من وادي أم الربيع، وهو من ذرية مولانا أحمد بن مولانا إدريس بن مولانا إدريس رضي الله عنهم.

وقد كان الشيخ مولانا العربي رضي الله عنه في حال شبابه تحيَّر في أمر نفسه، فأراه الله تعالى ذلك عيانا وكشف له عن نور كالنور الذي تسميه العامة عروسة المطر [2] ضاربا قوسا من النبي صلى الله عليه وسلم إلى مولانا إدريس ومن مولانا إدريس إلى سيدي أبي درقة ومن سيدي أبي درقة إلى والد مولانا العربي رضي الله عنه، وهذا التحير كثيرا ما يعتري الأفراد من آل البيت رضي الله عنهم وسببُه شدة التعظيم لهذا النسب الشريف وخوف الدعوى، وهذا الخوف من الورع، وإلا فكل من وجد قومه يدعون نسبا حُرم عليه أن يدعي خلاف ذلك وكذب آبائه.

ثم إن بني زروال هي مولد الشيخ مولانا العربي رضي الله عنه ومنشأه وموضع استقراره، وبها توفي وبها ضريحه، وهذه القبيلة مباركة لها منافع كثيرة وخواص شهيرة، منها أن بها أولاد الخلفاء الأربعة ساداتنا أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم، ومنها أن الولي الكبير الأستاذ الشهير سيدي الحاج بن فقيرة الزروالي قرأ سلكة [3] برواية السبع في الروضة الشريفة روضة النبي صلى الله عليه

(1) الدرقة أي الدرع وما يتقى به السيف.

(2) أي قوس قزح.

(3) أي ختمة من القرآن الكريم.

وسلم فلما ختمها أجابه صلى الله عليه وسلم وقال له: هكذا أنزل عليّ أيها الإمام الزروالي بارَك الله فيك وفي قبيلتك الزروالية، ومنها ما جمع الله فيها من الزروع والعنب والزيتون والفواكه وشجاعة أهلها.

وكان هذا الشيخ مولانا العربي رضي الله عنه يقول: منْ مسَّ ثوبه ثوب الزروالي يربح ولا يخسر، وكأنه رضي الله عنه أشار بهذا الكلام لنفسه تحدثا بنعم الله تعالى ونصيحة لعباد الله، فإن أولياء الله تعالى إكسير القلوب من رآهم سعد بهم سعادة لا يشقى بعدها أبدا، وقال الشيخ الأكبر والعارف الأشهر أبو الحسن الشاذلي في شأن تلميذه أبي العباس المرسي رضي الله عنهما: نعْم الرجل أبو العباس يدخل عليه الأعرابي يبول على ساقه فيُوصله إلى الله من حينه، أو كما قال، وقال الشيخ أبو العباس رضي الله عنه: والله ما بيني وبين الرجل إلا أن أنظر إليه فإذا نظرت إليه أغنيته، أو كما قال، ومن كلام مولانا التهامي بن سيدي محمد الوزاني العلمي اليملحي رضي الله عنه:

مـــنْ جـــا لحـــضرتنا يبـــرا ... يمـــشي بقلـــب مـــستامن

مـــن جـــا نحـــاس يمـــشي نقـــرا ... رســـول الله هـــو الـــضامن

قلتُ وقد كان مولانا العربي الدرقاوي صاحب الرسائل رضي الله عنه أعجوبة الدنيا في قلب الأعيان، فكمْ فتح الله على يده وعلى يد أصحابه وورثته من بعده أعينا عميا وقلوبا غلفا وآذانا صما عن الشعور بالحضرة الإلهية فلم يشعروا إلا وهي معشش قلوبهم ومقرّ أرواحهم نفعنا الله ببركاتهم.

فإن قلتَ: إن هذا السيد العارف من آل بيت الرسول ومن أشهرهم فليس بزروالي؟ قلتُ: قد قال علماء الحديث منْ أقام بموضع أربع سنين ذهب إليه أي صحتْ نسبته إليه. ولد مولانا العربي رضي الله عنه بعد الخمسين والمائة والألف، بقبيلة بني زروال، ونشأ عند أهله في عفاف وصيانة وحياء ومروءة، وكان وقت صباه مشتغلا بالقراءة والزيارة لا يعرف إلا الأخيار مؤيدا محفوظا، قال رضي الله عنه: (هممتُ مرة بمعصية في حال الصبا مع بعض من تتعلق الشهوة به فخرجتْ بجسمي قروح كثيرة عند ورود خاطر السوء على قلبي، فاستغفرت الله فذهب ما بي في الحين فضلا من الله ونعمة).

حفظ القرآن في السلكة الأولى حفظا متقنا، وكان محبوبا عند جميع من رآه، قال رضي الله عنه: (كنت أسْلك للطلبة ألواحهم وكثيرا ما أقبض اللوح بيدي وأقول

لصاحبه قبل أن أنظر فيه هذا اللوح ثقيل فيه كذا وكذا خسارة [1] أو خفيف [2] ما فيه إلا كذا وكذا أو لا شيء فيه، فلا أجد إلا ما أخبرتهم به إلهاما من الله سبحانه). وكانت حاله في القراءة عدم التكلف بل يكتب اللوح ويتأمله قليلا ويتركه ويشتغل بالكتابة بألواح الطلبة والسّرد معهم، وكذلك قراءته للسبْع حتى حفظها، ثم اشتغل بقراءة العلم بفاس بالمدرسة المصباحية مدة صالحة، ثم لقي الشيخ الكبير العارف الشهير الشريف المنيف أبا الحسن سيدي علي المعروف بالجمل نفعنا الله به بعدما تكررت منه الزيارة لمولانا إدريس بن إدريس رضي الله عنهما، قيل قرأ بضريحه ستين سلكة في طلب الشيخ المرشد، ولما ختم الختمة المكملة للستين بكى بكاء شديدا إلى أن احمرتْ عيناه وخرج من ضريح مولانا إدريس فمَرَّ بالشريف سيدي حميد من حفدة القطب الشهير العارف الكبير مولانا عبد العزيز الدباغ من ابنته فقال لي وكان منظورا عنده وعند غيره بالتعظيم: مالي أراك على هذه الحالة، وألحَّ عليَّ فأخبره بأنه اضطر إلى من يأخذ بيده، فقال له: أنا أدلك عليه إذا لم تشاور أهل الرأي القاصر والعقل الفاتر وقد قال الشريشي في رائيته:

ولا تسألن عنه سوى ذي بصيرة   خلي من الأهواء ليس بمغتر

قال فقلت له ومن هو، فقال: هو الشيخ الجليل، الشريف الأصيل، الغوث الجامع، والبحر الواسع، أبو الحسن سيدي علي بن عبد الرحمن العمراني، الملقب الجمَل عند أهل فاس، وعند ملائكة الرحمان بالجمال كما أخبره به بعض الأولياء ممن تكلمه الملائكة وتسلم عليه قال أخبرتني الملائكة عن سيدي علي الجمال أنه ولي الغوثية ثلاثين سنة.

قال سيدي علي المذكور رضي الله عنه: (ومما منَّ الله به عليّ أن جعلني سبحانه مهما ذكرتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم أو جلتُ فيه إلا وجدته حاضرا بين يدي هو وأصحابه العشرة الكرام المبَشرين رضي الله عنهم، وذلك حسا لا معنى، ونتكلم معهم ونأخذ العلم من عين العلم والعمل من عين العمل)، فقد كان لهذا الشيخ مولانا علي الجمل وصلة عظيمة برسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان رضي الله عنه يتبدل حاله ويقشعر جلده وتحمر عيناه وقتَ ذكر الرسول صلى الله

---

(1) أي فيه كذا وكذا من الأخطاء.

(2) أي قليل الأخطاء.

عليه وسلم أو تفكره فيه عليه الصلاة والسلام.

وقد كان- أعني مولانا علي- في ابتداء أمره وزيرا ثم تأخر عن الوزارة وذهب إلى الشيخ العارف بالله سيدي العربي بن القطب الأكبر سيدي أحمد بن عبد الله مَعْن نفعنا الله بهم فقال له أتحيي طريقا اندرستْ من زمن الجنيد إلى وقتنا فقال نعم، فلبس المرقعة وصار يسأل وأخذ عنه وانتفع به، أنظر بسط ذلك داخل الكتاب.

قال مولانا العربي رضي الله عنه كما أخبرني بذلك الشبيه به، يعني بشيخه المذكور، وكان من عادتي أن لا أقدم على أمر من الأمور جليلا أو حقيرا إلا بعد الاستخارة النبوية فاستخرت الله في تلك الليلة فبِتُّ أخوض في صفاته كيف هو وكيف تكون ملاقاتي معه حتى لم يأخذني النوم تلك الليلة، ولما قصدته لزاويته بالرْمِيلَة التي بين المدن عدة الوادي لي من جهة القبلة- شرَّفها الله- وهي التي ضريحه بها الآن مشهور مقصود للزيارة، فدققت الباب فإذا به قائم يشطب الزاوية [1] إذ كان لا يترك تشطيبها بيده المباركة كل يوم مع كبر سنه وعلو شأنه، فقال لي أيش تريد، قلت أريد يا سيدي أن تأخذ بيدي لله، فقام معي قومة عظيمة [2] ولبَّس الأمر عليَّ وأخفى عني حاله وصار يقول مَنْ قال لك هذا ومَنْ أخذ بيدي أنا حتى آخذ بيدك وزجرني ونهرني، وكل ذلك اختبار لصدقي، فوليتُ من عنده، قال فاستخرت الله تلك الليلة أيضا فصليتُ الصبح وقصدته لزاويته أيضا فوجدته على حاله يشطب الزاوية رضي الله عنه فدققت الباب ففتح لي وقلتُ تأخذ بيدي لله، فقبض على يدي وقال لي مرحبا بك وأدخلني لموضعه بالزاوية وفرح بي غاية الفرح وسُرَّ بي غاية السرور، فقلت له: يا سيدي كم لي أفتش على شيخ، فقال لي: وأنا أفتش على مريد صديق، فلقنني الورد وقال لي امش وجيء، فكنت أمشي وأجيء كل يوم فيذكرني مع بعض الإخوان من أهل فاس حرسها الله من كل بأس.

ولزم شيخَه سنتين، ولما فجأه الفتح المبين، وتمكن من حاله غاية التمكين، وأراد الله نفع العباد به خرق عنان عنايته إلى الانتقال من فاس إلى بلده قبيلة بني زروال حيث هو الآن بها، فاستأذن شيخه حينئذ في الرحيل بأولاده، فأذن له في ذلك في قضية يطول ذكرها.

---

(1) أي يكنسها.

(2) أي نهرني وغضب أشد الغضب.

ولمولانا العربي عدة مشايخ عدّ منهم:

- الشيخ الأعظم الشريف الأكرم ولي الله تعالى مولاي الطيب بن مولاي محمد بوزان، قال رضي الله عنه: زرته سبع مرات وأنا شاب صغير، فوجدته مرة عليه ازدحام كثير، ففتح لي رضي الله عنه طريقا في الناس وأدناني إليه حتى قبلت يده وركبته وأنزلت بحجره لوحتيْن في إحداهما سورة الجمعة، فقبض بيده الكريمة في جبهتي وقرأ ما شاء الله عليّ، وفرح بي ودعا لي بخير، فظهر مني من الخير والحفظ والبركة والسر بعد ذلك خرق العوائد بعد ما كنت قليل الحفظ، فهو عندي من جملة أشياخي.

- قال وكذا زرت ابن عمه الولي الشهير المحقق الكبير الشريف المنيف أبا عبد الله سيدي محمد بن علي بن ريسون الحسني العلمي بجبل العَلَم بتازْرُوت، قرب ضريح القطب الأكبر ابن عمهما مولاي عبد السلام بن مشيش، سبع مرات أيضا من قبيلة بني زروال ومرتين أو مرة من فاس، فمرة أعطاني خبزتيْن سخونتيْن مملوءتين سمْنا من الغيب، لم نر أحدا ناولهما إياه، خصّني بهما من دون جماعة الطلبة، ومرة أخرى ضربني بيده اليمنى على كتفي اليسرى وقال لي الله يقويك ثم كرّر فعله ثلاث مرات، ولما ودعنا دفعني بيديه المباركتين ثم قال لي سرْ أعطيناك الكبيرة - ويعني بها القطبانية - والله أعلم. قال رضي الله عنه فهو عندي من أشياخي كأستاذي وعمدتي القطب الكبير مولاي علي الجمل رضي الله عنه.

- ومن أشياخه أيضا رضي الله عنه المجذوب الكبير الولي الشهير سيدي العربي البقال رضي الله عنه ونفعنا به آمين.

وأما زيارة غيرهم من الأحياء والأموات فلا نحصي عدد ذلك، لا سيما زيارة القطب الشريف مورد الظمآن مولانا عبد السلام بن مشيش، ومولاي أبي سلهام، ومولاي أبي الشتاء الخمار، وسيدي علي بن داوود، والقطب الجليل سيدي عبد الوارث اليصلوتي العثماني، وغيرهم من المشاهير رضي الله عنهم، فقد كان رضي الله عنه لا يترك ذلك حتى أخذ الله بيده الأخذ الكبير، الذي لا مثل له ولا نظير، لأن زيارة الأولياء لها فضل كبير، وسر واضح شهير، وشأن عظيم، وخطر جسيم، يعرف ذلك مَنْ مارسه وجرَّبه، إذ هي من أبواب الله تعالى.

توفي مولانا العربي رضي الله عنه ليلة الثلاثاء الثانية والعشرين من صفر الخير عام تسعة وثلاثين وألف، فقد توفي عن سن عالية نحو الثمانين سنة بعد ما

عاش عيشة راضية في جنة عالية، لا تسمع فيها لاغية، بزاويته حيط لِئلا، ودفن بزاويته الأخرى القديمة المسماة بِبُوبْريح ليلة الأربعاء، وغسلته السيدة الجليلة الحرة النفيسة الأصيلة الصائمة القائمة المتصدقة الذاكرة القانتة الصادقة زوجُه مريم بنت الشيخ ابن خدة الحسناوي، وصلى عليه الأستاذ الأجل العلامة المحترم المبجل ولي الله عز وجل مُحبه وأعز الناس عنده أبو العباس سيدي أحمد بن محمد بن عبد الرحمن من حفدة الشيخ الكبير القطب الواضح الشهير أبي البقاء سيدي عبد الوارث اليصلوتي العثماني، وكل ذلك بإيصائه المرة بعد المرة، والزاويتان المذكورتان هما معا بقبيلة بني زروال بجبل الزبيب حرسها الله على مسيرة يومين من مدينة فاس المحروسة بالله، وهما مشهورتان مقصودتان للزيارة والإكرام لدى الخاص والعام.

ولنذكر جملة من سيرة مولانا العربي رضي الله عنه في بدايته، وسلوكه، وبيان روايته، ونسكه، وجملة من أحواله، التي أدركه أصحابه عليها.

أما أحواله رضي الله عنه في بدايته وسلوكه فمعظمُها زهده في الدنيا وتجرده عنها حسا ومعنى، وتحققه بوصفه، ومخالفته لنفسه، وتركه للأخف عليها ومتابعته لما يثقل عليها، إذ لا يثقل عليها إلا ما كان حقا وأسرع إجابة وفتحا كما قال رضي الله عنه، وإقباله على الحق، وإعراضه عن جملة الخلق، لا يبالي بهم مدحوه أو ذموه، وتمسكه بالفاقة والافتقار، وإيثاره للذلة والاحتقار، وحذره مما ألفه الناس من الجمع والادخار، لا يترك من عشائه لغذائه، ولا من غذائه لعشائه، بل يأخذ قدر ما يقيم به بنيته وبنية عياله، ويخرج الباقي لعباد الله، وهذا مسلك عظيم لا يقدر عليه إلا من أقدره الله عليه.

قال الشيخ الإمام العلامة النحرير العارف الكبير ولي الله تعالى سيدي أحمد بن عجيبة الأنجري الحسني: مكث مولانا العربي على هذه الحالة الموصوفة خمسا وعشرين سنة لا يترك من عشائه لغذائه ولا من غذائه لعشائه بل حتى ما يكون في المصباح من ذهن الفتيلة [1] ثقة بالله واعتمادا على الله واعتصاما بالله، وكانت تأتيه الفتوح من عند الله ولا يأخذ منها إلا قدر ضرورته، وزوجه وأولاده منها، وهم جماعة كالطير في وكرها غدوا وأصيلا، حتى أتاه الإذن من الله فكان

(1) أي فتيلة المصباح الزيتي الذي كان يستعمل ولا يزال للإضاءة ليلا.

يأخذ بالله كما يترك لله، وصار يزيد بكل شيء ولا ينقص منه شيء.

وكان رضي الله في ابتداء أمره يلبس الخشين كالتليس [(1)] وكالدربال [(2)] والغرارة والكساء الغليظ جدا المخطط بالسواد، أو القشابة المقلوبة وحدها، والشاشية البالية النقية المرشوقة [(3)]، بل كان يردف الشواشي على بعضها فوق رأسه ثلاثا أو أربعا، ويحمل على ظهره قِرابيْن [(4)] أو ثلاثة.

وأما تعرية الرأس والمشي بالحفا والسؤال في الأسواق وغيرها والجلوس على المزابل مع الحذر من النجاسة والرقاد بالطريق وحمل القربة على الظهر وإعطاء الماء لله إلى غير ذلك من أحوال الملامتية وأفعالهم التي تبعد من الخلق وتقرب من الملك الحق، ولا يفعلها إلا المخلص الذي لا يبالي بنفسه، ولا يرائي أبناء جنسه، فكان على كثير منها، بل كان على أحوال غريبة، ونوافل شاقة على النفوس صعبة، وكلامُه في رسائله مشحون بما يدل على ذلك، وقد نال رضي الله عنه من الله تعالى بهذه الرواتب الحظ الأوفر، والنصيب الأكبر، ولا يزال يتقرب إلى الله تعالى بها وبغيرها حتى اجتباه، ولحضرته بمَنه حباه، فكان آية في المعرفة بالله والعمل والكرم والحلم والصبر والتأني والعفة والخشية والهيبة والسكينة والتواضع والحياء والجود والسخاء والزهد والورع والرحمة والتوكل والشفقة والقناعة والاكتفاء بعلم الله والأنس والاطمئنان بالله والسكون إليه في جميع الأحوال والعشق والشوق والعزم والقريحة والنية الصالحة والمحبة والظن الحسن والصدق والهمة العلية وسعَة الصدر والأخلاق الكريمة والمحاسن العظيمة والأحوال السنية والمقامات السميّة والمواهب اللدنية والمواجيد الربانية، صاحب محو وفناء، وصحو وبقاء، وغيبة في مولاه، وشهود لما به تولاه، قد أغرق في بحر الحقيقة، وأوتي الجذب حقيقة، وأعطى القوة والتمكين، والرسوخ في المعرفة واليقين، وسلك من السنة منهاجا قويما، وطريقا مستقيما، وشرب من الخمرة الأزلية صفوا، وورد من منهلها الأروى، فقويتْ أنواره، وفاضت في الآفاق بيناته وأسراره، وسقى

---

(1) وهو نوع من الصوف الغليظ الرديء.

(2) وهو الثوب المرقع.

(3) هذه كلها أنواع من الألبسة والأردية المغربية مصنوعة من الصوف أو القطن أو الكتان مشهورة لديهم.

(4) القِراب: وعاء منسوج من مادة كعسف النخل.

الجم الغفير من شرابه كؤوسا، وملأ قلوبهم وأرواحهم أقمارا وشموسا، فتوالت بذلك إرادته، ودامت لديهم مناولته، ومُدّوا منها على الأبد بمدد جسيم، ﴿ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ [الحديد: 21]، وهذا مما ليس شأنه أن تقام عليه البراهين والبينات، لا سيما عند أهل الاعتقادات الكاملة والنيات الصالحات، على أن مآثر هذا الجليل قد بلغت مبلغ التواتر القطعي وخصوصا عند هذه الطائفة الشريفة المنيفة المنتشرة انتشار الشمس في الآفاق.

وبالجملة فظاهر هذا السيد كغيره من العارفين رضي الله عنهم كالناس في أحوال بشريتهم من الأكل والشرب والنوم والنكاح والبيع والشراء والتسلف والتعجب والضحك مما يضحك الناس منه والسهو والنسيان والسؤال عما لا يدرونه والضعف والمرض والاحتياج والافتقار والعجز وغير ذلك من أوصاف البشرية التي لا تناقض العبودية، بل بها وفيها كمالها، وباطنهم وحقيقتهم واللهِ ليس كالناس وإن وافقوهم في الصورة، فمشاهدتهم لم تكن لهم في نفوسهم وفي الكائنات محصورة، فهم كالإكسير الذي يقلب الأعيان حقيقة لا محالة، وهم كلمة الله التي لا حصر لها ولا نفاد، فلا تحصى شمائلهم ولا تنتهي فضائلهم حتى قال الشيخ أبو العباس المرسي رضي الله عنه (لو كُشف عن حقيقة الولي لعُبد). وحسب من لم يصل إلى مقامهم ولا خرج من سجن نفسه ولا سلك سبيل هذه الطريق أن يسلمها لأهلها، ويحسم مادة الإنكار من أصلها، ويدخل في حيز (مَنْ كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقلْ خيرا أو ليصمت)، إذ (مِنْ حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه)، فينتفع بالتسليم كما ينتفع بالإيمان بالغيب، وأما من أراد تفقها فقد دخل حتما في قوله تعالى: ﴿ بَلْ كَذَّبُواْ بِمَا لَمْ يُحِيطُواْ بِعِلْمِهِۦ ﴾ [يونس: 39].

ومبنى طريق القوم رضي الله عنهم كله على التسليم والانقياد، وتصميم الإيمان والاعتقاد، لا على الإنكار والانتقاد، فقد قال الشيخ زروق رضي الله عنه: مبنى الفقه على البحث والتحقيق، ومبنى التصوف على التسليم والتصديق.

وأما عبادته رضي الله عنه فقد كانت على منهاج الشرع من غير تعمق ولا فتور، ليست بالإفراط ولا بالتفريط، لا رخصة عنده في مؤكد السنن والرغائب ولا في النظافة والطهارة والتلاوة والاستخارة والزيارة وصلاة الضحى وتحية المسجد، وقيام سويعة قبل الفجر ويوقظ أهل داره كلهم في ذلك الوقت، وعيادة المرضى وتشييع

الجنائز وإطعام الطعام للصادر والوارد، حتى كان نادرة الزمان، شائع خبره في جميع الأوطان، والصدقة كل يوم وكل ليلة حتى كاد تبلغ عنده حد الفرائض أمر مخصوص، فوق ما هو عليه من إطعام الطعام للخاص والعام والمسارعة للفضائل في كل وقت، والتواضع مع كل خلق حتى مع من لا خلاق له يعظمه ويكرمه ويواسيه ويجالسه ويباشره فوق ما نرفع ونصنع نحن مع العلماء والصالحين، ولكن من ذاق عرف، ﴿ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ﴾ [البقرة: 60]، فليس من اطلع على حقيقة الوجود وعرفها بالعيان والشهود كمن لم ير إلا سماء وأرضا ومخلوقات مختلفات الألوان والأسماء والصفات واللغات والذوات، ﴿ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الزمر: 9]، أم هل تستوي الظلمات والنور، لا والله. ومع ذلك كان رضي الله عنه يحب التخشن في اللباس والمأكل والفراش والجلوس، ويختار الصلاة والجلوس على التراب، ويقول: الجلوس على الأرض من غير فراش يورث الغنى.

وكان رحمه الله كثير الإستبراء قولا وفعلا ويحض على ذلك غاية أكثر من كل شيء، ولا يتوضأ إلا أن تنقطع عنه بواقي البول بالكلية ويطمئن قلبه بذلك، ويقول: من توضأ قبل أن يتحقق بانقطاع بواقي البول لا وضوء له ولا صلاة له ولا دين له، وكان يؤكد أصحابه على المواظبة والدؤوب على الوضوء دائما ومهما أحدث، والصلاة عقبه، والدعاء عقب الصلاة، وكان يؤخر قلنسوته وعمامته في السجود ويباشر الأرض بجبهته وأنفه، ويرتل القرآن، ويفصل بين الفاتحة والسورة قدر ما يبلع الإنسان ريقه، وكذا بين السورة والشروع في تكبير الركوع، وكان يبسمل قبل الفاتحة في الفريضة والنافلة، ويسر بها في الفريضة في محل الجهر للوفاق بين الأئمة كما اختاره الإمام المازري وغيره، وكان يذكر الذكر الوارد عقب صلاة الفريضة: أستغفر الله ثلاثا اللهم أنت السلام ومنك السلام وإليك يعود السلام حيّنا ربنا بالسلام وأدخلنا دار السلام، تباركتَ وتعاليت ذا الجلال والإكرام، لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، اللهم لا مانع لما أعطيتَ ولا معطي لما منعت ولا راد لما قضيت ولا ينفع ذا الجد منك الجد. ويقرأ آية الكرسي إلى آخرها، وسبحان الله والحمد لله والله أكبر ثلاثا وثلاثين مرة مجموعة، ويرفع يديه ويسأل الله من فضله الهداية والعافية لجميع العباد.

وكان أحب الأعمال والأذكار والعبادات إليه رضي الله عنه الصلاة، ويقول: كررنا أعمالا كثيرة سنين عديدة وقد وجدنا لسائرها بركة كبيرة، وبركة تكرار الصلاة

قد وجدناها والله تفوق بركة كل عمل، ولولا ما تعرض لنا من قول المشايخ رضي الله عنهم الذي هو مَنْ لا شيخ له فالشيطان شيخه ومن لا شيخ له لا قبلة له ومن لا قبلة له فهو بطال إلى غير ذلك لقلنا أنها أي الصلاة تقوم مقام الشيخ، وكذلك الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكذلك الهيللة، وكذلك تلاوة القرآن، وغير ذلك من أعمال البر، لأنه رضي الله عنه كان يرى الدؤوب على العمل مع حضور القلب وترك ما لا يعني بالكلية والمحافظة على الفرائض والسنن يقوم مقام الشيخ لمن لا يجده، وأما من وجده فقد قال في شأنه: ما نفع القلبَ شيءٌ مثل الزهد في الدنيا والجلوس بين يدي الأولياء.

وكان يحض على الصلاة غاية لما رأى فيها من المصافاة والمناجاة ولكونها محل تنزل البركات والرحمات وجامعة لجميع العبادات، قال رضي الله عنه: ونرى والله أعلم أن من صلى الصلاة كاملة الشروط والأدب بشرط أن لا يتوضأ إلا بعد استبرائه من بوله حتى لا يبقى أدنى بواقيه فإنه يُفتح عليه الفتح الكبير الذي لا مثل له ولا نظير إن شاء الله تعالى، وكان يقول: اغتنموا الصلاة قبل الفوت بالضعف والكبر أو الموت ومَنْ عليه فوائت فليقضها وإلا فسيندم عليها، والحاصل أنها كانت قرة عينه، ومطمح نظره ومفزعه، في الرخاء والشدة، والملأ والوحدة، وأعظم الكنوز والذخائر عنده فلا يعجز عنها ولا يكسل ولا يقنط من تكرارها ولا يمل حضرا وسفرا قياما وقعودا صحة وسقما مع كبر سنه لأنها كيمياء الأدباء التي تقلب الأعيان وقد قال عليه الصلاة والسلام "وجُعلتْ قرة عيني في الصلاة".

وكان رضي الله عنه يسرد كتب الصوفية رضي الله عنهم على طبقاتهم، أهل المجاهدة والرياضة والسلوك وأهل الجذب والحقائق بداية ووسطا ونهاية، ويقتطف من بساتينها الأزهار والأنوار، ويجني منها الفواكه والأثمار، ويطالع بعض كتب الفقه كالعبادة وشرّاح الرسالة، وشرحي الشيخ ميارة الكبير والصغير على المرشد المعين لابن عاشر، وشرح الوغليسية للشيخ زروق، وطبقات الأولياء-رضي الله عنهم- للشيخ الشعراني، وطبقات العلماء- رضي الله عنهم- للشيخ سيدي أحمد بابا السوداني، والمعزى في مناقب الشيخ أبي يعزى، وغيرهم، وكتب التفسير كالإمام ابن عطية والإمام الخازن والجلالَيْن، ولم يكن يستوعب كتابا لمطالعته من أوله إلى آخره سوى صحيح الإمام البخاري رضي الله عنه والشفا للقاضي عياض رضي الله عنه.

وكان يجب التجريد ويأمر به ويلبس المرقعة، ويقول: التجريد من الدنيا ظاهرا وباطنا يصلح لجميع الناس، وعندي ما من رسول ولا نبي إلا كان متجردا من الدنيا ومحذرا متبعيه منها. قال: والتجريد عند أهله كالإكسير عند أهله فلا ينكره إلا من جهله ولم يعرف قدره.

وأما حلقة الذكر التي شاع أمرها وذاع عند كافة أصحابه، بأرض المشرق وأهل المغرب والصحراء وسوس الأقصى والأدنى، في المدن والقرى والمداشر والخيام، في المساجد والزوايا والديار، ليلا ونهارا، بالجهر والقيام والقعود، والإجلال والتعظيم، جماعة بلسان واحد ميلة واحدة، بالإشباع والتوسط والقصْر في الهيللة واسم الجلالة باللسان والصدر، على حسب المراتب، وتشبيك الأيدي في القيام، وفي الجلوس كحالة التشهد، إلى غير ذلك من آدابها، وإنشاد الأبيات بالمعاني الرقيقة وتغزلات الحقيقة التي اصطلح الصوفية رضي الله عنهم عليها، فهي دأبه وديدنه، ومنها كان فتحه واستمداده، وعليها دار مذهبه ومشربه، والمبتدئ والمتوسط والمنتهي وطالب التبرك وذو المحبة كلهم فيها سواء كالصلاة، وكل واحد يجني ثمرة ذكره بحسب مكانته من ربه وقدره، إلا النساء فلا يجب حضورهن ولا قربهن للرجال، نعمْ إن كن وحدهن بموضع خلوي بحيث لم تسمع لهن أصوات فيحبهن يذكرن حينئذ بجماعة على لسان واحد جهرا كحال حلقة الذكر عنده، وبالله التوفيق.

تخرَّج على يده رضي الله عنه خلق كثير، وانتفع به من عباد الله جَمٌّ غفير. حدثنا شيخنا الفقيه العلامة أبو حفص سيدي الحاج عمر بن سودة المري رحمه الله أنه ما توفي الشيخ مولاي العربي حتى خلَّفَ نحو الأربعين ألْف تلميذ كلهم متأهلون للدلالة على الله سبحانه).

تنبيه: لا بد من الإشارة إلى أني اعتمدت في شرح الكلمات المغربية الغريبة في مقدمة سيدي أحمد بن الخياط، على تحقيق الأستاذ الفاضل المحب لأهل الله سيدي بسام محمد بارود لمجموعة رسائل مولاي العربي الدرقاوي.

قال سيدي أحمد بن الصديق في كتابه "الموذن بأخبار سيدي أحمد بن عبد المومن":

(قطب الطريق ومجددها العارف الأكبر، والغوث الأشهر، مولانا العربي.....

وقد أحيى الله به هذا الطريق، وتخرج به الكثير من الرجال بالمغرب والجزائر

والصحراء وسوس الأقصى والسودان بل وفي المشرق وجميع الأقطار، حتى قيل أنهم بلغوا في حياته مائة ألف رجل بين أصحابه وأصحابهم، وذكر ابن القاضي في "النور القوي" أنه سمع شيخه سيدي عبد الواحد الدباغ يقول سمعت مولاي العربي رضي الله عنه يقول: لا يزال الفقير يمشي من هنا إلى بلاد المشرق وهو يبيت عند إخوانه في الله حتى يصل إلى الحرمين الشريفين فيجد هناك إخوانه أيضا. قلتُ وهذا تحقق بواسطة أصحاب الشيخ الفاسي [1] تلميذ الشيخ محمد ظافر المدني تلميذ مولاي العربي الدرقاوي رضي الله عنه فإن أصحابه في القطر المصري من الإسكندرية إلى آخر صحراء مصر ومن بداية الحجاز المجاورة لمصر إلى الحرمين الشريفين وكذلك يوجد أصحابه بطرابلس، وبذلك يتحقق ما قاله الشيخ رضي الله عنه.

وكل من هو موجود الآن من أصحابه الذين ملؤوا الدنيا فإنما يتصلون به من طريق أصحابه الذين تأخروا بعده كالجَد المترجَم [2] بهذا الكتاب والعارف الحراق [3] والعارف البدوي [4] والعارف ظافر المدني والعارف محمد الباشا وغيرهم).

قال سيدي محمد بن مسعود الفاسي في كتابه "الفتوحات الربانية في تفضيل الطريقة الشاذلية":

* (وأستاذنا [سيدي محمد ظافر المدني] أخذ الطريقة والحقيقة عن مشايخ عديدة نحو اثني عشر شيخا ولم يُفتح له إلا على يد أستاذه القطب الرباني والعارف الصمداني الشريف مولانا العربي بن أحمد الدرقاوي الفاسي، وإليه انتسب وعلى يده تخرج. أخذ عنه الطريقة بالمغرب الأقصى، وبقي تحت حجره تسع سنين، وكان يربي المريدين في حياة أستاذه إلى أن أراد الله عموم نفعه للعباد، وأذن له أستاذه في الإرشاد، لعلمه أنه يصلح لإقامة حجته في الحاضر والباد، فأمره أستاذه بالرجوع إلى المدينة المنورة وقال له عند وداعه: "أنت واسطة بيني وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم"..... فبقي بها ثلاث سنين يدعو الخلق إلى الله ويجمعهم

(1) أي سيدي محمد بن مسعود الفاسي.
(2) أي سيدي أحمد بن عبد المومن الغماري.
(3) أي سيدي محمد الحراق.
(4) أي سيدي أحمد البدوي زْوِيتْنْ.

عليه، ثم اشتاق إلى زيارة أستاذه بالمغرب الأقصى فسافر إلى بلاد المغرب واجتمع بأستاذه وبقي معه ثلاثة أشهر وتوفي أستاذه على فخده).

* (وكان الشريف مولانا العربي رضي الله عنه عالما عاملا فاضلا، كان يقرأ القرآن على العشرين العشر الصغير والعشر الكبير، وكان من أعيان أهل فاس وفضلائها وساداتها ومن أهل الثروة والجاه والمروءة والديانة. كان رضي الله عنه قطبا كاملا جامعا بين علمي الشريعة والحقيقة، عاش في القطبانية الكبرى نحو الخمسين سنة).

* (ولما توفي الشريف مولانا العربي رضي الله عنه مات عن أتباعه من المريدين المتجردين أهل المرقعات الذين ليس لهم زرع ولا ضرع نحو من أربعين ألف مريد، وأما الذين تعلقوا به من أهل الأسباب فعامة أهل المغرب الأقصى).

قال سيدي محمد بن سيدي محمد ظافر المدني في كتابه "الأنوار القدسية في تنزيه طرق القوم العلية":

(والدنا الأستاذ محمد حسن بن حمزة ظافر المدني خرج من المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة وأزكى السلام في نحو اثنين وعشرين ومائتين وألْف، وساح سياحة طويلة حتى انتهت به إلى المغرب الأقصى في طلب طريق الوصول إلى الله تعالى. أخذ عن مشايخ عديدة منهم العارف بالله والدال عليه ذو المعارف والأسرار الشيخ سيدي المختار الكنتي القادري، وأخذ الطريقة الناصرية التي هي فرع من الشاذلية على أحد خلفائها وتلقى عنه علم الأسماء وأسرار الحروف، ثم اجتمع بسيدي أحمد التجاني وأخذ عنه، وأخذ طريقة سيدي محمد بن عيسى وهي فرع من الشاذلية أيضا، ثم جمعه الله على أستاذه، حامل لواء الطريقة الشاذلية في زمانه، العارف بالله والدال عليه، العالم العامل، والأستاذ الكامل، سيدي مولاي العربي بن أحمد الدرقاوي الشريف الحسني، وكان اجتماعه به يوم الأحد الثالث والعشرين من شهر صفر الخير سنة أربع وعشرين ومائتين وألْف وذلك بزاويته ببُوبْرِيحْ في بني زروال مسافة يومين من فاس، فأخذ الطريقة عليه، وحصل له الفتح على يديه، وإنْ سُئِلَ عن شيخه فهو الذي ينتسب إليه، فأقام في صحبته على قدم التجريد نحو تسع سنين بعضها في السياحة عن إذنه وأكثرها بين يديه، ونال بصحبته الخير الكثير والمدد الغزير والفيض الكبير، إلى أن قال له مرة بحال

قوي "رُحْ إلى بلادك يا مَدَني، ما بقيت لك حاجة عندي").

قال سيدي محمد داود في كتابه " تاريخ تطوان":

* (نلاحظ أن الشيخ مولاي العربي الدرقاوي كان واسع الصدر، داهية في تربيته لمختلف الطبقات، فقد جعل في طريقته طريقين: أحدهما طريق الجلال والتقشف وخرق العوائد، والتظاهر بما يذل النفس ويقهرها، من لبس المرقعات، والتسول في أبواب المساجد وفي الطرقات، وتنظيف الأسواق، والزهد في متاع الحياة الدنيا، من مآكل ومشارب ومراكب، وسائر الكماليات، وكان يأمر بسلوك هذا الطريق من يرى فيه قابلية لذلك من تلاميذه، أو يعرف أنه لا يتداوى إلا بذلك، فكان أولئك التلاميذ يمتثلون أمر شيخهم، ويغيرون عاداتهم بغاية الفرح والسرور، لا تهمهم أقوال الناس ولا اعتراضاتهم، وفي هذا الطريق سار الشيخ ابن عجيبة بأمر شيخه البوزيدي تلميذ مولاي العربي.

أما الطريق الثاني، فهو طريق جمالي، يحافظ أصحابه على جميع مظاهرهم في الحياة، من مآكل ومشارب وملابس ومراكب، وغير ذلك من الملاذ المشروعة، ويباشرون أعمالهم العادية من تجارة وصناعة وفلاحة، لا يخرقون عادة، ولا يغيرون أي مظهر من مظاهرهم التي تعودوها، وفي هذا الطريق سار الشيخ سيدي محمد الحراق وسير جل أصحابه.

وكان أهل كل فريق فرحين بما سلكوه، مستغربين ممن سلك طريقا غير طريقهم).

* (وللذي لا يعرف من هو مولاي العربي الدرقاوي شيخ شيوخ الدرقاوية، نذكر أنه شريف إدريسي من قبيلة بني زروال الجبلية القريبة من فاس، وقد اتصل بشريف آخر هو الشيخ علي الجمل الذي كان قاطنا بفاس، ولم يكن مولاي العربي من كبار العلماء، وإنما كانت له همة كبيرة وشخصية مؤثرة، تصدى للمشيخة والتربية، فأكب الناس عليه إكبابا من مدن المغرب وبواديه، وتخرج على يديه شيوخ مربون قد أدرك بعضهم في حياته شهرة عظيمة ودرجات ممتازة على اصطلاح التصوف، وكان لهم من الأتباع والزوايا عدد عظيم).

قال لي العارف بالله سيدي عمر الودغيري:

- أرْسَلَ سيدي علي العمراني الجمل تلميذَه مولاي العربي الدرقاوي إلى بيت المقدس، فرأى مولاي العربي الأنبياءَ ورسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقظة.

- جاوَرَ سيدي محمد بن قاسم الدباغ سنين بالمدينة المنورة. سأل سيدي محمد بن قاسم الدباغ سيدَ الوجود صلى الله عليه وسلم: ماذا تقول في الطريقة الدرقاوية؟

فقال سيد الوجود: الدخول فيها عناية، والتصديق بها ولاية.

- الشيخ إذا خاف على مريده فإنه يؤاخيه بمريد آخر. آخَى مولاي العربي الدرقاوي بين تلميذَيْه سيدي عبد الواحد الدباغ وسيدي محمد الحراق. قال مولاي العربي لسيدي محمد الحراق: إذا احتجت إلى علم الباطن فعليك بسيدي عبد الواحد الدباغ. وقال مولاي العربي لسيدي عبد الواحد الدباغ: إذا احتجت إلى علم الظاهر فعليك بسيدي محمد الحراق. الرجل، بالرجال ينجح. لا بد من الإخوان.

- كان مولاي العربي يرسل بعض تلاميذه ليأتوه بالحُلَل (أي حُلَل الأمداح النبوية) وخصوصا من زاوية مولاي أحمد الصقلي (زاوية مولاي أحمد الصقلي في مدينة فاس).

قال لي شيخي سيدي حمزة شقور نفعنا الله ببركاته:

- مولاي العربي الدرقاوي أحْيى الطريقة الشاذلية وقوَّاها، ألا ترى أن عدد تلاميذ مولاي العربي الدرقاوي الذين أصبحوا أولياء أكبر من عدد تلاميذ سيدي أبي الحسن الشاذلي الذين أصبحوا أولياء. مِنْ عهد سيدي أبي الحسن الشاذلي إلى مولاي العربي الدرقاوي، لم يأت ولي مثل مولاي العربي الدرقاوي.

- مولاي العربي لم يتعذب كثيرا، ولايته سهلة، وحصل له الطي في الطريق.

- في نفس اليوم الذي أخذ مولاي العربي الوردَ من شيخه سيدي علي الجمل، أخذ أيضا الاسم الأعظمَ من شيخه سيدي علي الجمل.

رأى مولاي العربي الدرقاوي سيدَنا علي كرَّمَ الله وجهه. قال مولاي العربي (ورأيتُ ليلة اليوم الذي لقيتُ الشيخ وأخذت الورد ولقنني اسم الجلالة ألله الإمامَ المذكور ومولانا علي كرَّم الله وجهه بضريح مولانا إدريس الأصغر رضي الله عنه...).

حصل له الفتح بعد عامين قضاهما مع شيخه، وأذن له شيخه بتربية المريدين، وكان مولاي العربي آنذاك شابا.

كان مولاي العربي الدرقاوي مُهيَّئا، ولذلك أعطاه شيخُه في نفس اليوم الوردَ

واسمَ الجلالة ألله.

شيخ التربية يعطي الورد لتلميذه، ثم يكلفه بالرياضات، والشيخ يراقب تلميذه، فإذا رأى حالة تلميذه صفتْ فإنه يلقنه الاسم الأعظم، ثم يراقبه بعد ذلك عدة سنين. شيخ التربية يعلم مريده الآداب بالتدريج، ويرقيه شيئا فشيئا إلى أن يقول له: ها أنت وربك.

الشيخ الكبير هو الذي يعطي الورد والاسم الأعظم. الشيخ الكبير يفتح لك البصيرة.

- مولاي العربي التقى بعدة شيوخ، وكل واحد منهم أعطى دفعة لمولاي العربي، والدفعة الكبيرة أتت من شيخه سيدي علي الجمل.

الله هيَّأ الأسباب لمولاي العربي حيث التقى بعدة شيوخ الذين صَفَّوْا مولاي العربي. عندما التقى مولاي العربي بشيخه سيدي علي الجمل، كان مولاي العربي قد رجع سبيكة من ذهب.

الشيوخ كانوا يؤنسون ويحرسون ويحتفظون على مولاي العربي إلى أن يلتقي مولاي العربي بشيخه الحقيقي وهو سيدي علي الجمل.

حراسة المريد أنواع: بالعَيْن، أو بالدعاء معه، أو بالفرح به.

مَنْ يكون بخَيْر يلتقي بعدد من الشيوخ، وكل شيخ وما يعطيه. هؤلاء الشيوخ يعرفون الشيخَ الحقيقي لذلك المريد، ويُعَلِّمون مسائل خاصة لذلك المريد لم يكنْ ليُعلمها له شيخه الحقيقي.

- بعد ذلك، أصبح مولاي العربي لا يزور الأولياء الأحياء، لأن الأولياء الأحياء يلتقون في الديوان. مولاي العربي كان يزور الأولياء النائمين مثل مولاي عبد السلام بن مشيش.

الولي الحي يزور الولي النائم، لكي يلتقي به ويراه ويتكلم معه، الزيارة في محبة الله.

- الأربعون ألْف ولي الذين تَخَرَّجُوا على يد مولاي العربي الدرقاوي، أغلبُهم تلاميذُ تلاميذِ مولاي العربي لا تلاميذُ مولاي العربي. تلاميذُ مولاي العربي يُرَبُّون، وتلاميذُ التلاميذ يُحْسَبُون على مولاي العربي.

- مولاي العربي الدرقاوي أعطاه شيخُه سيدي علي العمراني الجمل ألْفاً من لا إله إلا الله، وعندما أصبح مولاي العربي الدرقاوي يعطي الورد فإنه أعطى مائة

من لا إله إلا الله لمريديه لأنه يعرف أن الناس لا يستطيعون ألْفاً من لا إله إلا الله. مولاي العربي يتمشَّى على حسب الزمان وعلى حسب الناس.

أسئلة طرحتُها على شيخي سيدي حمزة شقور، وأجاب عنها

1- سألت شيخي عن معنى رؤيا مولاي العربي الدرقاوي لسيدنا علي كرم الله وجهه (ورأيتُ ليلة اليوم الذي لقيتُ الشيخ وأخذتُ عنه الورد ولقنني اسم الجلالة أللَّه الإمام المذكور ومولانا علي كرم الله وجهه بضريح مولانا إدريس الأصغر رضي الله عنه فأخذته من يده المباركة ومشيتُ به إلى المدرسة المصباحية بقصْد أن نكرمه بها ولما وصلتُ إلى الشماعين استيقظتُ من نومي).

قال لي شيخي: هذه الرؤيا معناها القَبُول.

2- سألت شيخي عن معنى رؤيا وقعتْ لمولاي العربي حيث رأى الملِك مولاي إدريس بن مولاي إدريس الأكبر أعطاه قرطاسا ففتحه مولاي العربي فإذا به جواهر عديدة. قال لي شيخي رضي الله عنه:

الجواهر معناها الأولياء الذين تخَرَّجوا على يد مولاي العربي.

3- أنظر الرسالة 246 من رسائل مولاي العربي الدرقاوي:

قال مولاي العربي بخصوص الولي الصالح سيدي محمد بن علي ابن ريسون (فأعطاني خبزتيْن مشحونتين سمْنا خصَّني بهما من دون الجماعة التي كنتُ معها).

قال شيخي رضي الله عنه: الخبزة هي الولاية. أعطاه خبزتيْن، معناه أعطاه مقاميْن، لكن مولاي العربي لا يسلك بهما، وإنما يسلك على يد شيخه سيدي علي الجمل.

4- قال مولاي العربي أيضا بخصوص سيدي محمد بن علي ابن ريسون: (ولما ودّعنا دفعني بيديه المباركتين ثم قال لي سِرْ أعطيناك الكبيرة). قال شيخي سيدي حمزة:

الكبيرة، أي الدرجة العُلى. مولاي العربي، طبَعَ له أولاً شيخُه سيدي علي الجمل وفتح له الطريق. سيدي محمد بن علي ابن ريسون زادَ لمولاي العربي.

5- قال مولاي العربي بخصوص الولي الصالح مولاي الطيب بن محمد الوزاني: (وكنتُ قد جعلتُ في حجره لوحتيْن صغيرتيْن مكتوب فيهما النصف الأول مِنْ ﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَـٰوَاتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ﴾ [الجمعة: 1]

فأعطانيها بعدما فعل ما فعل من الدعاء لي والقراءة على جبهتي فاستبشرتُ بذلك كثيرا وكنتُ قبل ذلك قليل الحفظ، ففتح الله بصيرتي فتحا كبيرا ببركاته).

قال شيخي سيدي حمزة شقور رضي الله عنه: مولاي الطيب الوزاني هو شيخُ مولاي العربي الدقاوي في القراءة. فتحُ البصيرة، أي في القراءة.

6- قال مولاي العربي الدرقاوي بخصوص الولي الصالح سيدي العربي البقال: (والناسُ مجتمعون عليه ولا يتكلم إلا هو، فرآني آتٍ نحوه فناداني حتى دنوتُ منه فضمَّني إلى صدره وجعل لسانه في فمي وقال مَص مص مَص، ثم بعد ذلك قال لي سِرْ أعطيناك الشرق والغرب). قال شيخي سيدي حمزة شقور رضي الله عنه:

قوله [مَص مص مَص] أي أعطاه حلاوة اللسان، حتى لا يُعجز أحدٌ مولايَ العربي الدرقاوي. قوله [أعطيناك الشرق والغرب] يشير إلى أن طريقة مولاي العربي الدرقاوي ستكون في الشرق والغرب.

7- قال مولاي العربي في رسالته 271: (ومن جُملة ما كان من أمري أني تبحرتُ في العلم تبحرا عظيما حتى أني لو سُئلتُ عن ألْف ألف مسألة لأجبتُ عنها جوابا بالغا، إذ صرتُ كالمصباح فلو شعل مني جميع المصابيح لم ينتقص من ضوئي شيئا).

قال شيخي سيدي حمزة شقور رضي الله عنه:

التبحر العظيم في العلم، أي في علم الباطن. لو شعل منه جميع المصابيح لم ينتقص من ضوءه شيئا، يشير مولاي العربي إلى مريديه الذين أصبحوا أولياء حيث تخرَّج على يده أربعون ألف ولي.

أربعون ألْف ولي، هذا هو العدد المُقَدَّر، ولو كان مقدَّرا أكثر من هذا العدد لتخرجوا على يد شيخ الشيوخ مولاي العربي الدرقاوي.

8- قال مولاي العربي الدرقاوي في مقدمة رسائله:

(وقد جار عليَّ حالُ القبض بعض الأيام غاية الجور حتى كاد أن يسلبني من الإسلام وأما الخصوصية فقد سلبني منها وبعَّدني منها والله على ما نقول وكيل فاضطررتُ حينئذ إلى ربي...فوجدتُ به ما أسرني غاية السرور...ثم تحقق لي ذلك بفضل الله والشكر لله). قال شيخي سيدي حمزة شقور رضي الله عنه:

حصل هذا لمولاي العربي الدرقاوي في بدايته. أحدُهم سلب مولاي العربي، ولم يذكر مولاي العربي مَنْ سلبه. ربما لم يتأدب مولاي العربي مع ذلك الشخص، فتغيَّر قلب ذلك الشخص، وبذلك التغير يقع ما يقع. مولاي العربي لطَفَ الله به، حيث أحسَّ وشعر مولاي العربي بالسلب، وتذلل لله، فرجع إليه حالُه.

9- قلتُ لشيخي: لماذا يختم مولاي العربي جلّ كلامه بقوله [والله على ما نقول وكيل]. قال شيخي سيدي حمزة شقور رضي الله عنه:

لِيُزيل الشكوك عن الناس. يقول لهم: الله شاهدٌ عليّ، وما أقول إلا الصدق.

10- سألت شيخي سيدي حمزة شقور عن قول مولاي العربي الدرقاوي رضي الله عنه: (بقيتُ أربع سنين فانيا في الاسم لا أفتر عنه ليلا ولا نهارا حتى كان البدن يهتز به وحده، فإذا قبضتُ على إحدى رجلي اهتزت الأخرى).

فقال شيخي رضي الله عنه: الاسم يدخل إلى مكان، فإذا وجد ضيْقا في ذلك المكان يُوَسِّعُه. هذا بخصوص الرِّجْل فكيف بالعقل فكيف بالقلب. الرّجْل تهتز بالاسم.

عندما يسكن الاسم في القلب، يسكن الله تعالى. مولاي العربي الدرقاوي يحكي سرا:

مولاي العربي بقي أربع سنين فانيا في الاسم لكي يقبضه ويحصّل عليه. بعض العارفين يبقون أكثر من هذه المدة، وبعضهم يبقى أقل.

11- سألت شيخي سيدي حمزة شقور عن قول مولاي العربي الدرقاوي رضي الله عنه: (وقد بقيت الآية الكريمة التي خوطبتُ بها من ذاتي بأسرها ممزوجة بلحمي ودمي نحو العشرة أيام أو أكثر). الآية الكريمة هي ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الذاريات: 55].

فقال شيخي رضي الله عنه:

الآية الكريمة ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الذاريات: 55]، بعد عشرة أيام سكنتْ في مولاي العربي. الاسم الأعظم، بعد أربع سنين سَكَنَ في مولاي العربي.

الاسم الأعظم، في الطريقة الدرقاوية الشاذلية، هو **ألله**، وقد أخذه مولاي العربي من شيخه سيدي علي الجمل. الأولياء التابعون للطريقة الدرقاوية كلهم أخذوا هذا الاسم الأعظم ألله. علماء الظاهر يسمّون ألله: الاسم المفرد، وهو في

الحقيقة الاسم الأعظم. العارفون بالله يعرفون أن ألله هو الاسم الأعظم.

12- سألت شيخي سيدي حمزة شقور عن قول مولاي العربي الدرقاوي رضي الله عنه: (قطبُ التصوف لا تَغْضبْ ولا تُغضب).

فقال رضي الله عنه: (لا تَغضَبْ) أي لا تغضبْ من الناس، فأنت تعرف أن جُلّهم جاهلون. (لا تُغضبْ) أي قُلْ كلاما ليّنا فيه الإفادة.

13- سألت شيخي سيدي حمزة شقور عن قول مولاي العربي الدرقاوي رضي الله عنه: (الشوق يوصل إلى الله بالطريق وبلا طريق).

فقال رضي الله عنه: (الشوق) هو المحبة، يحب شيئا وبالُه معه. (بالطريق) أي لِمَنْ له الوِرْد. (بلا طريق) أي لِمَنْ هو واصِل، وآنذاك فالشيخ يَشْغَلُ له فقط.

14- سألت شيخي سيدي حمزة شقور عن قول مولاي العربي الدرقاوي رضي الله عنه: (المذاكرة توصل إلى الله عز وجل بالطريق وبلا طريق).

فقال رضي الله عنه: المذاكرة أي في ربي وفي النبي وفي الأولياء.

(بالطريق) أي جالِسْ أهل المذاكرة تصبحْ مثلهم وتستفيد منهم.

(وبلا طريق) أي من يسمع بقلبه وإن لم يكن آخذا الورد.

15- سألت شيخي سيدي حمزة شقور عن قول مولاي العربي رضي الله عنه: (إنْ شئتَ أن تقتل جميع من ظلمك، فاقتلْ نفسك فإنك تقتل بقتلها جميع الظالمين).

فقال رضي الله عنه:

مَنْ قتل نفسَه صار وليا، والولي لا يفكر في أن هذا ظَلَمَه، بل الولي يكون مشغولا مع مولاه. ظالم آذى وليا، فالولي لا يجاوبه، والظالم يُؤذَى ويكون الظالم "مقتولا".

16- سألت شيخي سيدي حمزة شقور عن قول مولاي العربي الدرقاوي رضي الله عنه:

(نجدّد تحرير القصد في تحرير القصد، فيتجدد لي المدد).

فقال رضي الله عنه: (نجدّد) التجديد بالحال، وأي حاجة نمشي إليها بالحال.

(القصْد) أي الأدب على الأدب. (في تحرير القصد) أي تجديد العزم على حاجة.

(فيتجدد لي المدد) أي العزم القوي، أي العزم على العزم.

17- سألت شيخي سيدي حمزة شقور عن قول مولاي العربي الدرقاوي

رضي الله عنه: (بالله الذي لا إله إلا هو، من ترك ما لا يعنيه لا ينبت في قلبه إلا العلم).

فقال رضي الله عنه: معناه، اترك الخرافات يَنبت في قلبك العلم. الخرافات تُنبت خرافات أخرى، والعلم يُنبت علما آخر.

18- سألت شيخي سيدي حمزة شقور عن قول مولاي العربي الدرقاوي رضي الله عنه:(من علم أن الأشياء كامنة في أضدادها لا نخاف عليه).

فقال رضي الله عنه: من يعرف أن الأشياء كامنة في أضدادها، يعرف الأضداد ويفهم المعاني، ومن يعرف الأضداد فهو ولي الله.

19- سألت شيخي سيدي حمزة شقور عن قول مولاي العربي الدرقاوي رضي الله عنه: (تحصيل العلم يتوقف على أمرين: أحدهما الصدق دائما في القول والفعل من غير تبديل ولا تغيير، الثاني مناسبة الكلام للكلام ولا يفعل ذلك إلا من اتقى الله).

فقال رضي الله عنه: من يزد وينقص في الكلام، لا يتنوّر أبدا. صاحب الصدق يزداد علما على علم. المحصول في الصدق والعزم. تقوى الله تُعلِّمك كل شيء، تُعلّمك الكلام فوق كلام، أي كلام فوق كلامك، قال مولاي العربي الدرقاوي (من التقوى مناسبة الكلام للكلام) أي كلام فوق كلام.

20- سألت شيخي سيدي حمزة شقور عن قول مولاي العربي الدرقاوي رضي الله عنه: (من عرف لي شيئين أراحني الله منه [يعني من تربيته] أحدهما ضيقُ ظاهرك يتسعْ باطنك، الثاني ما ازداد في الحس انتقص من المعنى).

فقال رضي الله عنه: مولاي العربي يتكلم مع المريد. المريد الذي يُضيّق حِسَّه يزداد في المعنى، ويُريح شيخَه، ومَنْ يُضيّق حِسَّه يحني رأسه للجميع.

التصوف كله مبني على الأخلاق العالية. صاحب الخُلُق الحسن يُريحُ شيخَه.

21- سألت شيخي سيدي حمزة شقور عن قول مولاي العربي الدرقاوي رضي الله عنه: (أقل ما يستفيد منا صاحبنا معرفة الحق من الباطل).

فقال رضي الله عنه: أقلُّ حاجة يستفيد منا صاحبنا هي معرفة الله، وهي أعظم استفادة. درجة الولاية هي معرفة الله، وإذا لم يعطه الله الولاية فإن من يستفيد منا يعرف طريق ربي. الباطل هي الخرافات التي لا تُغْنيك ولا تُفقرك ولا تُوصلك إلى هنا ولا إلى هنا، والباطل هو الشيطان.

22- سألت شيخي سيدي حمزة شقور عن قول مولاي العربي الدرقاوي رضي الله عنه: (من صحبنا ثلاثة أيام يحسن دينه ولم يشمت فيه أحد).

فقال رضي الله عنه: من صحبنا ثلاثة أيام، مع إتباع الكتاب والسنة، صار عارفا بالدين كله ولا يتنازل عن الدين ولو كان ما كان.

23- سألت شيخي سيدي حمزة شقور عن قول مولاي العربي الدرقاوي رضي الله عنه: (الأشياخ يتكلفون لأصحابهم أن يقفوا لهم عند الممات والسؤال والحساب والميزان والصراط، وأنا تكلفتُ لمن اتبعني وفعل ما أمرته به أن يكون وليا من أوليائه ويقف للناس في ذلك كله ويشفع ويرفد الغنيمة ولا يحتاج أن يكون غنيمة لغيره).

فقال رضي الله عنه: تلاميذ مولاي العربي الدرقاوي كلهم أولياء، فلا يحتاجون إلى شفاعة شيخهم مولاي العربي، بل هم يشفعون في الغير. باب جهنم يقف عليها الأولياء. الأولياء يشفعون فيمن لا يعرفهم، فكيف بمن يعرفهم.

24- سألت شيخي سيدي حمزة شقور عن قول مولاي العربي الدرقاوي رضي الله عنه:

(نحـــن حـــزب الله مـــن يلحقـــنا دنـــيانا أخـــرانا وأخـــرانا دنـــيانا)

فقال رضي الله عنه: هذه الدنيا لا نعيش فيها ولا نتمتع فيها، فلهذا (دنيانا أخرانا). (أخرانا دنيانا) لأننا في الآخرة نعيش لا هنا. نعيش في الآخرة، وفي الآخرة نعيش.

25- سألت شيخي سيدي حمزة شقور عن قول مولاي العربي رضي الله عنه: (اذكرْ جميع عباد الله بخير وتصفى النظرة).

فقال رضي الله عنه: انظر الخيرَ في الناس، وادْعُ مع جميع الناس.

26- سألت شيخي سيدي حمزة عن قول مولاي العربي الدرقاوي رضي الله عنه:

(الرجل الكامل ينزل صاحبه في أول قدم في الفناء في الذات علما ثم يزيد به للعمل).

فقال رضي الله عنه: أي عَلَّمَه أوصافَ الذات. إذا فنا في علم الذات، يبدأ آنذاك في العمل. الرجل الكامل أي الغوث أو القطب. أصعب حاجة هي الفناء في الذات، وقليل من الأولياء الذين فنوا في الذات. سيدي أبو يزيد البسطامي فنا في

الذات، وكذلك سيدي علي العمراني الجمل، وكذلك السيدة رابعة العدوية. المحبة، كل واحد وكيفما جاءته: المحبة في الذات والمحبة في الاسم. سيدي أبو يزيد البسطامي طلب محبة الذات.

27- سألت شيخي سيدي حمزة شقور عن قول مولاي العربي الدرقاوي رضي الله عنه: (من كان فانيا في الاسم الأعظم تكون له الكرامة عند التمني، ومن كان فانيا في الذات تكون له قبل التمني). فقال رضي الله عنه: الذات أي ذات الله سبحانه وتعالى. أصعب مقام هو الفناء في الذات، وهذا أكبر من الاسم الأعظم. الاسم الأعظم يُكَوِّنُ فيك النور، وصاحب الفناء في الذات لا يريد النور وإنما يريد صاحب النور.

قال سيدي علي العمراني الجمل نفعنا الله ببركاته: (اعلم أن صاحب الاسم وصاحب الذات لكل واحد منهما كرائم وعرفان، ولكن صاحب الذات فَاتَهُ بالراحة في البدن وبلذيذ المشاهدة والعيان في حضرة الملِك الديان، وليست عرفان صاحب الاسم كعرفان صاحب الذات: عرفان صاحب الاسم من وراء الحجاب والستور، وعرفان صاحب الذات مكسوة بأنوار المناجاة والخطاب). الاسم: أي الاسم الأعظم. صاحب الذات: أي صاحب الفناء في الذات. الفناء في الذات أي الله أفْنَى عبدَه في الذات فهذا عبد محبوب هيَّأه الله واختاره الله، وأما من فنا في الذات فربما يصل وربما لا يصل.

28- سألت شيخي سيدي حمزة: لماذا رمى مولاي العربي شبكتَه على الفقراء ولم يرْمها على العلماء؟ فقال رضي الله عنه: لأن العلماء سيُفسِدون له الطريق. العلماء واقفون مع العلم ولا يعملون به إلا القليل منهم، العلماء فيهم الكبر ويحتقرون من ليس عنده العلم.

29- قال مولاي العربي الدرقاوي رضي الله عنه: (فإذا أردتَ أيها الفقير أن تربيَ من شئتَ فتسببْ في ولادته في المعاني حتى تحصل لك، فإذا حصلت فحينئذ رَبِّيه فإنه يتربى لك).

قلتُ لشيخي سيدي حمزة شقور:

. ما هي المعاني؟

. كيف نعرف أن فلانا وُلِدَ في المعاني؟

. هناك مرحلتان: الولادة في بلاد المعاني، والتربية بعد ذلك. هل هناك

مرحلة ثالثة؟

فقال رضي الله عنه:

مولاي العربي الدرقاوي يتكلم مع بعض تلاميذه الذين جلَسوا معه مدة واعتقدوا أنهم أصبحوا مُرَبِّين، يقول لهم: انتظروا حتى تَصِلُوا ثم تُرَبُّوا، بل هناك ولي ولا يُوَلِّد أي عقيم فولايته تكون مخصوصة به. الولادة في المعاني تكون بالأمْر.

. المعاني هي المسائل الغيبية، وهي التفكُّر.

. قبْل أن تحصل الولادة في المعاني، الولي يُريه الله أنه سيكون له ولد معنوي.

. هناك مرحلتان فقط: الولادة في المعاني والتربية بعد ذلك، ولا توجد مرحلة ثالثة.

30- سألت شيخي سيدي حمزة شقور عن معنى قول مولاي العربي الدرقاوي رضي الله عنه: (فلا نحب من يَسكت من الإخوان وقت المذاكرة بل نكرهه الكراهة البالغة إذ لا فائدة من الصمت حينئذ إنما فيه قلّتها، لأن المعاني تجر بعضها بسبب الكلام حتى يجر صاحبها إلى الحضرة).

فقال رضي الله عنه: مولاي العربي الدرقاوي يعطي حرية المناقشة. عند المذاكرة، السائل يرى باباً والشيخ يرى أبوابا. المذاكرة توصل إلى حضرة الله، فإذا وصلتَ إلى المعاني وصلتَ إلى الحق. عند المذاكرة، تنزل المعاني، ونخرج من المجلس منَوَّرين، واليوم على غد نصبح أولياء، وعندما نكون أولياء نكون في الحضرة.

31- سألت شيخي عن قول مولاي العربي الدرقاوي رضي الله عنه:

(وبنفس ما ينقطع عن الذاكر [أي ذاكر الاسم المفرد ألله] الخوض فيه [أي الخوض في الحس] وردتْ عليه حينئذ معاني من الغيب كان لا يعرفها فيشتغل بها عن التشخيص [أي تشخيص حروف الاسم المفرد ألله] كما يشغله عنه الخوض في الحس، فإنْ تركها ورجَع إلى التشخيص سريعا فاضتْ عليه إذ ذاك معاني أقوى وأقوى فحَمَلَتْه إلى أقرب مدة إلى حضرة ربه سبحانه وهناك من الأسرار والخيرات ما لا عينٌ رأتْ ولا أذن سمعتْ ولا خطَر على قلب بشر).

فقال رضي الله عنه:

المعاني درجات، على حسب جسم الإنسان، ولا تشاهِد الكونَ إلا بعد أن يتنوَّر الجسم.

32- سألتُ شيخي سيدي حمزة شقور عن قول سيدي العباس بن ابراهيم في كتابه "الإعلام بمَنْ حَلَّ مراكش وأغمات من الأعلام" عند ترجمته لسيدي محمد بن إدريس العمراني الذي هو تلميذ مولاي العربي الدرقاوي: (وأخبر كثيرا من أهل الطائفة الدرقاوية

أن المترجَم أشكلتْ عليه مرة مسألة فعظم بطنه واتسع فمه، فخرج منه رأس وشافهه في القضية بما شفا له الغليل، فعلم أن ذلك شيخه المذكور-مولاي العربي الدرقاوي- ونشر الطائفة الدرقاوية في مراكش).

فقال شيخي رضي الله عنه:

وقع هذا في عالم المرائي، وليس في اليقظة. دخل الشيخ مولاي العربي الدرقاوي في جسم تلميذه سيدي محمد بن إدريس العمراني وشافهه في تلك القضية بما شفا غليل تلميذه.

مَنْ وَرِثَ سِرَّ مولاي العربي الدرقاوي؟

* قال سيدي محمد بن العربي الدلائي تلميذ سيدي محمد الحراق في كتابه "النور اللامع البراق في ترجمة الشيخ الحراق":

(وأخبرني هو رضي الله عنه- سيدي محمد الحراق- أنه لما قرب وفاة الشيخ مولاي العربي الدرقاوي رضي الله عنه رأى في عالم النوم ملأ من الناس كثير ومعهم الشيخ مولاي العربي وعلى رأسه شاشية جديدة والناس كلهم حفاة الرؤوس فأتى إليه مولاي العربي وأخذ الشاشية الجديدة التي كانت على رأسه وجعلها على رأس الشيخ سيدي محمد الحراق. فلما استيقظ أوَّلها بالخلافة من بعده، فلما مرتْ ثلاثة أيام جاء خبر مولاي العربي بالوفاة فكان الخليفة من بعده بلا شك ولا إشكال).

* قال سيدي أحمد البدوي زويتن في كتابه "الرسائل الكبرى":

(ومن الكرائم العظام أني كنت جالسا يقظة بزاويته المباركة بالبليدة بفاس... عشية الليلة التي توفي فيها- مولاي العربي الدرقاوي- رحمه الله...فرأيتُ كورة خارجة عن حد الوصف، لكن أصف لكم بعض الوصف: ألطف من القمر ليلة كماله وأبهى وأنور منه جاءت مسرعة أقوى من إسراع كورة المدفع في الحس

فدخلتْ في فمي وسرتْ في ذاتي سريانا كُليا فتجلتْ فيَّ حرية عظيمة لا يستطيع حملها إلا مَنْ قَوَّاهُ الله، ولا زالت تكبر وتعظم في كل وقت إلى الآن).

* قال سيدي أحمد بن سيدي محمد بن الصديق في كتابه "الموذن بأخبار سيدي أحمد بن عبد المومن":

(رؤيا رآها بعض أصحاب الشيخ المترجَم- سيدي الحاج أحمد بن عبد المومن- رضي الله عنه فإن الشيخ كان سائحاً بالريف فلما رجع وقرب من تجكان تعرض له بعض الفقراء فقال له إني رأيت شجرة عجيبة أوراقها مزهرة منيرة كالنجوم طارتْ من بوبْريح ونزلتْ في تجكان، فمَدَّ الشيخ يده إلى سماطه وهو خرج يوضع في مؤخر سرج البغلة ودفع له صرة فيها ستمائة مثقال كانت أهديت إليه ببلاد الريف بشارة له على هذه الرؤيا، وبُوبْريح هي بلد مولاي العربي رضي الله عنه).

* سيدي محمد المدني بعد أن قضى تسع سنين مع شيخه مولاي العربي الدرقاوي، قال له شيخُه مولاي العربي: (رُحْ جعلتك وسيلة بيني وبين الله وواسطة بيني وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم). قدم سيدي محمد المدني إلى المدينة المنورة وأقام بها بين أهله وأقاربه ثلاث سنين. ثم اشتاق إلى زيارة شيخه، فسافر إلى بلاد المغرب واجتمع بشيخه مولاي العربي وبقي معه ثلاثة أشهر، وتوفي مولاي العربي على فخد تلميذه سيدي محمد المدني.

سألتُ شيخي سيدي حمزة شقور: مَنْ هو وارث سر مولاي العربي الدرقاوي؟

فقال رضي الله عنه:

السر الكبير انتقل إلى سيدي أحمد البدوي زويتن، والأخرون يُرَشُّون. سيدي زويتن دَخَلَ النور في جسمه، وأخذَ النورَ كاملا، وهو صاحب الأمانة، فقد أخذ السر والمقام وأصبح قطبا. سيدي محمد الحراق أخذ فقط الشاشية، والشاشية شيء بسيط بالنسبة لما حَصَل لسيدي زويتن. سيدي زويتن حصل له ذلك يقظة، وما حصل لسيدي محمد الحراق ولسيدي الحاج أحمد بن عبد المومن ففي عالم المرائي فقط. السر ينتقل إلى الوارث يوماً أو يومئن قبل وفاة الشيخ، وسيدي زويتن حصل له ذلك عشية الليلة التي توفي فيها شيخه مولاي العربي الدرقاوي، ويقظة.

سيدي محمد المدني من المحبوبين، ومقامه عالي جدا. قول مولاي العربي

لتلميذه سيدي محمد المدني (رُحْ جعلتك وسيلة بيني وبين الله وواسطة بيني وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم) معناه أن مولاي العربي يتذلّل لتلميذه سيدي محمد المدني.

ذرية الشيخ مولاي العربي الدرقاوي

توفي الشيخ مولاي العربي الدرقاوي عام 1239 هـ، وخلف ثلاثة أولاد: مولاي محمد ومولاي علي ومولاي الطيب.

- استقر مولاي محمد في بُوبْرِيحْ، حيث يوجد ضريح أبيه الشيخ مولاي العربي الدرقاوي، في قبيلة بني زروال. مولاي محمد، لم أقفْ على ترجمته.

- استقر مولاي علي في مدينة فاس، وبها دفن عام 1274 هـ.

- استقر مولاي الطيب في أمْجُوطْ، في قبيلة بني زروال، وبها دفن عام 1287 هـ.

قال سيدي إدريس العلوي الحسني في كتابه "الدرر البهية والجواهر النبوية":

(وقد خلف- مولاي العربي الدرقاوي- رضي الله عنه أنجالا كراما وهم السيد مَحمد والسيد علي والسيد الطيب.

أما الأول السيد مَحمد، فله من الأبناء: السيد العربي والسيد الحبيب والسيد الرشيد وسيدي محمد والسيد عبد السلام والسيد سليمان والسيد أحمد والسيد المصطفى والسيد إسماعيل، وهم على هذا الترتيب في السن غير أنهم ليسوا بأشقاء.

وأما الثاني السيد علي، فله من الأولاد: سيدي محمد والسيد عبد السلام والسيد العربي والسيد عبد العزيز، وهم على هذا الترتيب في السن).

أما مولاي الطيب بن مولاي العربي الدرقاوي، فله من الأولاد: "محمد خَايْ سيدي" ومولاي عبد الرحمن ومولاي علي ومولاي مُحَمَّد ومولاي عبد السلام ومولاي العربي ومولاي عبد الله ومولاي عبد العزيز وسيدي محمد العربي وسيدي عبد الكريم ومولاي الطيب.

أقول: بتوفيق من الله ألفتُ كتابا سميتُه (الشرفاء الدرقاويون)، وسيطبع إن شاء الله.

مولاي علي بن مولاي العربي الدرقاوي

قال سيدي محمد بن جعفرالكتاني في كتابه "سلوة الأنفاس":

(الشريف الأنور، البركة الأشهر، المربي النفاع، السالك سبيل الإتباع، الولي الصالح الحاج الأبر، أبو الحسن سيدي علي بن الشيخ الإمام، المستغرق في أنوار التجلي على الدوام، الكامل المكمل، الواصل الموصل، القطب الرباني، والنور اللائح الإيقاني، الأستاذ أبي حامد سيدي العربي بن أحمد بن الحسين بن علي بن محمد بن يوسف بن أحمد الحسني الإدريسي الزروالي الشهير بالدرقاوي، من الشرفاء المعروفين بالدرقاويين أولاد الشيخ أبي عبد الله محمد بن يوسف بن جنون الملقب بأبي درقة، من ذرية الإمام أبي العباس أحمد بن مولانا إدريس باني فاس رضي الله عنهم.

كان رحمه الله بدينا، طويل الجسم، كريم الأخلاق، حسن السيرة. أخذ عن أبيه مولاي العربي وتربّى به وتأدب وتكمّل وتهذب، وولي من بعده أمر الفقراء بفاس، وكان مربيا نفاعا، له كرامات وكشف، ورحل للمشرق لحج بيت الله الحرام وزيارة قبر نبيه عليه السلام سنة تسع وستين ومائتين وألف، فحج وزار، ونال البغية والأوطار، وأخبرني بعض الأشراف ممن رافقه في حجه المذكور أنه أصابه مرة مرض ولم يعلم به صاحب الترجمة قال فلما لم يرني سأل عني فقيل هو مريض فقال أفلا أعلمتموني به إذا مرض أحد من رفقائنا فأعلموني به قال ثم أنه دعا به ودعا بإناء من ماء فأتى به فقرأ فيه شيئا يسيرا ثم أمرني فشربته قال فوالله لبمجرد شربي إياه انسل المرض مني انسلال الشعرة من العجين وعُوفيت في الحين ولكأنه لم يكن بي بأس.

توفي رحمه الله يوم الثلاثاء تاسع عشر ربيع الثاني عام أربعة وسبعين ومائتين وألف، وصلي عليه ظهرا بمسجد القرويين، ودفن بزاوية أبيه المشهورة بحومة البليدة، وضريحه بها عليه دربوز من خشب يزار ويتبرك به).

مولاي الطيب بن مولاي العربي الدرقاوي

* قال سيدي محمد البشير الفاسي الفهري في كتابه " قبيلة بني زروال" عند ترجمته لمولاي الطيب بن مولاي العربي الدرقاوي:

(بعد موت الشيخ العربي بن أحمد الدرقاوي والد المترجَم، تصدى لرئاسة الزاوية تلميذه أحمد بن عبد الرحمن الوارثي الذي أخذ عنه المترجَم، وبعد موت

شيخه الوارثي استقل المترجَم برئاسة الزاوية والطريقة فانتقل من بوبريح وأسس زاويته بأمجوط، والمترجم كما وصفه الناصري في الإستقصا: من خيار عباد الله، على غاية من التقوى والورع والتواضع مع الناس، يركب الحمير ويلبس الجبة ولا يتميز عن أصحابه بشيء، مع السكينة والوقار وعدم الخوض فيما لا يعني والإعراض عن زهرة الدنيا وأهلها.

قلتُ والمترجم هو الذي أسس موسم درقاوة بأمْجُوط وبُوبْريح إذ طلب منه فقراء الطريقة أن يعين لهم وقتا للاجتماع يكون مناسبا للفراغ من أشغالهم، فعيّن لهم منتصف شهر شتنبر، وبعد العمل على ذلك مدة اقتضى الحال إبطال ذلك الاجتماع إلى أن انتقل للدار الآخرة، ولما قدم فقراء الطريقة للتعزية فيه طلبوا من خلفه إعادة الاجتماع السنوي فأعيد في التاريخ نفسه.

والمترجم لم تكن له الشهرة التي كان يتمتع بها والده في الدوائر الحكومية، بل كان ميالا للخمول والاستكانة، نعمْ في أيامه اتسعت الدائرة وكثرت الزوايا كما اتسعت الثروة التي خلفها والده ونمت.

من أشياخه أحمد بن عبد الرحمن بن عبد الوارث اليالصوتي تلميذ والده.

توفي في ثامن جمادى الأولى سنة 1287 هـ، ودفن بأمجوط، وعليه بناء فخم وقبة عظيمة ينعقد حولها موسم أمجوط).

* قال سيدي عبد السلام ابن سودة في كتابه "إتحاف المُطالع بوفيات أعلام القرن الثالث عشر والرابع":

(في ليلة الجمعة سابع جمادى الأولى [عام 1287 هـ] قرب الفجر توفي محمد الطيب بن الشيخ العربي الدرقاوي الحسني، ولد في تاسع عشر جمادى الثانية عام ثمانية وعشرين ومائتين وألف، وهو الذي ورث سر أبيه بعد وفاته، كان خيرا دينا صالحا، أخذ عنه طريقة والده جم غفير من الناس. له رسائل شهيرة بين أتباعهم، ودفن بزاويتهم ببني زروال).

* قال سيدي محمد الشياظمي في "معلمة المغرب" صفحة 4012:

(الطيب ابن الشيخ مولاي العربي الدرقاوي، أصغر أبناء الشيخ، عيَّنه أبوه قبل وفاته ليخلفه على رأس الطريقة الدرقاوية.

قضى مولاي الطيب حياة هادئة، محترما من الجميع، ومتجنبا كل ما من شأنه أن يقلق بال المخزن، إلى أن لقي ربه. وهو الذي أخذ عنه الوردَ الدرقاوي عمُّنا

الفقيه المقدَّم محمد بن الطاهر بن الحبيب الشياظمي الحاجي السباعي حين كان طالبا للعلم بالقرويين بفاس. ويقول الناصري في الإستقصا: في فجر يوم الجمعة الثامن من جمادى الأولى من سنة 1287/ 10 غشت 1870م، توفي الولي الصالح الناسك السني أبو عبد الله محمد الطيب ابن الشيخ الأشهر مولاي العربي الدرقاوي ودفن بمحل زاويته بأمجوط من بلاد بني زروال).

* قال سيدي العباس بن إبراهيم في كتابه "الإعلام بمَنْ حَلَّ مراكش وأغمات من الأعلام":

(محمد الطيب، بن الولي الصالح مولاي العربي........الدرقاوي الزروالي. أخذ أولا عن والده، ثم بعده عن تلميذه الصالح، المربي الناصح، العالم العامل، سيدي أحمد بن دحمان اليالصوتي، من عقب العارف بالله تعالى سيدي عبد الوارث اليالصوتي، المتوفى في ربيع الأول عام 1266 ستة وستين ومائتين وألف، دفين زاويته من بني زروال، قرب مجوط، وبه تربى وتهذب.

كان المترجم أميا، ناسكا عابدا، منسلخا عن الدعوى بالكلية، صوفيا ورعا زاهدا، لا يتظاهر بمشيخة، متواضعا حسن الأخلاق، ومن المتواتر عنه أنه لما أراد دخول مراكش عام خمسة وثمانين ومائتين وألف وخرج لملاقاته الفقراء دخل من باب آخر على حمار وحده فرارا من الشهرة، في غاية الزهد والورع، والتقلل من الدنيا، فاق بذلك والده، وأخذ عنه عالم من الخلق، وانتفع به الكثير. ومن مشاهير المنتسبين إليه: السيد علي بن أحمد المساري الكنوني الشريف دفين شراكة قرب سيدي العباد، والفقيه السيد محمد ابن دحمان السلوي، ومولاي الحاج المغاري دفين المدينة المنورة. وممن أخذ عنه بمراكش: السيد علي بن الفضيل، والقاضي ابن المدني السرغيني، والفقيه التادلي، والناسك السيد أحمد المغازلي المعتمر بسوق الغزل، وكان يعمل في بناء الزوايا بيده، وكذلك زاويته ببني زروال.

توفي في ليلة الجمعة ثامن جمادى الأولى عام 1287...

وقد رثاه بقصيدة دالية الفقيه الحاج إدريس بن الفقيه الوزير سيدي محمد بن إدريس مطلعها:

سهم المنية للعيون مسدد ... والموت للنفس النفيسة مرصد)

راجع هذه القصيدة في كناش الفقيه سيدي محمد الحسن المراكشي،

وعددها 30 بيتا.

*** قال لي حفيده، العارف بالله مولاي عبد العزيز بن مولاي الطيب بن مولاي الطيب بن مولاي العربي الدرقاوي رضي الله عنهم:**

(مولاي العربي الدرقاوي ترك ثلاثة أولاد، لكن سرّه أخذه ولده مولاي الطيب.

مولاي العربي كان مقيما بحَيْط لِيلاَ، ومولاي الطيب ذهب إلى أمجوط الذي كان آنذاك غابة وكان مولاي الطيب يحطب بها.

كان رضي الله عنه جلاليا، وكان يقرأ كل يوم قصيدة الدمياطي ثلاثة آلاف مرة.

ذات مرة كان مولاي الطيب في مراكش واتجه إلى آسفي حيث الأشراف ورؤساء الطرق في آسفي وقفوا لاستقبال مولاي الطيب. مرَّ مولاي الطيب أمامهم ولم يروه. عندما دخل الأشراف ورؤساء الطرق إلى الزاوية، وجدوا مولاي الطيب محزّما ويكنس الزاوية.

كان ضد الدنيا على طول الخط.

عندما مات مولاي الطيب، قال السلطان العلوي: مات الزهد.

مِنْ زهْد مولاي الطيب أن القبائل كانت تأتي إليه وتهدي له الأراضي فيردها عليهم في الحين.

فرح مولاي الطيب بيهود أتوا إليه فأكرمهم إكراما كبيرا، وفي الصباح غادروا دار مولاي الطيب لأنهم خافوا أن يرجعوا مسلمين.

كراماته كثيرة، منها أن ولده البكر واسمه "محمد خَايْ سيدي" عضته أفعى فمات. ثقَّفَ مولاي الطيب الأفاعي بمنطقة أمجوط، وما زالت الأفاعي مثقَّفة إلى حد الآن في تلك المنطقة.

*** ترجمة مولاي الطيب، اقتبستُها من وصاياه ورسائله:**

- ازداد مولاي الطيب، والله أعلم، عام 1226هـ، قال رضي الله عنه:

(ولما قدمتُ عليه للسجن بفاس أظنه سنة ستة وثلاثين وبتُّ معه بالسجن وكان رمضان وكنتُ إذ ذاك ابن عشرة سنين نعقل ما نرى).

قوله (قدمتُ عليه) أي قدم على أبيه الشيخ مولاي العربي الدرقاوي.

- كانت لمولاي الطيب شخصية قوية، قال رضي الله عنه:

(وإياكم يدوخونكم النساء أو أمهاتكم فإنهن دوخونا ولكن بفضل الله ما غلبونا، فإنهن يقلن لكم لا بد ميزوا الناس إذ هن لا يعرفن إلا الناس، ونحن نرشدكم تتركون الناس وتتبعون السنة المحمدية، لأن الناس لا يغنوا عنكم من الله شيئا).

- كان مولاي الطيب مستجاب الدعاء، قال رضي الله عنه:

(لقد كنا نهتم بأمور، ومَهما قلنا بلساننا يا رب يا رب مائة مرة أو ألفا أو أقل من ذلك، إلا ويكفينا الله ما أهمنا، إما دفع ما نحب دفْعَه دفَعَه الله عنا، وإما ما نحب قضاءه يقضيه الله لنا، والحمد لله والشكر لله).

- كان مولاي الطيب ذا أخلاق عالية، قال رضي الله عنه:

(إلى مَنْ يقف على ما أوصيكم به: يا أولادي حسن الخلق مع جميع الناس، وليس الرجل هو الذي يتخاصم مع هذا ويغلب هذا ويشتم هذا، إنما الرجل من يكون الحبيب عنده كوالده، والعدو من الناس لا يردّ له بالا كأنه حبيب ويكرمه ولا يقابله، فإن فعلتم هذا فلا شك أن جميع الأعداء يصيرون أحباء، وقد جربنا هذا).

- كان مولاي الطيب حريصا على أن يطلب أولاده العلم.

قال مولاي الطيب وهو يوصي أصحاب والده: (وأوصيكم على من خلفه الله من ذريتنا أن يكونوا كأولادكم وأقرب القرباء منكم، وليس هذا بالمواصلة بالدنيا فقط، بل تدلوهم على القراءة، واجعلوا من يقرئهم من الفقراء، وتأمروهم بطريق الله، وانهضوا بهم بهمتكم لحضرته، ولا تعطوهم من الزيارة لوالدنا حتى تؤدوا عنهم من يعلمهم كتب).

وقال رضي الله عنه في وصية أخرى: (زيتون والدتي مريم بزرهون بقرية بني عمّار فهو مثل ما ذكرنا لكن يختص به من يقرأ بفاس العلْمَ فهو موقوف عليه إن شاء الله تعالى).

. أقول: قد حقق الله رجاء مولاي الطيب بن مولاي العربي الدرقاوي، حيث أصبح جل أولاده علماء: فمولاي علي كان في الطبقة الأولى لعلماء القرويين في فاس، و مولاي عبد الرحمن ومولاي الطيب ومولاي عبد العزيز كانوا علماء.

الباب الثاني: وصايا الشيخ مولاي العربي الدرقاوي

قال مولاي العربي الدرقاوي قدس الله سره في رسائله:

- (فأوصيكم كل الوصية، أن تكونوا دائما على السنة المحمدية، وأن تذكروا ربكم حين يضيق حالكم وحين يتسع حالكم، وتصلوا على نبيكم صلى الله عليه وسلم كذلك).

- (فأوصي ساداتنا أبقى الله وجودهم لنا أن يجعلوا دائما وقتا لله تعالى لا لحظ من الحظوظ، سواء كان بالليل أو بالنهار، يتلون فيه كلام الله، أو يذكرون فيه لا إله إلا الله أو الاسم المفرد فقط، أو يصلون ما شاء الله، أو يصلون على رسول الله صلى الله عليه وسلم).

- (وبعد يا إخواني فأوكد ما أوصيكم به وأنصحكم وأفيدكم، والدين نصيحة، أن لا تنفصلوا عن ذكر ربكم كما أمرتكم قياما وقعودا وعلى جنوبكم وعلى كل حال، إذ لا حاجة لنا ولا لكم ولا لكل أحَد أحد كائنا من كان إلا هو).

- (فإني أوصيكم جميعا، خاصة وعامة، رجالا ونساء، كبارا وصغارا، عبيدا وأحرارا، بما أمركم الله به وهو أن لا تؤخروا الصلاة على وقتها، وأن لا تجعلوا الرخصة في تأخيرها، وصلُّوا جماعة، ولا تصلوا أفذاذا، إلا لعذر وهو لا يكون والله أعلم إلا نادرا).

- (وأوصيك أيضا أن تكون على ما يثقل على نفسك دائما، لا على ما يخف عليها، إلى أن تفنى).

- (وأوصيكم إن قابلكم أحد بوصف من أوصاف الحرية، فقابلوه بضده من أوصاف العبودية: إن قابلكم بالكلام فقابلوه بالصمت، أو بالعز فقابلوه بالذل، أو بالقوة فقابلوه بالضعف، وهكذا، فإنكم تقهرونه وتذلونه وتغلبونه لا محالة).

- (وأوصيكم بالخلق الكريم، إذ هو الدين عند أهل الدين، ولعنة الله على الكاذبين. وأوصيكم أيضا بالحذر من الأسباب التي تؤدي إلى السقوط من عين الله، والعياذ بالله، وعلامة من سقط من عين الله خلوُّ قلبه من تعظيم شرائع دين الله أو نقول حرمات الله).

- (وأوصيكم أن تخالقوا الناس بخلق حسن، ويكفيكم مع الخلق الحسن الفرض وما تأكد من السنن، لا سيما من قنع منكم وتمسكن).

- (وأوصيكم أن تقوموا بالمفروض وبما لا بد منه من المسنون، وألا تسلكوا مسلكا قط بدون العلم).

- (فأوصيكم أن تكونوا على حذر من أن يفوت الزمان ولم تنالوا ما نال أهل الجد في كل حين وأوان، ولا بد ولا بد تعرضوا دائما لنفحات ربكم، ولا تعجزوا أو تكسلوا).

- (وأوصيكم أيضا أن تواصلوا بعضكم بعضا دائما سرمدا، وتتذاكروا في طريقكم مدة عمركم كما كان من قبلكم، وإياكم ثم إياكم أن تستعجلوا الفتح).

- (واسمعْ وصيتنا لمثلك: فأهل جانب الله من حيث هم، إن كان لك نصيب طيب فأكرمهم لله تعالى، وإلا فاتركهم عنك واحذرهم جهدك).

- (فأحْيوا طريق القوم رضي الله عنهم ليحييكم الله، واسلكوها بعلم ليطويها لكم الله، وأوصيكم أن يكون عندكم يوم ورود أهلها عليكم يوم عيد ويوم مبارك ويوم سعيد).

- (وأوصيكم أن تترجلوا ولا تدهشوا أو تهتموا أو تغتموا أو تحزنوا، وعليكم بالصدقة والدعاء كل يوم وكل ليلة، لأن الصدقة تدفع البلاء وتشدّ سبعين بابا من الشر، والدعاء مخ العبادة).

- (وأوصيكم كل الوصية، أن تثبتوا على السنة المحمدية، التي هي الحصن المانع من كل بلية، التي هي سفينة النجاة، ومعدن الأسرار والخيرات، وأن لا تزحزحوا عنها إلى غيرها كل وقت وحين، إلى أن يأتيكم اليقين. وأوصيكم كل الوصية أن تستحضروا قول الله عز وجل ﴿ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ﴾ [آل عمران: 140] وقوله تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ ﴾ [البقرة: 214] الآية، وقوله تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ﴾ [آل عمران: 142] الآية، وقوله تعالى ليس البر- إلى قوله- المتقون، وأن تستحضروا أيضا كلام أهل الطريقة وهم شيوخنا وشيوخ غيرنا رضي الله عنهم دنيا وأخرى وقد قالوا: (عند تقلبات الأحوال تعرف الرجال من الرجال)، و(عند الامتحان يعز المرء

أو يهان)، وقالوا:من ادعى شهود الجمال قبل تأدبه بالجلال فارفضه فإنه دجال).

قال سيدي محمد البوزيدي، تلميذ مولاي العربي الدرقاوي، في كتابه "الآداب المرضية لسالك طريق الصوفية":

(فمن جملة ما أوصاني به رضي الله عنه أن قال لي: يا ولدي احذر من صحبة ثلاثة أصناف من الناس: المتصوفة الجاهلين والقراء المداهنين والجبابرة الغافلين، فما صحبتُ أحدا من هذه الثلاث إلى الآن، والحمد لله رب العالمين).

قال سيدي محمد بوزيان الغريسي المعسكري، تلميذ مولاي العربي الدرقاوي، في كتابه "الطبقات":

(ولما قربت وفاته رضي الله عنه صار يوصينا ويكرر ويؤكد على أن نستوصي خيرا ببعضنا، وأن نواظب على النظافة التي هي شرط الإيمان، والمسكنة والتجريد من الدنيا ظاهرا وباطنا، وحلقة الذكر التي هي رياض الجنة كما ورد عنه عليه السلام، وتسوية صف الصلاة الذي هو من إتمام الصلاة ومن حسن الصلاة، ويقسم بالله إنكم إن دمتم على هذه الوصية حتى يحيي الله بكم البلاد والعباد، لأن هذه الأمور هي أركان القوم رضي الله عنهم وقد اندرستْ وأنتم أحييتموها أحياكم الله، وأكد أيضا تأكيدا محتما على ذكر الورد والدؤوب عليه بعد صلاة الصبح وبعد صلاة المغرب وهو: أستغفر الله مئة، واللهم صل على سيدنا محمد عبدك ورسولك النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم مئة، ولا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير مئة، وفي سائر الأوقات لا إله إلا الله من غير عدد ولا كلفة ولا مشقة).

قال سيدي أحمد البدوي زويتن، تلميذ مولاي العربي الدرقاوي، في كتابه"الرسائل الكبرى":

(فقد أوصى مولانا وأستاذنا رضي الله عنه بوصايا عدَّدها عند وفاته منها التجريد ظاهرا وباطنا، وحلقة الذكر، وتسوية صف الصلاة، والمودة في القربى، وشدّ يد الإخوان على بعضهم بعضا. قلتُ ما عدَّ تلك الوصايا رضي الله عنه إلا لمن لم يفهم شوره، وأما من فهم شوره لم يقل له والله أعلم إلا شدّوا أيديكم على بعضكم بعضا، إذ عن ذلك والله ينتج جميع ما أوصى به رضي الله عنه وأكثر وأكْثر).

الباب الثالث: بعض حِكَم مولاي العربي الدرقاوي

[هذه الحكم وفقني الله لاستخراجها من كلام مولاي العربي الدرقاوي رضي الله عنه]

1- قالوا من نقص شيئا حُرم من بركاته، وأنا أقول من نقص شيئا حرم بركة الجميع لأن البعض هو الكل.

2- قال بعض العارفين لتلامذته اصمتْ اصمت من يصمت، وأنا أقول اسمعْ اسمع من يسمع.

3- سمعتُ كلمة من بعض أهل العلم...ما طال العلم إلا بطُول الدنيا، فظهر لي ما ظهر له، ثم بعد ذلك تفرستُ في قوله فوجدتُ خلافه وهو يا أخي: ما طال العلم إلا بسبب قلة من يسمع ولو حضر من يسمع لقصرت عبارة العلم.

4- قال سيدي ابن عطاء الله في حكمه "ما نفع القلبَ شيءٌ مثل عزلة يدخل بها ميدان فكرة"، وأنا أقول: ما نفع القلبَ شيء مثل الزهد في الدنيا والجلوس بين يدي الأولياء، لأن صاحب العزلة مأمون ما دام في عزلته وإذا خرج منها ربما يرجع لما كان بصدده، وأما صاحب الزهد في الدنيا والجلوس بين يدي الأولياء مأمون بفضل الله أبدا.

5- من وقف فقره على الصَّحّ وصل إلى ربه، ووصوله إليه وصوله إلى العلم به، ووصوله إلى العلم به هو الاكتفاء بشهود عظمة ذاته.

6- من ادعى عليكم بالخصوصية فاختبروه في الاستواء، يعني استواء الأضداد عنده.... ومن ادعى عليكم بالاستواء فاختبروه في الاكتفاء يعنى الاستغناء بعلم الله.

7- لقد جعل الله للأمور الغاية، فمن ادعى أمرا طلب بغايته، وغاية المعرفة الاكتفاء بالله، وعلامة المكتفي بالله أن لا يستوحش، إذا كان في حال العُلو لا يشتاق لحال الدنو، وإن كان في حال الدنو لا يشتاق لحال العلو.

8- المريد الذي يريد من شيخه كرامة أو غيرها، ليس بمريد.

9- الكرامة التي تغني عن جميع الكرائم وهي الشرط في المعرفة، الاكتفاء بالله.

10- علامة الوصول إلى الله هو الاكتفاء به والاغتناء بشهوده.

11- بتجريدك من شواغلك تتقوى نورانيتك، وبتقويتها يتقوى يقينك، وبتقويته تعلو همتك، وبعُلو همتك تصل إلى ربك، ووصولك إلى ربك وصولك إلى العلم به.

12- بترك الدنيا تتقوى النورانية، وبتقوية النورانية يتقوى اليقين، وبتقوية اليقين تعلو الهمة عن الأكوان، وبعلوها عن الأكوان يحصل الوصول إلى مكونها، والوصول إليه وصول إلى العلم به.

13- مخالفة الهوى تنتج العلم الوهبي حقا، والعلم الوهبي ينتج اليقين الكبير، واليقين الكبير ينفي الشكوك والأوهام بالكلية ويزج صاحبه بالحضرة الربانية.

14- منتهى المراتب كمال اليقين، وأصفى المشارب شراب المحبين.

15- الشوق يوصل إلى الله بالطريق وبلا طريق.

16- المذاكرة ترحل إلى الله بالطريق وبلا طريق.

17- الدليل على استقراء المعنى في الباطن هو أنك تجد صاحبها دائما لا يهبط إلا إلى أسفل.

18- أكبر ما يفوتنا من خيرات بفوات ذكر الله لنا، والله أكبر ما يفوتنا من ذكر الله عند انتصارنا لأنفسنا.

19- سلب الإرادة للشيخ هو سلب الإرادة لله في الحقيقة، وسلب الإرادة لله هو الخصوصية الكبرى.

20- التصوف، فيما نرى والله أعلم، حفظ شرائع الدين وسلب الإرادة لرب العالمين وحسن الخلق مع المسلمين.

21- قطب التصوف لا تَغضب ولا تُغضب.

22- قطب التصوف كفّ الأذى واحتمال الأذى.

23- من كدّرته إذاية الخلق وقلة الشيء فلا يفلح أبدا.

24- لا يتخلص من الهوى إلا من سكن وقت البلوى.

25- اشتكى إلينا بعض الإخوان بظالم قد تعدى عليه، فقلنا له: إن شئت أن تقتل جميع من ظلمك فاقتلْ نفسك فإنك تقتل بقتلها جميع الظالمين، ولعنة الله على الكاذبين.

26- الخذلان كل الخذلان أن يرى الفقير صورة نفسه عيانا ثم لم يخنقها حتى تموت.

27- الخذلان كل الخذلان أن تظهر لك صورة نفسك ثم لم تخل دارها ولم

تمح آثارها.

28- العجب كل العجب ممن يطلب معرفة الله فإذا تعرَّف إليه أنكره.

29- المخالف لنفسه يسير من أول وهلة.

30- من سلم له خصيم نفسه سلم له خصيم جنسه، ومن سلم له خصيم جنسه وقفت النوبة عليه الله ينصره.

31- من التقوى مناسبة الكلام للكلام.

32- تحصيل العلم يتوقف على أمرين، أحدهما: الصدق دائما في القول والفعل من غير تبديل ولا تغيير، الثاني: مناسبة الكلام للكلام.

33- من ترك ما لا يعنيه فأقل شيء من الأسباب يكفيه، وإن لم يتركه فلا يكفيه شيء ولو عمل ما عمل.

34- أصل المحاسن من حيث هي فراغ القلب من حب الدنيا.

35- حوائج العامة تقضى بالتسبب فيها، وحوائج الخاصة تقضى بالإعراض عنها والإقبال على الله.

36- من ذكر نفسه أو نقول حوائجه على الدوام نسي ربه على الدوام، كما أن من ذكر ربه على الدوام نسي نفسه على الدوام، ومن نسي نفسه على الدوام فلا يفتقر إلى ذكر اللسان إنما يستغرق في العيان.

37- من أراد أن يصدقه الله في كل ما يقول، فلا يكذب ولو رأسه يزول.

38- إذا انتفى الوهم بقي التحقيق.

39- اذكرْ جميع عباد الله بخير وتصفى النظرة.

40- لا تذكروا الناس إلا بخير، إذ لا يشكر الله من لم يشكر الناس.

41- من شهد الكمال في كل شيء استمد من كل شيء وزاد قربا من الله، ومن شهد النقص في كل شيء استمد منه كل شيء وزاد بعدا من الله بكل شيء.

42- سبحان من يعطي في محل الفقد، ويمنع في محل الوجد.

43- باب الكرم هي الباب، يا من لا يفرق بين الخطأ والصواب، ويا عجبا الواصل لا يشدد ولا يضيق مع وجود قربه، والمنقطع يشدد ويضيق مع وجود بعده.

44- مهما حضر ذكر الله ذهب البأس، ومهما حضر البأس ذهب ذكر الله، ومن زعم أنهما يجتمعان فهو جاهل بمزية ذكر الله.

45- من أراد الحضور على الدوام، فليكف لسانه على الكلام.

46- لا شيء أقرب لجمع القلب على الله من الصمت والجوع، كما لا شيء أقرب لتشتيته من كثرة الأكل والكلام حتى فيما يعني.

47- إذا حضر الأدب حضرت الطريق، وإن غاب فلا أدب ولا طريق.

48- والله ما خصنا جميعا العلم ولا العمل فوق ما عندنا، إنما خصنا الأدب.

49- التهاون بالأمر، من قلة المعرفة بالأمر.

50- من علم أن الأشياء كامنة في أضدادها لا نخاف عليه.

51- من كان أشد حبا لله كان أشد بغضا لنفسه.

52- مراقبة الخلق عند أهل الظاهر شيء كبير، وعدم المراقبة عند أهل الباطن أمر كبير.

53- حاشى من سلم من العيوب أن يرى غير المحبوب، فلا يرى العيبَ إلا العائب، وأي عيب أعظم من رؤية الأغيار.

54- الفناء في الاسم فناء في المسمى.

55- جربْ أيها الفقير، إذ في التجريب علم الحقائق، ومن جرّب صاب، ومن كذب خاب.

56- نجدد تحرير القصد في تحرير القصد، فيتجدد لي المدد.

57- من تعذر عليه الفتح فليعمد إلى فأس الإحسان، وليحفر به في قلوب الإخوان، يخرج له ينبوع من العلم يغنيه عن مذاكرة الذاكر ومطالعة الدفاتر.

58- من أراد أن يكون قويا على الدوام، فليكن ضعيفا على الدوام.

59- الناس عندهم القوة هي القوة، ونحن عندنا القوة الكبيرة هي الضعف.

60- بالله الذي لا إله إلا هو، ما خصنا ما خصنا، وإنما خصنا الانقطاع إلى الله.

61- بالله الذي لا إله إلا هو، ما ضرنا إلا الاعتراض على الله عز وجل، وهو من أكبر الكبائر.

62- بالله الذي لا إله إلا هو، كل ما دون الاكتفاء بالله لـهْو وباطل.

63- بالله الذي لا إله إلا هو، من ترك ما لا يعنيه لا ينبت في قلبه إلا العلم.

64- بالله الذي لا إله إلا هو، من لم يتورع في القول والفعل لم يشم رائحة للتحقيق.

65- بالله الذي لا إله إلا هو، مَنْ سخا بفلسه ونفسه لم يبقَ في هذا العالم.

الباب الرابع: بعض أقوال مولاي العربي الدرقاوي

قال سيدي محمد البوزيدي رضي الله عنه:

- وقد قال شيخنا مولانا العربي بن أحمد الدرقاوي الشريف الحسني رضي الله عنه: الرجل ينسب إلينا ولا يأخذ النصيب منا هذا لا يسمع علينا.

- وقد قال شيخنا مولاي العربي رضي الله عنه: إذا حضر الأدب حضرت الطريق، وإن غاب الأدب فلا أدب ولا طريق.

- وقال شيخنا مولاي العربي الدرقاوي رضي الله عنه: من شهد الكمال في كل شيء استمد من كل شيء وزاد قربا من الله، ومن شهد النقص في كل شيء استمد منه كل شيء وزاد بعدا من الله بكل شيء.

- قال شيخنا حجة الإسلام سيدي مولاي العربي رضي الله عنه: من أراد أن يصدقه الله في كل ما يقول فلا يكذب ولو رأسه يزول.

- قال شيخنا رضي الله عنه: ليس المرض الكبير هو الحَبّ الذي يخرج في الجسد بالقيح والصديد، إنما المرض الكبير هو حُبّ الدنيا.

- وقد زلتْ أقدام الكثير في هذا الباب إن وجد ما ينفق فرح وقدم على الشيخ وإن لم يجد حزن وانقطع عن الشيخ، وقد قال شيخنا مولاي العربي الدرقاوي الشريف الحسني رضي الله عنه يوما لبعض الإخوان أهل غمارة بارك الله فيهم وفي غيرهم من الإخوان حيث علم منهم هذه العلة قال لهم: أنتم أجونا لله ونحن نقبلكم لله ليحصل الذكر الخالص من الجهتين. [أجونا أي ائتونا]

- وكان يقول لي رضي الله عنه: يا ولدي الرجل هو الذي يشمته الناس كلهم اختيارا عن طيب نفسه وهو يفرح لذلك، والشمَّاتة هو الذي يحب أن يشمت الناس كلهم، لأن الرجال عملهم مع الله تعالى، والشْمَايِتْ عملهم مع نفوسهم.

- قال لي مرارا: إن أردت أن تكون أعلم العلماء كلهم فلا تترخص في المنطق ولا تزد ولا تنقص.

قال سيدي أحمد بن عجيبة رضي الله عنه:

- قال الولي الصالح سيدي بوزيان: سألني رضي الله عنه- يعني الشيخ

مولاي العربي الدرقاوي- يوم أخذت عنه الورد عام تسعة عشر بعد المائتين والألف: هل أنا شريف أم لا ؟ فقلت له: لا أدري يا سيدي، فكرّر علي مرات، ثم قال لي: قل ما يقول أهلك، وأما أنا نعرف الشريف من غيره والحمد لله وأنت شريف، والتفت إلى صاحبيْه مولاي الهاشمي المنصوري وسيدي علي الحاح وقال لهما: اسمعا ما أقول لكما إن بعض الأولياء كان إذا مد يده إلى طعام فيه شبهة تحرك بيده عرق فيمسك عن أكله، وبعضهم كذا، وبعضهم خصه الله بكذا، وأنا خصني الله تعالى بخصوصية وهي أني مهما رأيت الشريف نعرفه من غيره، والله على ما نقول وكيل.

- ولقد سمعته يقول: إنا لنعرف أهل البيت بمجرد رؤيتهم، أو كلاما هذا معناه.

- فإن النساء يحتجن إلى سياسة كبيرة وصبر كبير لا يقدر على ذلك إلا الرجال الأقوياء، وهنا يظهر صبر الفقير ويعرف ضيقه من تاسيعه، ولذلك كان شيخ شيخنا مولاي العربي رضي الله عنه يحب التزوج للفقير، سمعته يقول: الصوفية حذروا الفقير من التزوج وأنا أحبه له لتتسع أخلاقه وتزداد معرفته ويكبر يقينه.

- وسمعت شيخ شيخنا مولاي العربي رضي الله عنه يقول: سدوا باب الطمع وافتحوا باب الورع والله حتى يستولي باطنكم على ظاهركم ومعناكم على حسكم.

- وكان شيخ شيخنا مولاي العربي رضي الله عنه يقول: فينبغي للفقير ألا يكون صيته أكبر من قدمه، بل يكون قدمه أكبر من صيته وقدره أكبر من دعواه.

- وكان شيخ شيوخنا مولاي العربي رضي الله عنه يقول: الفقير الصادق لم تبق له حاجة يطلبها وإن كان ولا بد من الطلب فليطلب المعرفة.

- وكان بعض إخواننا إذا سئل ما أدركتم وما ذقتم في هذا الطريق يقول البرد والجوع، فكان شيخ شيوخنا يعجبه ذلك ويستحسنه لدلالته على صدق الإخلاص.

- سمعت شيخ شيخنا مولاي العربي رضي الله عنه يقول: بقيت أربع سنين فانيا في الاسم لا أفتر عنه ليلا ولا نهارا حتى كان البدن كله يهتز به وحده فإذا قبضت على إحدى رجلي اهتزت الأخرى.

- فلا تجتمع مراقبة الحق مع مراقبة الخلق. من راقب الحق غاب عن الناس، ومن راقب الناس غاب عن الحق وعاش مغموما من الخلق، ولله در القائل:

مـــن راقـــب الـــناس مـــات غمـــا وفـــــاز باللــــــذة الجــــــسور

وكان شيخ شيخنا رضي الله عنه يقول: مراقبة الخلق عند أهل الظاهر شيء كبير، وعدم المراقبة عند أهل الباطن أمر كبير.

- قال مولاي العربي الدرقاوي رضي الله عنه " إنما تظهر الكرامة الحسية ما دام الخصيم الظلماني مقابلا للنوراني، فإذا انقطع الخصيم الظلماني فلا تظهر الكرامة في الغالب". يعني بالخصيم الظلماني خصيم الفرق، وبالخصيم النوراني خصيم الجمع، فإذا انقطع عنه خصيم الفرق فلا يحتاج إلى كرامة لاستغنائه عنها بالكرامة العظمى وهي الرسوخ والتمكين في معرفة الله، فالكرامة الحقيقية هي زوال الحجاب ولذلك قال في الحكم: ليس كل من ثبت تخصيصه كمل تخليصه، وقال أيضا: ربما رزق الكرامة من لم تكمل له الاستقامة.

- قوله تعالى ﴿ وَلَا تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدۡ سَلَفَۚ ﴾ [النساء: 22]: وهنا إشارة أخرى أرق وهو أن يشير بالنساء إلى الأحوال فلا ينبغي للفقير أن يتعاطى أحوال الشيخ ويفعل مثله، فإن الشيخ في مقام وهو في مقام، فإذا رجع الشيخ إلى الأسباب وتعاطي العُلْوِيَّات فلا يقتدي به إلا إن أدرك مقامه، وكان شيخ شيوخنا يقول: "لا تقتدوا بالأشياخ في أفعالهم، وإنما اقتدوا بهم في أقوالهم، فإن أقوالهم لكم ولهم، وأفعالهم خاصة بهم".

- قال شيخ شيخنا رضي الله عنه: قطب التصوف لا تَغضب ولا تُغضب.

- كان شيخ شيخنا رضي الله عنه يقول: العجب كل العجب ممن يطلب معرفة الله فإذا تعرَّف إليه أنكره.

- قال الغزالي: وبحر المعرفة لا ساحل له، والإحاطة بكنه جلاله محال، وكلما كثرت المعرفة وقويتْ كثر النعيم في الآخرة وعظم، كما أنه كلما كثر البذر وحسن كثر الزرع وحسن، ولا يمكن تحصيل هذا البذر إلا في الدنيا، ولا يزرع إلا في صعيد القلب، ولا حصاد إلا في الآخرة، وقال شيخ شيخنا مولاي العربي رضي الله عنه: بل الرجال زرعوا اليوم وحصدوا اليوم.

- كان شيخ شيخنا يشير على الفقراء إذا كثرت عليهم الخواطر والهواجس بالنوم ويقول: من تشوش خاطره فليرقد حتى يشبع من النعاس فإنه يجلو قلبه، لأن النعاس أَمَنَة من الله يذهب به رجز الشيطان ويثقله ويربط على القلوب في الحضرة

لأنه زوال، وإذا زال العبد ظهر الحق وزهق الباطل.

- وكتب شيخ شيخنا إلى بعض تلامذته: أما بعد فإذا تورعتَ في أقوالك وأفعالك وتوسعتَ في أخلاقك حتى يستوي عندك من يمدحك ويذمك ومن يعطيك ويمنعك ومن يؤذيك وينفعك ومن يشدّد عليك ويوسع، فلا أشك في كمالك.

- ولقد سمعت شيخ شيخنا مولاي العربي الدرقاوي رضي الله عنه يقول "ثلاثون سنة ما خالفت قلبي في شيء إلا أدبني الحق تعالى عليه" أي في ظاهره وذلك لغاية صفائه.

- وسمعت شيخ شيوخنا مولاي العربي الدرقاوي رضي الله عنه يقول: فكرة المتجرد أمنع من فكرة المتسبب.

قال سيدي محمد بن عبد الله المكودي التازي رضي الله عنه في كتابه " المنح السنية في الفقر والبلية ":

- قوْل شيخنا الإمام سيدي مولاي العربي الدرقاوي الشريف الحسني رضي الله عنه في بعض رسائله: والفرق بين الخاصة والعامة، أن الخاصة ﴿ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ﴾ [فصلت: 30] الآية وقال تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُوا۟ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝١٣ ﴾ [الأحقاف: 13] الآية، والعامة قالوا ربنا الله ثم سكنوا إلى الأهواء، وقد كتب الجُنَيْد إلى بعض إخوانه من أشار إلى الله وسكن إلى غيره ابتلاه الله وحجب ذكره عن قلبه وأجراه على لسانه إلى آخر كلامه، ولا شك أن الأصناف التائهة عن الله تعالى كلها تقول الله، قال الله تعالى ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾ [الزخرف: 87]، لكن لا يصح مجرد القول منا ولا منهم حتى يقول محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ويتبع السنة ويجتنب البدعة. انتهى لفظه رضي الله عنه وهو حسن.

- وقال شيخنا الإمام سيدي مولاي العربي رضي الله عنه معرفة الجمال عامة ومعرفة الجلال خاصة. قلت وأهل الفهم عن الله تعالى استوت عندهم الأحوال، فالجلال عندهم جمال، والجمال جلال، لأنهم مع ربهم لا مع نفوسهم.

قال سيدي أحمد البدوي زويتن رضي الله عنه في كتابه " الرسائل الكبرى":

- وأما رؤية ذاته المكرمة المعظمة صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله يقظة عيانا فهي لمن اختصه الله بها بالبصيرة والبصر، وهي رؤية جزئية لا رؤية كلية كما

قدمناه، قد تكون للعارف الكامل ولغيره من أرباب الأحوال والعلماء العاملين والزاهدين الورعين.

وأما الرؤية الكلية [قال بعض العارفين بالله عز وجل: لا تكمل ولاية ولي لله عز وجل حتى يراه صلى الله عليه وسلم عيانا يقظة في نفسه وفي كل شَيء شيء] فهي والله خاصة بالعارفين الكاملين الراسخين، فهي أي الرؤية الكلية كمن ظفر بكنز الياقوت الغريب الفريد بأسراره، والرؤية الجزئية كمن ظفر بياقوتة واحدة من الكنز، كما قاله مولاي وأستاذي رضي الله عنه وعنَّا به وجعلنا ومن تعلق بنا ريشة من جناحه آمين.

- وقد رأيت مولاي وأستاذي رضي الله عنه وعنا به آمين مهما اشتكى له أحد بأمر أو عزم أن يقدم على أمر فلا يقول له إلا أكثِر من الصلاة والتسليم على مولاي رسول الله صلى الله عليه وسلم، والأوقات التي عاشرتُه فيها رأيته غالبا يكثر من الصلاة والتسليم على النبي صلى الله عليه وسلم. قلت هنا سر لطيف دقيق يدريه أرباب الكمال ذوو التحقيق، وهو أنه صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه وعلى جميع عباده المؤمنين أصلٌ ومعدنٌ ومفتاحٌ لمخازن سائر الفتوحات الحسيات والمعنويات، فمن لاذ به صلوات الله وسلامه عليه ظفر بالخير كله، فافهموا.

- وقال مولانا وشيخنا رضي الله عنه وعنا به آمين لبعض الإخوان يوما وهو في السجن: من الذي ينهض حاله يا فلان ؟ فلم يجبه، فقال رضي الله عنه: هو المكتفي بربه على كل حال. وسمعته رضي الله عنه يقول: المريد الذي يريد من شيخه كرامة أو غيرها ليس بمريد، ويستشهد قول بعضهم رضي الله عنه وعنا به آمين:

تكـــون مـــريدا ثـــم فـــيك إرادة إذا لـــم تـــرد شـــيئا فأنـــت مـــريد

وسمعته رضي الله عنه يقول الكرامة التي تغني عن جميع الكرائم وهي الشرط في المعرفة: الاكتفاء بالله.

- سمعت مولاي وأستاذي رضي الله عنه وعنا به آمين يقول: لقد جعل الله للأمور الغاية، فمن ادعى أمرا طلب بغايته، وغاية المعرفة بالله الاكتفاء بالله. ثم قال رضي الله عنه: وعلامة المكتفي بالله أن لا يستوحش، إذا كان في حال العلو لا يشتاق لحال الدنو، وإذا كان في حال الدنو لا يشتاق لحال العلو.

- الكرامة التي ليس فوقها كرامة هي الاكتفاء بالله عز وجل، والإهانة التي ليس فوقها إهانة هي الإلتفات لغير الله عز وجل ولو كان صاحب هذا الحال أعلم البرية وأعبد البرية فما له إلا الجهل الكبير، قال مولاي وأستاذي رضي الله عنه وعنا به آمين: بالله الذي لا إله إلا هو كل ما دون الاكتفاء بالله لهو وباطل.

- قال مولاي وأستاذي رضي الله عنه وعنا به آمين: المعتصم بالله لا يفارقه عون الله.

- وقال مولاي وأستاذي رضي الله عنه وعنا به آمين: المنقطع إلى الله لا يفارقه عون الله أو نقول نيابة الله.

- قال مولاي وأستاذي رضي الله عنه وعنا به آمين: حوائج الخاصة تقضى بالإعراض عنها والإقبال على الله عز وجل، وقال لي يوما وهو في السجن رضي الله عنه: بالله الذي لا إله إلا هو ما خصنا ما خصنا وإنما خصنا الانقطاع إلى الله.

- قال مولاي وأستاذي رضي الله عنه وعنا به آمين: اضمنوا لي ألا تدخروا شيئا وأنا أضمن لكم أن لا يخصكم شيء.

- فقد سمعت مولاي وأستاذي رضي الله عنه وعنا به آمين يقول: بالله الذي لا إله إلا هو ما ضرنا إلا الاعتراض على الله عز وجل وهو من أكبر الكبائر.

- فاعلموا حفظكم الله ورعاكم وإيانا وجميع عباده وسائر بلاده رعاية تامة إلى لقاءه بمنه آمين أن هؤلاء المعترضين عفا الله عنا وعنهم لو بعدونا ما بعدونا ووضعونا ما وضعونا لا ينزلونا إلا في عين عينها كما قاله مولاي وأستاذي رضي الله عنه وعنا به آمين.

- أما بعد فاعلم رضي الله عنك ووقاك شر المنتقدين الحساد وقاية تامة إلى لقائه وإيانا وجميع عباده وسائر بلاده بمحض رحمته آمين أن أستاذنا لما مات أستاذه رضي الله عنهما وعنا بهما آمين وهيأه الله لما هيأه له بفضل رحمته صار كل واحد يقول فيه برأيه وعلمه ما ظهر له، فواحد يقول يحب الظهور، وآخر حين رآه معتنيا بشرائع البدايات مع تحقيقه ورسوخه في النهايات يقول ما له باطن إنما هو من أهل الظاهر فقط، وآخر يقول له أنت تلد ولا تربي، وآخر يقول له أنت غالب عليك السكر، وغير ذلك، فكان في أول الأمر رضي الله عنه يجيبهم، ثم بعد ذلك ألهمه الله بفضله فوجد أمر المنتقدين بحرا لا ساحل له فصار جوابه لهم هو السكوت عنهم، وأمرنا بذلك.

- اعلموا إخواني علمكم الله خيرا، أن مولانا وأستاذنا رضي الله عنه وعنا به آمين قال: شيخك هو الذي يقيم عليك نفسك في الوقت إن لم تنتصر لها يقوم لك ذلك مقام الشيخ الكامل القائل لك ها أنت وربك، وقال رضي الله عنه: وقت قيام النفس يكون الخير والشر كلاهما حاضرين غير غائبين فإن لم ينتصر الفقير لنفسه استغرق في الخير وفاته الشر، وقال رضي الله عنه: أكبر ما تفوتنا من خيرات بفوات ذكر الله لنا والله أكبر ما يفوتنا من ذكر الله عند انتصارنا لنفوسنا.

- سمعت مولاي وأستاذي رضي الله عنه وعنا به آمين يقول: يهون علي أن أدخل سبعا من جهنم ولا نغضب مسلما.

- وقد بلغني عن مولاي وأستاذي رضي الله عنه وعنا به آمين أن كل من رآه مكروبا أو مهموما أو مغموما أو محزونا أو استولى عليه الغيظ أو الغضب أو القبض يقول له رضي الله عنه: كلْ أشهى شيء إليك حتى تشبع وانظرْ موضعا خاليا ووسادة رطبة حتى تشفي غرضك في النوم فإنه يذهب عنك إن شاء الله ويأتي النصر والفرج والرحمة من الله، فامتثلناه فوجدناه ترياقا نافعا، فكونوا إخواني على ذلك أعانكم الله.

- قال مولاي وأستاذي رحمه الله تعالى ورضي عنه وعنا به آمين: الشيخ شرط واجب في كل فن من الفنون وفي فن التصوف أحرى وأحرى، وقال رضي الله عنه: الفاني يحتاج إلى الشيخ احتياجا بالغا ليرقيه للبقاء، والباقي إن كان من هو أكمل منه في الوقت يحتاج إليه ليرقيه.

- سمعت مولاي وأستاذي رحمه الله تعالى ورضي عنه وعنا به آمين يقول: بنفْس التقاء النهضتيْن يتكون ما يتكون. قلتُ على قدر نهضة المريد يكون التكوين، وأما الشيخ رضي الله عنه فهو ناهض على الدوام، إذ العارف الكامل لا يزول اضطراره ولا يكون مع غير الله قراره.

- سمعت مولاي وأستاذي رضي الله عنه وعنا به آمين يقول: الرجل الكامل ينزل صاحبه في أول قدم في الفناء في الذات علما ثم يزيد به للعمل، ومرة أخرى قال في القطبانية ثم يزيد به للعمل، وقال لنا رضي الله عنه: الذاتيون فرقهم عين جمعهم وحقيقة القطب أن لا يشهد إلا الله.

- فانظروا ساداتي تعبير من ذاق ذلك مع كبر قدره وهو العارف بالله الكبير، الواضح الشهير، سيدي عبد الرحمن الفاسي رضي الله عنه وعنا به آمين فقد رآه

بعض الناس بعد وفاته فقال له يا سيدي ما بقي في قلبك من الدنيا، قال رضي الله عنه: الساعة التي كنتُ أجالس الفقراء فيها، ومولانا وأستاذنا رضي الله عنه وعنا به آمين مع قوة استغراقه واكتفائه بربه قال وهو في السجن: لم يبق في قلبي شيء إلا الساعة التي كنت أجالس فيها الفقراء.

- فقد قال مولانا وأستاذنا رضي الله عنه وعنا به آمين: المذاكرة منذ ذقت سرها تولعتُ والله بها وأنا عليها مع أحبتي قواهم الله، وقال رضي الله عنه: المذاكرة ترحل إلى الله بالطريق وبلا طريق أي للمعتني وغيره، وقال رضي الله عنه: المذاكرة روح الفن والجسد لا يقوم بلا روح.

- فاعلموا حفظكم الله ورعاكم من الشك والوهم بمحض رحمته حفظا تاما ونحن وكل مَنْ همته ذلك إلى لقائه آمين أن مولانا وأستاذنا رضي الله عنه وعنا به آمين قال: الجمع على الله يجمع على الله. قلت لأنه مبني على ركنين هما معدن جوامع الخيرات الحسيات والمعنويات وهما الذكر لله والمذاكرة في الله.

- سمعت مولاي وأستاذي رضي الله عنه وعنا به آمين يقول: بالله الذي لا إله إلا هو لا نحدثكم إلا بما ذقته وإن كنتُ أقول بفِي فقط فالله يشرك لي احناكي، ويشير بيديه المباركتين من فيه إلى أذنيه، وقال: بالله الذي لا إله إلا هو ما مددت فيكم يدي إلا لنكملكم.

- اعلموا إخواني علمكم الله خيرا أن حقيقة العلم بالله هي استواء الحالات أو نقول اتحاد الحالات، قال مولاي وأستاذي رحمه الله تعالى ورضي عنه وعنا به آمين: حال الخصوصية قصير مفيد حبيبي ومحبوبي على كل حال، وحكى لنا رضي الله عنه حكاية الشاب الذي كان يبد أخيه في مرضه فقال له حين نام نمت لعنك الله فقيل له بعد ذلك كيف وجدت قلبك قال كقولك يرحمك الله، وكان رضي الله عنه في بعض الأيام يتلو علينا بداره بالجبل كتاب مولاي علي الجمل رضي الله عنه وعنا به آمين ثم طواه وقال ما مُسطر هنا إلا العمل وحكى لنا حكاية وقعت لمولانا علي رضي الله عنه تأييدا لكلامه رضي الله عنه فقال لنا أتاه شريف ليقتله فلم تتحرك فيه شعرة، وقد سئل مولاي وأستاذي رضي الله عنه هل استواء الحالات علما فقط فقال رضي الله عنه: علما ووجدا وذوقا وحالا.

- سمعت مولاي وأستاذي رضي الله عنه وعنا به آمين يحدث بما معناه عن بعض أعمامه وكان كبير شأنه مُقدَّما عند الشيخ الجليل الشريف المجيد الأصيل

مولانا الطيب بن مولانا محمد العلمي الوزاني رضي الله عنهما وعنا بهما آمين فأتى إلى زيارته بمئة نفس ونفس فقال له: جئتك يا مولاي بمئة معوج ومعوج فقال له رضي الله عنه: أليس مستقيم فيهم فقال له: يا مولاي المستقيم لا يحتاج لا لي ولا لك فقبلهم وكان من أمرهم ما كان، فاستحسن أستاذنا رضي الله عنه قول عمه رضي الله عنه، وكان يحدثنا بذلك ليعرفنا قدر صحبة أهل الله.

- فقد أتاني بعض الشرفاء رضي الله عنهم لقضاء أمر، فلم يتيسر لي في الوقت فواعدته، فبنفس ذلك قال لي أعطني الورد، فقلتُ له ليس هذا وقت الورد فالورد لا يُعطى إلا كما أُخِذ، فإذا أردته فأخلص نيتك فينا لوجه الله وائتنا خالعا نعليك جالسا ثانيا ركبتيك على التراب وترى ذلك قليلا في حق الله، قال مولاي وأستاذي رضي الله عنه وعنا به آمين: من لم يصُنْ هذا الفن ويُعزه فهو ممقوت ومخذول.

- قال مولاي وأستاذي رحمه الله ورضي عنه وعنا به آمين: والله ما مُنعنا إلا من عدم افتقارنا ولو افتقرنا لأغنيتنا.

- قال مولاي وأستاذي رحمه الله تعالى ورضي عنه وعنا به آمين: الدليل على استقراء المعنى في الباطن هو أنك تجد صاحبها دائما لا يهبط إلا إلى أسفل.

- قال مولاي وأستاذي رضي الله عنه وعنا به آمين: المعنى لا ترتبط إلا بالحس ولا تدوم إلا بالذكر والمذاكرة والزيارة وخرق العادة.

- قال مولاي وأستاذي رحمه الله تعالى ورضي عنه وعنا به آمين: اخرقوا عادة أنفسكم في الأمر الذي لم تبق عليكم لومة فيه لا من قبل الحق ولا من قبل الخلق.

- قال مولاي وأستاذي رضي الله عنه وعنا به آمين لبعض إخوانه: اذكرْ جميع عباد الله بخير وتصفى النظرة. قلتُ وإذا صفت النظرة فلا يكون ذلك إلا كذلك، إذ صفاء الباطن ينتج صفاء الظاهر لا محالة، وصفاء الظاهر يجذب صفاء الباطن لا محالة.

- فصفاءُ الباطن من صفاء الظاهر، وصفاء الظاهر من صفاء الباطن، كما قاله مولاي وأستاذي رضي الله عنه وعنا به آمين. قلتُ لأن الظاهر له ارتباط بالباطن، والباطن له ارتباط بالظاهر، هذا يزج في هذا، وهذا يزج في هذا، سرّ هذا من هذا، وسر هذا من هذا، وتلك الأسرار لا يعقلها إلا ذوو الإستبصار.

- فالظاهر وسيلة للباطن لا محالة، أو نقول التقوى الظاهرية وسيلة للتقوى الباطنية لا محالة، قال مولاي وأستاذي رضي الله عنه وعنا به آمين: ما تُنال التقوى إلا بالتقوى، وقال: بالله الذي لا إله إلا هو من لم يتورع في القول والفعل لم يشم رائحة للتحقيق.

- وقد قال أستاذنا المربي الأكبر رضي الله عنه وعنا به آمين: إذا انتفى الوهم بقي التحقيق. قلت انتفاؤه بانتفاء الشهوة.

- قال مولاي أستاذي رحمه الله تعالى ورضي عنه وعنا به آمين: من تخلصت عبوديته لربه حرّره مولاه لا محالة.

- قال مولانا وأستاذنا رضي الله عنه وعنا به آمين: العبودية بلا قلب عبودية خالصة لله، ومن تعبد لله العبودية الخالصة حرّره الله.

- قال مولاي وأستاذي رحمه الله تعالى ورضي عنه وعنا به آمين: من سلم له خصيم نفسه سلم له خصيم جنسه، ومن سلم له خصيم جنسه وقفت النوبة عليه الله ينصره.

- قال مولاي وأستاذي رضي الله عنه وعنا به آمين: من كان أشد حبا لله كان أشد بغضا لنفسه.

- قال القطب مولانا أبو العباس المرسي رضي الله عنه وعنا به آمين: العارف الكامل كلما علا به المقام صغرتْ رؤيته في عين الأنام. قال لنا مولاي وأستاذي رحمه الله تعالى ورضي عنه وعنا به آمين: فإن قلتم لماذا كان له ذلك؟ قلنا لأنه بقدر ما يحصل له من القرب من الله عز وجل يتخرب ظاهره، والعامة لا يقرون إلا البناء.

- فالكامل إن تنزل للوسع في الحس أو نقول في الآثار إنما ذاك في حقه عبودية محضة أو نقول ضيق محض تنزل له بالإذن والتمكين والرسوخ في اليقين، إذ الحظوظ والحقوق عند ذوي البصائر سواء كما قيل. قال القطب الجامع شيخ أشياخنا سيدي يوسف الفاسي رضي الله عنه وعنا به آمين:

نحن حزب الله من يلحقنا ... هزلنا جد وجد هزلنا

وقال مولاي وأستاذي رضي الله عنه وعنا به آمين:

نحن حزب الله من يلحقنا ... دنيانا أخرانا وأخرانا دنيانا

- قال مولانا وأستاذنا رضي الله عنه وعنا به آمين: الأكابر كلهم ما كثر

كلامهم وطالت عبارتهم إلا في حال استشرافهم، وأما في حال وصولهم فلا أي غالبا، وكان يضرب مثلا لذلك ويقول: الفكرة نار، والبشرية خشب، والكلام دخان، فما دام الخشب موجودا وهو البشرية والدخان يظهر وهو الكلام، فإذا اضمحل الخشب لم تبق إلا النار، انتهى. أي لم يبق إلا الاكتفاء بالواحد القهار.

- فقد أمرني مولاي وأستاذي رضي الله عنه وعنا به آمين قال لي: نجدد تحرير القصد في تحرير القصد فيتجدد لي المدد.

- سمعت مولاي وأستاذي رضي الله عنه وعنا به آمين يقول: من علم أن الأشياء كامنة في أضدادها لا نخاف عليه.

- سمعت مولاي وأستاذي رضي الله عنه وعنا به آمين يقول: بالله الذي لا إله إلا هو منْ يذكرك عهدك القديم لا يكون أحد أعز عليك منه على وجه الأرض.

- قال مولاي وأستاذي رضي الله عنه وعنا به آمين: علماء الظاهر يقولون من نقص شيئا حُرم بركته، ونحن عندنا الأشياء شيء واحد فمن نقص شيئا حُرم بركة الجميع. وقال رضي الله عنه: من نظر بعين الكمال في كل شيء عاد يستمد من كل شيء ويزيد قربا إلى الله بكل شيء.

- قال مولانا وأستاذنا رضي الله عنه وعنا به آمين: بالله الذي لا إله إلا هو مَنْ سخا بفلسه ونفسه لم يبقَ في هذا العالم.

- على قدر ضيق الظاهر يكون اتساع الباطن، وعلى قدر اتساع الباطن يكون أيضا ضيق الظاهر بدء ونهاية. سمعت مولاي وأستاذي رضي الله عنه وعنا به آمين يقول: الحرية التي خرجت في الظاهر للأكابر نقصتْ من بواطنهم، وقال صلى الله عليه وسلم: الدنيا تنقص من درجة الرجل ولو كان كريما على الله عز وجل.

- مولاي وأستاذي رضي الله عنه وعنا به آمين قال: من المُحال القطعي أن يكون العبد مع الله عز وجل ثم يكون مع شيء من الأشياء جليلا كان أم حقيرا.

- قال مولاي وأستاذي رضي الله عنه وعنا به آمين: رؤية الغير حرام على أهل الله.

- قال مولاي وأستاذي رضي الله عنه وعنا به آمين ما معناه: العلم الذي مهما شرعتم في الأخذ فيه تكبر غيبتكم في الله فخُذوه، والعلم مهما شرعتم في الأخذ فيه تضعف غيبتكم وتحضرون به مع الأكوان فاتركوه.

- قال مولاي وأستاذي رضي الله عنه وعنا به آمين: بالله الذي لا إله إلا هو من ترك ما لا يعنيه لا ينبت في قلبه إلا العلم، وكرر القسم ثلاث مرات.

- وسمعته يقول رضي الله عنه وعنا به آمين: بالله الذي لا إله إلا هو ما نحب من يأتيني لا يأتيني بشيء ولو برأس القط، لما رأى في ذلك رضي الله عنه للممتثل ذلك من الأسرار والخيرات والفوائد، وهو والله وجميع الأولياء رضي الله عنهم وعنا بهم آمين قد أغناهم الله به عن كل شيء شَيء وكفاهم به عن ذلك.

- وحين تجرُّدي لقن لي الاسم العظيم الأعظم المفرد ألله بعد طلبي إياه بلا تشخيص وقال لي: الفناء في الاسم هو الفناء في المسمى، وبعد ذلك بما شاء الله قال لي رضي الله عنه: من خرج حب الدنيا عن قلبه لا يحتاج إلى التشخيص.

- اعلموا إخواني علمكم الله خيرا أني لما قدمتُ على الشيخ رضي الله عنه في زيارة من الزيارات حبسني ومن جاء معي من الإخوان عنده للمذاكرة تسعة وعشرين يوما، وليست عادتنا كانت معه كذلك قبل، إنما ذلك زيادة عطف وتكرم وقبول منه رضي الله عنه وعنا به آمين، وكان يقول لي ولمن جاء معي من الإخوان رضي الله عنهم المرة بعد المرة (أنتم جئتم لله وأنتم في ضيافة الله، ومن جاء لله لا يقنط)، فتنبهوا لهذه الدقيقة إذ لا يقنط إلا صاحب العلة حين يفقدها.

- أما بعد، فمن أراد أن يستمد ويمد حيث ما كان فليتمسكنْ أي يلزم وصفه ويقف دونه مع جميع عباد الله، قال مولانا وأستاذنا رضي الله عنه وعنا به لإخواننا: تمسكنوا واذهبوا حيث شئتم.

- ومما قال لي رضي الله عنه وأنا يوما بداره بالجبل: فلان، فقلت له نعم يا سيدي، فقال أنا رجعت فاسي وأنت لم ترجع جبلي فوالله الذي لا إله إلا هو حتى ترجع جبلي.

- وقال لي يوما رضي الله عنه بالجبل أيضا: كان شيخي سيدي علي رضي الله عنه يقول حقيقتك مقدرة ولا نخاف عليك إلا من شيء من الرطوبة، وأشار إلي، وتأييد ذلك أني لما كنت معه رضي الله عنه بمدينة تازة حرسها الله وجماعة من الإخوان حاضرون فيهم الكبراء الأقدمون فقال لي بصوت عال في وسطهم: فلان، فقلت له نعم يا سيدي، فقال لي: احرش شيئا ما.

- وقال لي رضي الله عنه بعد خروجه من السجن بإشارة كالتصريح: لولا أنت لغرقت هذه السفينة.

- ودخلتُ عنده يوما مع جماعة من إخواننا في الله رضي الله عنهم وعنا بهم آمين للسجن، فبنفس ما جلسنا نهض لي والحمد لله والشكر لله نهضة كبيرة وقال لهم بحال قوي: فلان هو أنا وأنا هو ما قالها قلتُها وما عملها عملتها، فانكببت عليه لأقبل رجلئه، فقال لي: اسمعْ أنت أنا وأنا أنت ما قلته قلته وما عملته عملته.

قال سيدي محمد العربي المدغري، تلميذ سيدي أحمد البدوي زويتن، رضي الله عنهما:

- قال شيخ شيخنا المربي الكبير، العارف بالله الشهير، سيدنا ومولانا العربي رضي الله عنه وعنا به آمين: المعنى لطيفة جدا وهي لا تدوم إلا بالذكر والمذاكرة والزيارة وخرق العادة.

- وقال سيدنا ومولانا العربي رضي الله عنه وعنا به آمين: انظروا هؤلاء الإخوان كالجنيد وأنا انظروني فوق ذلك.

قال سيدي ابن القاضي في كتابه"النور القوي في ذكر شيخنا مولانا عبد الواحد الدباغ وشيخه مولانا العربي الدرقاوي":

- ثم صار [مولاي عبد الواحد الدباغ] يكرر قول شيخه مولانا العربي الدرقاوي رضي الله عنه: مَنْ جعلنا وسيلة إلى الدنيا اللهم ارزقه بلية بجاه خير البرية.

- وقد كان الشيخ مولانا العربي الدرقاوي رضي الله عنه إذا أراد أن يسخر فقيرا متجردا إلى السوق يقول له أنزل المرقعة واستعرْ ثوبا آخر حتى تقضي لنا حاجة من السوق فإني أكره الأسباب بالمرقعة، إذ الجمع بينهما تخليط، والتخليط فسق.

- ويكرر [مولاي عبد الواحد الدباغ] قول شيخه مولانا العربي الدرقاوي رضي الله عنه: الفقير الصادق يقتل نفسه بشيء من المباح، والفقير الكذاب يقع في الحرام ولم يقتلها. ويكرر قوله أيضا: عندنا من المباح ما يغنينا عن الوقوع في المكروه فضلا عن الحرام.

- ويكرر [مولاي عبد الواحد الدباغ] قول شيخه مولانا العربي الدرقاوي: ومن رأيت ظاهره بناء فاعلم أن باطنه خراب، ومن رأيت ظاهره خرابا فاعلم أن باطنه بناء. ويكرر قوله: وفي إهمال الظهر والبطن من الفوائد خرق العوائد.

- ويكثر [مولاي عبد الواحد الدباغ] من قول شيخه مولانا العربي الدرقاوي: من التقوى مناسبة الكلام إلى الكلام. يعني مَن تكلم معك في الشريعة لا تجاوبه بالحقيقة، ومن تكلم معك بالحقيقة لا تجاوبه بالشريعة، ومن تكلم معك بالعبودية لا تجاوبه بالحرية، ومن تكلم معك بالحرية لا تجاوبه بالعبودية، ومن تكلم معك بالجمع لا تجاوبه بالفرق، ومن تكلم معك في العُلْوِيَّات لا تجاوبه بالسفليات، وهكذا، وليكن جوابك مناسبا إلا إذا أردت أن تجادله وتماريه، وقد تقدم النهي عن ذلك.

قال سيدي أبو بكر البناني، تلميذ سيدي عبد الواحد الدباغ، رضي الله عنهما:

- وقد قال قدوة المحققين، وقبلة السالكين، شيخ شيخنا، مولانا العربي بن أحمد الدرقاوي رضي الله عنه في حدّ التصوف: (هو حفظ شرائع الدين، وحسن الخلق مع المسلمين، وسلب الإرادة لرب العالمين) فحفظ الشرائع إسلام، وحسن الخلق إيمان، وسلب الإرادة إحسان.

- وقد حدثني أستاذي العارف بالله مَنْ عليه وعلى الله اعتمادي الشريف الحسني مولاي عبد الواحد الدباغ رضي الله عنه أنه كان مارا مع شيخه مولاي العربي الدرقاوي رضي الله عنه بأرض فاس، حفظها الله من كل بأس، إلى ضيافة بعض الإخوان فمروا بالسجن وببابه عامل من عمال السلطان يضرب القيد على رجله، فقال الشيخ مولانا العربي لأصحابه أتعرفون ذنب هذا العامل، قالوا الله ورسوله والشيخ أعلم، قال ذنبه عدم القناعة ولو قنع بكسرة خبز ما وصل إلى ما ترون.

- قال بعض الناس لشيخ الشيوخ سيدنا ومولانا العربي الدرقاوي رضي الله عنه: إنا نراك تأمر أصحابك بالتجاهر بالأعمال وإظهار شور أهل الآخرة في الحال والمآل ولا يخفاك أن عمل السر أفضل من عمل الجهر وأنه ينبغي إخفاء أثر المجاهدة ما أمكن أخذا بالاحتياط، فأجاب رضي الله عنه ونفعنا الله به بما معناه: قد غلبت في زمننا هذا الأهواء واستولت الغفلة على القلوب وحجبتها عن حضرة

علام الغيوب، وصار الإظهار عين الإخفاء، والإخفاء عين الإظهار، بإجماع أهل الولاء، سيما والمقصود الله في الإسرار والإعلان، وطريقنا طريق الجلوة التي هي أكمل الطرق بالمشاهدة والعيان.

- حكي أن شيخ شيخنا مولانا العربي الدرقاوي نفعنا الله به قال له يوما بعض الفقهاء وقد رآه يتكلم بأفصح عبارة هل قرأت النحو، فقال له (إن حرف شرط) إشارة منه رضي الله عنه إلى أن الفقر مما سوى الله شرط في الوصول إليه، ولا يخفى على ذي بصيرة استنارة قلب هذا الشيخ في هذه التورية مع أنه ما قرأ علم بيان ولا منطق، فإذا صح افتقار العبد إلى الله صح له الغنى بالله، لأنهما حالان لا يتم أحدهما إلا بالآخر، فافتقار المريد مما سوى مطلوبه شرط في الوصول إليه، إذ محال أن تشهده وتشهد معه سواه.

- وطالما سمعت شيخنا مولاي عبد الواحد الدباغ قدس الله سره يحدث عن شيخه مولاي العربي الدرقاوي رضي الله عنه ويقول: (الرجل ينتسب إلينا ولا ينال شيئا منا هذا عار علينا، والله إن لم يحسن ظاهره وباطنه، فلا بد من إصلاح ظاهره) وهذا معنى السفر على ساحل البحر الذي لا يعدم صاحبه نظافة أطرافه وثيابه، وقال أيضا: (من عرفنا ثلاثة أيام يصلح دينه وتزول الدوخة من دماغه).

- وقد حدثني أستاذ التحقيق، ومَنْ إليه المرجع في هذا الطريق، مولاي وسيدي عبد الواحد الدباغ رضي الله عنه وقوّاني في محبته، أنه سمع شيخه سيدنا ومولانا العربي الدرقاوي رضي الله عنه يقول: (لا زال صاحب التعظيم في المظاهر الخارجية يكبر تعظيمه إلى أن يؤديه إلى تعظيم إخوانه ثم إلى تعظيم شيخه ثم إلى تعظيم نبيه فيسبح إذ ذاك بحرا لا ساحل له).

قال سيدي فتح الله بن سيدي أبي بكر البناني رضي الله عنهما:

ولا شك أن أهل النسبة الحقيقية هم، وإن تعددوا صورة، فهم في الحقيقة شيء واحد وذات واحدة، كما قال الشيخ سيدنا ومولانا العربي الدرقاوي رضي الله عنه: من فرّقنا أو عدّدنا فالله حسيبه.

قال سيدي محمد بن العربي الدلائي، تلميذ سيدي محمد الحراق، رضي الله عنهما:

وأخبرني بعض خواص مولاي العربي وكان معهما حين اللقاء أن أول

مذاكرة كانت بينهما [يعني بين الشيخ مولاي العربي الدرقاوي وتلميذه سيدي محمد الحراق رضي الله عنهما] أن قال له مولاي العربي: إن الشيخ الكامل هو الذي يكون في غاية السكر وفي غاية الصحو وفي غاية الجذب وفي غاية السلوك وفي غاية الفناء وفي غاية البقاء، فقال سيدي محمد الحراق يا سيدي ظهر لي بحسب عقلي الفاتر وفهمي القاصر أن هذا جمع بين متناقضين وهو محال، فقال مولاي العربي: ورد في الحديث إن الله ملَكا نصفه ثلج ونصفه نار وتسبيحه اللهم يا من ألف بين الثلج والنار فلا الثلج يطفئ النار ولا النار تذيب الثلج ألفْ بين قلوب عبادك المؤمنين، فشرح الله صدره للفهم ثم قال له الآن ظهر لي أن السكر يكون باطنا والصحو ظاهرا والجذب والسلوك كذلك كما يقال في الإيمان والإسلام، فسُرّ مولاي العربي بذلك وقال والله يا سيدي إلا كذلك وصار يكررها.

قال سيدي محمد العطار رضي الله عنه:

- (ولازموا الزاوية كل يوم وتهلوا في خروج الأوراد فيها ولا بد وتفقدوا من بات بالزاوية من الأضياف وأكرموه فإن من فعل ذلك أغناه الله في الحس والمعنى وأغنى به، والله ما ربحنا إلا بذلك، قال شيخ شيوخنا مولاي العربي رضي الله عنه: من ضمن لي خبزة كل يوم للزاوية أضمن له الغنى).

- (وإن تصفحتم رسائل الشيخ [سيدي محمد الحراق] رضي الله عنه فلا تجدوه يدل على شيء مثل ما يدل على حضور القلب مع الله ومنه كان فتح مولاي العربي رضي الله عنه لأنه أخبر بذلك عن نفسه في رسائله حيث تكلم على تشخيص حروف اسم الجلالة وقال: كنت أفعل ذلك ليحضر قلبي مع الله).

قال سيدي الحاج علي السوسي رضي الله عنه:

- وقد قال سيدي ومولاي العربي الدرقاوي رضي الله عنه: زينوا وجوهنا يا فقراء بترك الطمع.

- وقد قال مولانا العربي: الطريقة تحيى بالأقدام وتموت بانقطاع الأقدام، فأحيوها بالأقدام، يا من أراد شرب المدام، وأن يرسخ في طريق الله تعالى على الدوام.

- قال سيدي مولاي العربي: الأشياخ يتكلفون لأصحابهم أن يقفوا لهم عند الممات والسؤال والحساب والميزان والصراط، وأنا تكلفت لمن اتبعني وفعل ما

أمرته به أن يكون وليا من أوليائه ويقف للناس في ذلك كله ويشفع ويرفد الغنيمة ولا يحتاج أن يكون غنيمة لغيره.

قال سيدي الحاج محمد الهبري، رضي الله عنه، في رسائله:

- قال سيدنا مولاي العربي الدرقاوي لفقرائه:

على الفقير الصادق أن يأخذ ثلاثة أوصاف من ثلاثة طيور، أن يأخذ الطهارة من الرخم، وأن يأخذ الهمة من النسر، وأن يأخذ البطر من الباز.

- قال شيخ شيوخنا مولاي العربي الدرقاوي رضي الله عنه:

من كان فانيا في الاسم الأعظم تكون له الكرامة عند التمني، ومن كان فانيا في الذات تكون له قبل التمني.

قال سيدي ابن عليوة المستغانمي، رضي الله عنه، في كتابه "المنح القدوسية في شرح المرشد المعين بطريق الصوفية":

- قال شيخ شيوخنا مولاي العربي الدرقاوي رضي الله عنه:

ما عرفت من النحو إلا إعراب قوله تعالى: ﴿ إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ﴾ [النور: 32]، إن حرف شرط، ويُغنهم جواب الشرط، والمقصود بالغنى الغنى الأكبر، فيكون خطابه للمتوجهين على طريق أهل الإشارة.

- بلغنا عن شيخ شيوخنا مولاي العربي الدرقاوي رضي الله عنه أنه كان سائحا مع جماعة الفقراء وإذا بمغن يقول: راحت الهائجة وخلت الفائجة، فذهب إليه الشيخ ووقف عنده وهو مطرق الرأس، والفقراء متعجبون من فعله، حتى فرغ المغني من كلامه، فأعطاه الشيخ ما كان عنده من الدراهم وهو مسرور بما سمع منه، فقال له بعض الفقراء: فكيف بك تسمع يا سيدي ما لا يحل استماعه ؟ فقال الشيخ رضي الله عنه: وكيف لا أستمع من ينشدني عن الهائجة التي ذهبت وتركت الفائجة ؟ وأشار بذلك إلى نفسه حيث ذهبت عنه واستراح من معالجتها.....فإذا كان هؤلاء القوم يستخرجون الجد من الهزل فكيف لا يستخرجون الجد من الجد، بل فلهم ذلك لكونهم لا يقفون مع ظاهر الألفاظ وإنما ينظرون إلى المعاني الدالة على المراد، ولا يلتفتون للحن ولا لإعراب، بل يأخذون المعاني حيث وجدوها، فهم ناظرون لإشارة الأرواح غافلون عما يتلفظ به اللسان، تراهم مع الله في كل حال وشأن، مع أنه كل يوم هو في شأن.

قال سيدي محمد بن الصديق رضي الله عنه:

قال شيخ شيوخنا القطب مولاي العربي الدرقاوي رضي الله عنه:

من تعذر عليه الفتح، فليعمد إلى فأس الإحسان، وليحفر به في قلوب الإخوان، يخرج له ينبوع من العلم يغنيه عن مذاكرة الذاكر ومطالعة الدفاتر.

قال شيخي سيدي محمد المرون، رضي الله عنه، في كتابه "النبراس":

- قال مولاي العربي الدرقاوي رضي الله عنه:

خُطَّارُ هذه الطريقة قليل، وقُطَّاعُها كثير.

- قال مولاي العربي الدرقاوي رضي الله عنه:

طريقتنا طريق الأسود، يتستر فيها الخنازير والقرود.

- قال مولاي العربي الدرقاوي رضي الله عنه:

كان يحدثني رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقول: يا العربي كل مَنْ أَمَّ منكم فليخففْ التخفيف التخفِيف يا العربي.

قال سيدي محمد بن جعفر الكتاني، في كتابه "سلوة الأنفاس"، عند ترجمته لسيدي الحاج محمد فنجيرو، رضي الله عنهما:

وحدثني بعض الأشراف من الثقات، أنه سمعه وغيره ينقل عن العارف بالله مولاي العربي المذكور أنه كان يقول: (أعطي ثلاث لثلاث، المعرفة للعربي الدرقاوي، والصلاح لأهل وزان، والمحبوبية للشرفاء الكتانيين).

شرح قول مولانا العربي الدرقاوي رضي الله عنه (أحيى الله من أحيى الطريق وأماتنا وإياه على غاية التحقيق)

- قال مولانا العربي الدرقاوي رضي الله عنه في رسالته الثانية:

فإن شئتَ أن تطوى لك الطريق وتحصل في ساعة على التحقيق فعليك بالواجبات وبما تأكد من نوافل الخيرات وتعلم من علم الظاهر ما لا بد منه إذ لا يعبد ربنا إلا به ولا تتبعه إذ لا يطلب فيه التبحر إنما يطلب التبحر في الباطن، وخالِفْ هواك إذ ذاك ترى عجبا.

- قال مولانا العربي الدرقاوي قدس الله سره في رسالته 136:

فلا يعاند القدرة إلا من لا عقل له، وأما العاقل فلا يعاندها، فلا تحزنوا على حال إن فقدتموه، ولا تفرحوا بحال إن وجدتموه، بل اختاروا ما يختار ربكم لكم،

وجْدا كان أو فقدا، عطاء كان أو منعا، عز أو ذلا، صحة أو سقما، تاسيعا أو ضيقا، بسطا أو قبضا، غناء أو فقرا، علوا أو دنوا، حياة أو موتا، وهكذا، وهو حال سلب الإرادة لربهم وحال من يريد أن يكون معهم ويلحق بهم ويكون من جملتهم، وأما من يتخيّر على الله ويريد غير ما أراد الله فلا يبقى إلا أسير هواه، ومن كذب فعليه لعنة الله

سَـــلِّمْ لـــــــسَلْمى وذُرْ حـــــــيث دارتْ

واتـــبعْ ريـــاح القـــضا وسِـــرْ حـــيث ســـارتْ

فهذا الذي نحب أن تتمسكوا به وأن تتنافسوا فيه، إذ هو الغاية في الطريق والنهاية في التحقيق، إذ لا يتخلص من الهوى إلا مَنْ سكن وقت البلوى.

- قال سيدي محمد البوزيدي رضي الله عنه:

فإن التحقيق نهاية الطريق، والطريق نعت للتحقيق.

- قال سيدي أبو بكر البناني رضي الله عنه:

وقد ورد في الخبر عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يا بني إن قدرت أن تصبح وتمسي وليس في قلبك غش لأحد فافعل) ثم قال (يا بني وذلك من سنتي، ومن أحيى سنتي فقد أحياني، ومن أحياني كان معي في الجنة).......وقد أشار الشيخ مولانا العربي بن أحمد الدرقاوي رضي الله عنه إلى معنى الحديث في بعض حكمه حسبما سمعته من الشيخ عبد الواحد الدباغ رضي الله عنه وعنا به فطالما كان يقول في مذاكراته ووعظه قال شيخي يعني مولاي العربي [أحيى الله من أحيى الطريق، وأماتنا وإياه على غاية التحقيق]، فهذا اللفظ من الشيخ هو وإن كان ظاهره الإنشاء، فإن معناه الخبر فكأنه يقول الحياة الطيبة المشار إليها بقوله تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ﴾ [النحل: 97] لا تحصل إلا لمن أحيى الطريقة المحمدية وفاء بحق الشرط الذي قيد به الحق في قوله مَنْ عمل صالحا الخ، وكذلك الموت على غاية التحقيق برسم العبودية لا يكون إلا لمن كمل قدمه في إحياء السنة، لأن خواتم الأعمال إذا تأملت قواعد الشرع وجدتها من مراتب الجزاء على ما سلف منك، لأنه ورد يموت المرء على ما عاش عليه، فمن عاش على كمال العبودية مات والله على ذلك، والعكس بالعكس.....فتبين لك أن الحياة الطيبة

هي لمن أحيى الطريق، والموت على التحقيق لا يكون إلا لمن دام على إقامة شرائع الطريق، فبقدر مخالفة الهوى تحيى السنة، وبقدر إحياء السنة تحصل حياة القلوب، وبقدر حياة القلوب يكون الترقي إلى حضرة علام الغيوب، وبقدر الترقي يكمل تحقق العبد بحاله إن شاء الله.

- قال سيدي فتح الله بن سيدي أبي بكر البناني رضي الله عنهما:

مدار الطريق على غاية التحقيق، وغاية التحقيق هو وجود الآداب على منهاج التوفيق، وبالأدب يحصل العلم، وبالعلم يحصل العمل، وبالعمل يحصل الزهد، وبالزهد تحصل الحكمة، وبالحكمة تحصل مخافة الله، وبالخوف تحصل منازل القرب في الدنيا والآخرة.

شرح كلام آخر لمولاي العربي الدرقاوي رضي الله عنه

قال مولاي العربي الدرقاوي رضي الله عنه في رسالته 50:

(وقد أكرمني ربي سبحانه، في ابتداء أمري وفي حال شبابي، ونحن إذ ذاك بمدينة فاس دفع الله عنها كل بأس عام اثنين وثمانين ومائة وألف، إذ كنت لا نرى في نفسي ولا في كل أحد أحَد ولا في كل شيء شيْء إلا الله تعالى، لكن بنفس ما نرى الله تعالى نرى النبي صلى الله عليه وسلم، أو بنفس ما نراه صلى الله عليه وسلم نرى الله تعالى، وكنتُ برؤيتي سكرانا دائما صاحيا دائما).

قال سيدي محمد العربي المدغري رضي الله عنه:

(وكذلك كدتُ أيضا أن لا نرى إلا وحدة ذات رسول الله صلى الله عليه وسلم في جميع الوجود ولم نر غيرها، مع كونها منزهة عنه أي عن الغير في حال تجليها به في كل حال بلا كيف ولا أين، إذ وجودها من وجود الله سبحانه، فمهما رأيت وحدة وجود كمال الحق عز وجل إلا ونرى معه وحدة وجود كمال سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومهما رأيت وحدة وجود نور كمال مظاهر سائر المظاهر سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا ونرى وحدة وجود الحق عز وجل فيه.

قلتُ فحينئذ قد اتحدت حقيقة الحقيقتين الذاتية والصفاتية، أو نقول العلمية الغيبية والعينية الإشهادية، أو نقول الربانية والمحمدية، أو نقول الجمالية والجلالية، أو نقول الباطنية والظاهرية، أو نقول الوحدة والكثرة، لانطواء وهم خيال وجود الإثنينية في عين ثبوت الوحدة الصمدية المتجلية بكل تجل المقدسة عنه في عين

تجليها به.

قلتُ والرؤيتان العظيمتان الكبيرتان الربانية والمحمدية، أو نقول الحَقية والخلقية، ممحوتان في عين الثبوت، مثبتان في عين المحو، أو نقول فالنظر صفة للمخلوق يكون بالبصر والبصيرة يسمّى رؤية، وحركة اللسان تابعة لحركة القلب يسمّى كلاما، والكلام يفترق على وجوه متعددة ومن جملة وجوهه الأمر والنهي وكلاهما إذن، فلما ذهب وهم عين وجود ثبوت هاتين الصفتين وهما الرؤية والكلام بعين وحدة ثبوت وجود حقيقة مثبتهما تقدستْ ذاته وصفاته وأسماؤه عن كل تقديس، لأن التنزيه فيه تلمح نقص فافتقر إلى نفيه عنه بالتنزيه، فذهبت الصفتان بالله لله في الله، وذهب كل شيء لفناء وهم الكل في حقيقة الثبوت، فاتحد حينئذ الإذن منهما أيضا، كما اتحدت الرؤية الربانية والمحمدية بالله لله أيضا، فافهم...).



الباب الخامس: الأذكار

- الورد الدرقاوي.
- ورد خاص.
- سورة الأنبياء.
- بعض دعاءه.
- الحفيظة.
- آداب حلقة الذكر.
- مزج آية الكرسي بالصلاة على سيد الوجود صلى الله عليه وسلم.



الورد الدرقاوي

* قال سيدي محمد بوزيان، رضي الله عنه، في كتابه "الطبقات":

(ولما قربت وفاته رضي الله عنه [يعني مولاي العربي الدرقاوي] صار يوصينا...وأكد أيضا تأكيدا محتما على ذكر الورد والدؤوب عليه بعد صلاة الصبح وبعد صلاة المغرب، وهو: أستغفر الله مئة، واللهم صل على سيدنا محمد عبدك ورسولك النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم مئة، ولا إله إلا الله وحده لا شريك له لهُ الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير مئة، وفي سائر الأوقات لا إله إلا الله من غير عدد ولا كلفة ولا مشقة، ويلقن النساء بعد مئة الاستغفار اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد مئة ولا إله إلا الله مئة وعند تمامها سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله. وكان رضي الله عنه يقسم بالله أن من دام على هذه الأذكار حتى يربح في الدنيا والآخرة ربحا كبيرا، وكان يقول: قد شرح الله صدري لهذا الورد أن نلقنه لكل أحد أحَد سواء طلبه مني أو لم يطلبه مني لما نرى له من الخير والسر والبركة والفضل).

* قال سيدي محمد الحراق، رضي الله عنه، في إحدى رسائله:

(اعلم أن كل من يذكر هذا الورد ولم يحصل له به ربح فلم يقله حقيقة، وإنما يضيع الزمان لا غير حتى يفتح الله عليه، لأنه ظهر لي والله أعلم أن كل من يقول أستغفر الله العظيم مئة مرة بعد صلاة الصبح ومثل ذلك بعد صلاة المغرب ولم يحصل له حب طاعة الله وكراهية معصيته حتى لا يحب أن يسمعها فضلا عن أن يعملها كله لم يقل ذلك حقيقة، وكل من يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم مئة مرة بعد صلاة الصبح ومثل ذلك بعد صلاة المغرب ولم يتخلق بأخلاقه عليه الصلاة والسلام من اجتلاب كل وصف محمود واجتناب كل وصف مذموم كله لم يصل على النبي صلى الله عليه وسلم على الحقيقة، وكل من يقول لا إله إلا الله مئة مرة بعد صلاة الصبح ومثلها بعد صلاة المغرب ولم ينس الكون بأسره كله لم يقل لا إله إلا الله على الحقيقة، فالاستغفار يفيد حصول مقام الإسلام، والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم تفيد مقام الإيمان، والهيللة تفيد مقام الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، والاسم المفرد والله أعلم يفيد المريد أن يراه لا كأنه يراه لأنه نور محض ألله نور السماوات والأرض، والله تعالى أعلم).

ورد خاص

قال الشيخ مولاي العربي الدرقاوي رضي الله عنه في رسالته 26:

(ومنها، فالأخ الذي تحيرتَ في أمره قلْ له يقوم بالمفروض وبما تأكد من المسنون ثم يقول بعد ذلك: حسبنا الله ونعم الوكيل ثلاثا، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ثلاثا، ﴿ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [البقرة: 137] ثلاثا، ﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ﴾ [الكهف: 10] الآية ثلاثا، اللهم صل على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم ثلاثا، صباحا ومساء، يرى عجبا، سواء سافر أو قام، وإذا فعل ما ذكرنا فإنه يتقوى عزمه على الجهة التي له الخير فيها إن شاء الله قوة لا يستطيع أن يردها، وقد أمرت بهذا بعض الإخوان رضي الله عنهم، ففعل فكان له الخير الكبير والسر الواضح الشهير، والله على ما نقول وكيل، ونحب من يسافر أو يقيم أن يكون عليه ما دام حيا).

سورة الأنبياء

قال سيدي أحمد البدوي زويتن رضي الله عنه في كتابه "الرسائل الكبرى":

(...وسورة الأنبياء المذكورة من الخصائص أيضا والفضائل ما لا يعده كثرة عند العلماء الراسخين، فقد رأيت مولاي وأستاذي رضي الله عنه وعنا به مهما أَهَمَّه أمر بادر إلى تلاوتها بالركوع والسجود، وقد حق لها والله أحق أن تسمى بسورة الفرج والنجاة من كل كرب وهم وضيق).

دعاء

قال سيدي أحمد البدوي زويتن رضي الله عنه في كتابه "الرسائل الكبرى":

(ومنها، وقد علمني إياه مولاي وأستاذي رضي الله عنه وعنا به آمين وأمرني أن ندعو به في السجود وهو بعد البدء بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم والختم بها بعد كذلك: اللهم اكفنا هم الدنيا وهم الآخرة بجاه خير البرية صلى الله عليه وسلم وعلى آله آمين آمِين آمين، وكيفية الصلاة التي يبدأ ويختم بها: اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد وارحمْ سيدنا محمدا وآل سيدنا محمد وباركْ على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد كما صليت وترحمت وباركت على سيدنا إبراهيم وعلى آل سيدنا إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد وسلم تسليما كذلك).

حفيظة مولانا العربي الدرقاوي، وذكر بعض فضائلها

قال سيدي أحمد البدوي زويتن، رضيَ الله عنه، في كتابه "الرسائل الكبرى":

(أما بعد، فاعلموا رعاكم الله برعايته الفردية بمنه نحن وكل مَنْ همته ذلك إلى لقاءه آمين، أن الحفيظة الجليلة المباركة وجدنا لها سرا عظيما فوق ما يوصف، فقد كان شيخنا رضي الله عنه وعنا به آمين يعلن بقدرها على رؤوس الأشهاد، سمعته رضي الله عنه يقول: **بالله الذي لا إله إلا هو المواظب عليها حتى تفتح له الطرق في السماوات والأرضين**، وسمعته رضي الله عنه يقول: **أظنها والله أعلم مشتملة على الاسم الأعظم**، وسمعته رضي الله عنه يقول: **جعلتها لمن أهَمَّه أمر أو عزم أن يقدم على أمر مهم يتلوها فلا يرى إلا ما يسره إن شاء الله.**

قلت وقد أطلعني الحق سبحانه على سرها، فرأيتها حصنا حصينا مانعا من الشرّيات بأسرها، ومغناطيسا جالبا لأنواع الخيرات الحسية والمعنوية بتمامها للمواظب على تلاوتها ولو بلا قلب أو نقول بلا حضور، وكذلك نحبكم أن تلزموا شرائع طريقتكم كيف ما كنتم، فقد قال مولانا وأستاذنا رضي الله عنه وعنا به آمين: العبودية بلا قلب عبودية خالصة لله، ومَنْ تعبد لله العبودية الخالصة حرره الله، وقال رضي الله عنه: منا وجود الأسباب، وعلى الله رفْع الحجاب، وقال الأستاذ الأعظم سيدي ابن عطاء الله رضي الله عنه وعنا به آمين: لا تترك الذكر لعدم حضورك مع الله فيه. قلتُ الذي أمرنا به وطلبنا به هو الثبات على توجّه ظاهرنا وكريم الكرماء سبحانه لا يخيب مَنْ أمله، ومن طلبه كاذبا وجده، فقد ورد عنه صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه وعلى جميع عباده المؤمنين أنه قال: إن الله تبارك وتعالى ليستحي من عبده المؤمن إذا رفع إليه يديه أن يردهما صفرا، أي خائبتين. قلتُ ورأيتها أيضا ربيع هذا الزمان، فالاعتناء بها مؤكد ومحتم على من أراد النجاة من شدته وغفلته وآفاته والأمان، فمن اعتنى بها مع ورده صباحا ومساء تفتح في وجهه دائما أبواب التيسير في دينه ودنياه، ويكون محفوظا مؤمنا في متقلبه ومثواه، إن قيد جميع أقواله وأفعاله وأخلاقه وأحواله بقيد آداب عزائم السنة المحمدية عبادة وعادة في سره ونجواه، فمما اتفق عليه جميع قداة وهداة السنة المحمدية أن الذاكر لا يجني ثمرة ذكره ويكتب له فضله الأعظم إلا إذا وقف على حدود أمر ربه في متقلبه ومثواه، وإن لم يتيسر له ذلك كذلك فليذكر الله تبارك وتعالى كيف ما كان وعلى أي حال كان، ببركة المواظبة على ذكر الله تبارك وتعالى يرقى بلا مشقة ولا

تعب إلى أسنى الأحوال كما قدمناه آنفا وقلناه مرارا عديدة، وأيضا فلوسْع رحمة الله وكرم الله بركة الأعمال الصالحة تعود على الكافر مع كفره ويخفف عليه من عذابه فأحرى حفظكم الله ذكر الحفيظة، وهي:

بعد البدء والختم بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم صلاة الورد مرة، وباللّهم يا مقلب القلوب الخ ثلاثا، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ثلاثا، بسم الله الرحمن الرحيم ثلاثا، أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق ثلاثا، بسم الله الذي لا يضرّ مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم ثلاثا، حسبنا الله ونعم الوكيل ثلاثا، لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ثلاثا، اللهم صل على سيدنا محمد عبدك ورسولك النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم تسليما عدد خلقك ورضا نفسك وزنة عرشك ومداد كلماتك ثلاثا، ﴿ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [البقرة: 137] ثلاثا، ﴿ فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَـٰفِظًا ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ [يوسف: 64] ثلاثا، ﴿ وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾ [غافر: 44] ثلاثا، ﴿ لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَـٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ [الأنبياء: 87] ثلاثا، ﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴾ [الكهف: 10] ثلاثا، ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾ ﴾ [آل عمران: 8] ثلاثا، ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴿٢﴾ ﴾ [آل عمران: 2] إلى آخر الآية مرة، ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ ﴾ [التوبة: 128] إلى آخر السورة مرة بعد تكرار (حسبي الله) حين الوصول إليها في التلاوة سبع مرات، ثم سورة الإخلاص بالبسملة ثلاثا، ثم المعوذتان بالبسملة ثلاثا، ثم الفاتحة الخ مرة، اللهم صل على سيدنا محمد النبيء الأمي وعلى آله وصحبه وسلم أفضل الصلوات وأزكى التسليم عشرا، ثم ﴿ سُبْحَـٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ ﴾ [الصافات: 180] إلى آخر السورة مرة).

فصل في آداب حلقة الذكر

قال سيدي أحمد البدوي زويتن، رضي الله عنه، في كتابه "الرسائل الكبرى":

(ومن آدابها أن لا يكون المنشدون خلفها بل يكونون في صفها أو في وسطها، كما رأيت مولاي وأستاذي رضي الله عنه وعنا به آمين يأمر بذلك ويفعله

بنفسه، ويُكره ضده إلا إن انضم البعض للبعض قرب ختمها، فحينئذ لا تحتاج إلى إنشاد، وإن أنشد المنشدون خلفها فلا بأس، أو كان ذلك يؤدي لقوتها في بعض الأحيان فلا بأس أيضا، إذ المنشدون هم روحها أو نقول قوتها أو نقول مددها وهم أيضا السابقون بها.

ومن آدابهم ألا يطولوا بهم، إذ رأيت مولاي وأستاذي رضي الله عنه وعنا به آمين يفعل ذلك ويأمر به ويقول رُوحُوا وجددوا، ويُكره ضده إلا إن تفايض المدد وتزايد فالإذن من الله جل جلاله في التطويل ما لم يخرج وقت فريضة عن آخره المختار.

ومن آدابهم أيضا حين الختم يروحون بالإنشاد ما شاء الله ولا يسرعون بتجديد الذكر، ومَنْ أسرع بذلك ولم يكن مغلوبا عليه فليردوه باللطف والرفق، إذ رأيت مولاي وأستاذي رضي الله عنه وعنا به آمين يحب ذلك ويكره ضده.

ومن آدابهم أيضا إن أكرمهم أحد ليلا فلا يطولون طولا كبيرا بالذكر حتى يعجزون عن القيام لأداء فريضة الصبح، قال لي مولاي وأستاذي رضي الله عنه وعنا به آمين إذا دعاكم أحد ليكرمكم ليلا فقولوا له فلا تبطئ بالعشاء لئلا تفوتنا صلاة الصبح.....

ومن آدابهم أن لا يواصلوا الإنشاد بل ينشدون شيئا ويسكتون شيئا ما، كما رأيت مولاي وأستاذي رضي الله عنه وعنا به آمين يحب ذلك ويأمر به ويكره ضده، وإن تفايض المدد وتزايد بسبب ذلك في بعض الأحيان فليفعلوا، لأن الحصر والتقييد ليس من شأن أهل التفريد، لأنهم أهل فهم عن الله جل جلاله......

وإن فرغوا من السماع عقبها فليختموا بالقرآن أو بالهيللة لأنها ذكر وقرآن، رأيت مولاي وأستاذي رضي الله عنه وعنا به آمين يفعل ذلك ويأمر به).

مَزْجُ آية الكرسي بالصلاة على سيد الوجود صلى الله عليه وسلم.

المزجُ للعارف الكامل مولاي العربي الدرقاوي رضي الله عنه.

[هذا المزج، أخذته عن العارف بالله مولاي عبد العزيز، بن مولاي الطيب، بن مولاي الطيب، بن شيخ الشيوخ مولاي العربي الدرقاوي].

(الله لا إله إلا هو، اللهم صل على عبدك القائم بأحديتك، المتطور بوحدانيتك، اسمك الجامع، ونورك الساطع، الذي به تحققت الحقائق فتميزت علما، وتعين وجودها الكوني فبدتْ عينا، **الحي القيوم**، اللهم صل على روحك

الأقدس الذي بسريان نفحات الرحيم أجيبت الأنفاس العُلوية والسُّفلية، وبنفسه الرحمانية أقيمت المكونات السماوية والأرضية، **لا تأخذه سِنَة ولا نوم**، اللهم صل على نبيك الأكرم الذي ملأته بجلالك، فلا نوم ولا غفلة تلحقه لأجل ذلك، **له ما في السماوات وما في الأرض**، اللهم صل على خليفتك الأعظم الذي أذعنت له جميع الذوات إذعان قهر وتسخير، لما جعلت له فيها من توجه أمر وتصريف وتدبير، **من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه**، اللهم صل على حبيبك الذي خصصته بالشفاعة والوسيلة إليك، فلا أحد ينال جزاء ولا كمالا إلا بشفاعته لديك، **يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم**، اللهم صل على رسولك الذي خصصته بعلم المبدأ والعود، وما هو قبلٌ ومَعًا وبعدٌ، من أظهرت به خطابك، ويبث به أحكامك، **ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء**، اللهم صل على ذكرك الذي خصصته بحيطة علمك حتى لا أحد غيرك يشهده، ولا أحد غيرك يعلمه، من أفضت منه على خلقك، فاهتدى به من أصابه بتوفيقك وفضلك، وضل من أخطأه بقضائك وعدلك، **وسع كرسيه السماوات والأرض**، اللهم صل على رحمتك الكبرى، ونعمتك العظمى، التي وسعت الأكوان بسطا وفضلا، وقبضا وعدلا، **ولا يؤوده حفظهما**، اللهم صل وسلم على أوليائك الأحمى، الذي حفظت بأنفاسه ما في الأرض والسماء، **وهو العلي العظيم**، اللهم صل على عبدك الأول الآخر الظاهر الباطن الذي رفعت له ذكرا، وأعظمت له أجرا، فذو الإحاطة الذاتية، والحيطة الصفاتية، المجهود له في الأنفاس والآفاق، الذي لم يلحق شمس جماله كسفا ولا لقمر جماله وبدر كماله خسفا ولا محاق، اللهم بجاه هذا العبد الكريم، الرؤوف الرحيم، الذي خصصته بكمالك، وبه وفيه تعرفت لعبادك، وأنزلت عليه ما من أجله أذعن الأولون والآخرون ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ۝ ﴾ [الحجر: 9]، أسألك اللهم به وبجاهه أن تحفظني من صدمات قهرك، ونزول عذابك، وأن تجعلني من كل ذلك في كنف جلالك وجمالك، من نُور نور جمالك، ﴿ وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطُۢ ۝ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ۝ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ ۝ ﴾ [البروج: 20-22]، ﴿ الٓر ﴾ ﴿ كٓهيعٓصٓ ۝ ﴾ [مريم: 1] ﴿ حمٓ ۝ ﴾ [غافر: 1] ﴿ قٓ ﴾ [ق: 1] ﴿ نٓ ﴾ [القلم: 1]، ﴿ فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَـٰفِظًا ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ [يوسف: 64].

الباب السادس:

فهارس رسائل مولاي العربي الدرقاوي[1]

(1) رسائل مولاي العربي الدرقاوي مطبوعة في كتاب مستقلّ صادر عن دار الكتب العلمية بعنوان «بشور الهدية في مذهب الصوفية».



فهرس الأحاديث القدسية

فهرس الأحاديث النبوية

ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه) الرسالة 142

- (التائب من الذنب كمن لا ذنب له) الرسالتان 74/ 242

- (تحَرَّكُوا تُرْزَقوا) الرسالتان 141/ 142

- (تَفَكُّرُ ساعة أفضل من عبادة سبعين سنة) الرسائل 13/ 96/ 154

- (توبوا فإني أتوب إلى الله في كل يوم سبعين مرة) الرسائل 13/ 96/ 154، وفي حديث آخر (مئة مرة) الرسالة 74.

- (جئنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر) الرسالة 233

- (حب الدنيا رأس كل خطيئة) الرسالة 242

- (حَدِّثِ الناس بما يفهمون) مقدمة الشيخ مولاي العربي الدرقاوي على رسائله.

- (خصلتان ليس فوقهما شيء من الخير: حسنُ الظن بالله وحسنُ الظن بعباد الله، وخصلتان ليس فوقهما شيء من الشر: سوء الظن بالله وسوء الظن بعباد الله) الرسالة 123.

- (الدنيا حرام على أهل الآخرة، والآخرة حرام على أهل الدنيا، والدنيا والآخرة حرام على أهل الله) الرسالة 168

- (الدنيا مطية المؤمن) الرسالة 123

- (رَحِمَ الله أخي موسى لو صبر) الرسالة 150

- (الصلاة عمود الدين) الرسالة 262

- (الطهور شطر الإيمان) الرسالة 250

- (الظلم تحت جناح كل أحد) الرسالة 159

- (كل أمْر ليس عليه أمْرنا فهو رد) الرسالة 131

- (كل يوم لا أزداد فيه عِلْما يقربني من الله تعالى فلا بُورك لي في طلوع شمس ذلك اليوم) الرسالة 96

- (لا تأتي على العبد ساعة لا يذكر الله تعالى فيها إلا كانت عليه حسرة وندامة يوم القيامة) الرسالة 154

- (قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم: إن فلانة تصوم النهار وتقوم الليل إلا أنها سيئة الخلق تؤذي جيرانها بلسانها فقال: لا خيْر فيها هي من أهل النار)

- (يدُ الله ملئى لا تخشى فاقة) الرسالة 78

فهرس الأدعية

- (فكانت واللهِ زيارة الأموات سبباً في معرفة الأحياء رضي الله عن الأحياء والأموات من أولياء الله تعالى، اللهم تكرَّمْ علينا وعلى كل من لاذَ بنا كما تكرمتَ عليهم يا أكرم الأكرمين يا رب العالمين) آخر الرسالة 246

- (اللهم اجعلنا وكل من تعلَّقَ بنا من أهل الملة الإبراهيمية بجاه خير البرية سيدنا وحبيبنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم) الرسالة 87

- (اللهم اجعلنا وكل من لاذَ بنا من حزب الله بجاه مولاي رسول الله صلى الله عليه وسلم) الرسالة 242

- (ادْعُ الله تعالى لي أن يجعل حياتي ومماتي كلاهما في مسجد الله وادْعُ لأحبتنا كلهم) الرسالة 23

- (اللهم باركْ في ذريته وذرية جده صلى الله عليه وسلم من حيثُ هي إلى انقراض الدنيا) الرسالة 215. هذا دعاء الشيخ مولاي العربي الدرقاوي مع السلطان الشريف سيدي محمد بن عبد الله بن إسماعيل العلَوي.

فهرس الحِكَم

حكمة سيدي قاسم الخصاصي رضي الله عنه:

(لا تشتغلْ قد بِمنْ يؤذيك، واشتغلْ بالله يرده عنك فإنه هو الذي حرَّكه عليك ليختبر دعواكَ في الصدق، وقد غلط في هذا الأمر خلق كثير فاشتغلوا بإذاية مَنْ آذاهم فدام الأذى مع الإثم، ولو أنهم رجعوا إلى الله لردَّهُمْ عنهم وكفاهُمْ أمرهم) الرسالة 7

من حكَم سيدي أبي مدين الغوث رضي الله عنه:

* (إذا رأيتَ من يدّعي مع الله حالة وليس على ظاهره منها شاهِد فاحذره) الرسالة 123

* (شَتَّان بين مَنْ همَّته الحُور والقصور، وبين من همته رفْعُ الستور ودوام الحضور) 5

* (مَنْ لم يمت لم يَرَ الحق) الرسالتان 8/ 13

منْ حكَم سيدي ابن عطاء الله رضي الله عنه:

- (ادفنْ وجودك في أرض الخمول، فما نَبت مما لم يُدفن لا يتم نتاجه) الرسالة 147

- (إذا علمتَ أن الشيطان لا يغفل عنك، فلا تغفل أنت عمن ناصيتك بيده) الرسالة 15

- (إرادتك التجريد مع إقامة الله إياك في الأسباب من الشهوة الخفية، وإرادتك الأسباب مع إقامة الله إياك في التجريد انحطاط عن الهمة العلية) الرسالتان 57/ 123

- (إقبالك على الحق إدبارك عن الخلق، وإقبالك على الخلق إدبارك عن الحق) الرسالتان 4/ 123

- (إلهي قد علمتُ باختلاف الآثار وتنقلات الأطوار أن مرادك مني أن تتعرف إلي في كل شيء حتى لا أجهلك في شيء) الرسالة 105

- (إنما أجرى الأذى عليك منهم كي لا تكون ساكنا إليهم، أراد أن يزعجك عن كل شيء كي لا يشغلك عنه شيء) الرسالة 26

- (إنما استوحش العُبّاد والزهاد من كل شيء لغيبتهم عن الله في كل شيء، فلو شاهدوه في كل شيء ما استوحشوا من شيء) الرسالة 133

- (تَشَوُّفُك إلى ما بَطَنَ فيك من العيوب خيرٌ لك من تشوفك إلى ما حُجِب عنك من الغيوب) الرسالة 257

- (حسْنُ الأعمال نتائج حسْن الأحوال، وحسْن الأحوال من التحقق في مقامات الإنزال) الرسالة 85

- (خَيْرُ العلم ما كانت الخشية معه. العلم إنْ قارَنَته الخشية فلَك، وإلا فعليك) الرسالة 148

- (خيرُ أوقاتك وقتٌ تشهد فيه وجود فاقتك وتُرَد فيه إلى وجود ذلتك) الرسالة 105

- (ربما وجدتَ من المزيد في الفاقة ما لا تجده في الصوم والصلاة) الرسالتان 24/ 105

- (ربما وردتْ عليك الأنوارُ فوجدت القلب محشوا بصور الآثار، فارتحلتْ من حيث نزلت. فَرِّغْ قلبك من الأغيار تملأه بالمعارف والأسرار) الرسالة 96

- (سبحان من لم يجعل الدليل على أوليائه إلا من حيث الدليل عليه، ولم يُوصل إليهم إلا من أراد أن يوصله إليه) الرسائل 13/ 81/ 145

- (العارف لا يزول اضطراره، ولا يكون مع غير الله قراره) الرسالة 253

- (الفاقة بَسْطُ المواهب) الرسالة 24

- (فأيُّ عِلْم لعالم يرضى عن نفسه، وأي جهل لجاهل لا يرضى عن نفسه) الرسالتان 142/ 148

- (فسَبَبُ العذاب، هو وجود الحجاب، وإتمام النعيم، بالنظر إلى وجه الله الكريم، وما تجده القلوب من الهموم والأحزان، فلأجل ما منعت من وجود العيان) الرسالة 105

- (فما نصبت لك الكائنات لتراها، ولكن لترى فيها مولاها) الرسالة 133

- (كلُّ كلام يبرز، وعليه كسوة القلب الذي منه برز) الرسالة 83

- (كنْ بأوصاف ربوبيته متعلقا، وبأوصاف عبوديتك متحققا) الرسالة 81

- (كيف تُخْرَقُ لك العوائد، وأنت لم تخرق من نفسك العوائد) الرسالة 142

- (كيف يُشْرِقُ قلبٌ صُوَرُ الأكوان منطبعة في مرآته، أم كيف يطمع أن يدخل حضرة الله وهو لم يتطهر من جنابة غفلاته، أم كيف يرجو أن يفهم دقائق الأسرار وهو لم يتب من هفواته) الرسالة 142

- (لا ترحلْ من كون إلى كون فتكون كحمار الرحى يسير، والذي ارتحل إليه هو الذي ارتحل عنه، ولكن ارحلْ من الأكوان إلى المُكَوِّن، وأنَّ إلى ربك المنتهى) الرسالة 142

- (لا نهاية لمذامك إن أرجعك إليك، ولا تفرغ مدائحك إن أظهر جوده عليك) مقدمة الشيخ مولاي العربي الدرقاوي لرسائله.

- (لا يُخاف أن تلتبس الطرقُ عليك، وإنما يُخاف من غلبة الهوى عليك) الرسالة157

-(لا يستحقر الورد إلا جهول) الرسالة157

- (لو أنك لا تصِل إليه إلا بعد فناء مساوئك ومحْو دعاويك لم تَصِلْ إليه أبدا، ولكن إذا أراد أن يوصلك إليك، غطَّى وصفك بوصفه ونعتك بنعتك، فوصَّلَك

إليه بما منه إليك لا بما منك إليه) الرسالة 13

- (لولا ميادين النفوس ما تحَقَّقَ سير السائرين) الرسالة 105

- (ليخفف ألم البلاء عنك، علمُك بأنه سبحانه هو المبتلي لك) الرسالة 105

- (ما استُوْدِعَ في غيب السرائر، ظَهَرَ في شهادة الظواهر) الرسالة 58

- (ما حَجَبَك عن الله وجود موجود معه، إذ لا وجود معه، وإنما حجبك عنه توهّم وجود موجود معه) الرسالة 13

- (ماذا وَجَدَ مَن فَقدك، وما الذي فَقد من وَجدك، لقد خاب من رضي دونك بدلا، ولقد خسر من بغى عنك متحولا) الرسالة 271

- (ما فاتَ من عمرك لا عِوَضَ له، وما حصَل لك منه لا قيمة له) الرسالة 157

- (ما قَلَّ عمَلٌ برَزَ من قلب زاهد، وما كثُر عملٌ برز من قلب راغب) الرسالة 120

- (ما نفَع القلبَ شيءٌ مثل عزلة يدخل بها ميدان فكرة) الرسالة 15

- (متى أعطاك أشهدك بِرَّه، ومتى منعك أشهدك قهره، فهو في كل ذلك متعرف إليك، ومُقبل بوجود لطفه عليك) الرسالة 105

- (متى آلمَك عدم إقبال الناس عليك أو توجههم بالذم إليك، فارجعْ إلى علم الله فيك، فإنْ كان لا يقنعك علمه، فمصيبتك بعدم قناعتك بعلمه أشد من مصيبتك بوجود الأذى منهم. إنما أجرى الأذى عليك منهم، كي لا تكون ساكنا إليهم، أراد أن يزعجك عن كل شيء، كي لا يشغلك عنه شيء) الرسالة 34

- (متى غبتَ حتى تحتاج إلى دليل يَدُل عليك، ومتى بعدت حتى تكون الآثار هي التي توصل إليك) الرسالة 133

- (متى وردتِ الواردات الإلهية إليك، هدمتِ العوائد عليك، إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون) الرسالة 139

- (من استغرب أن ينقذه الله من شهوته، وأن يخرجه من وجود غفلته، فقد استعجز القدرة الإلهية، وكان الله على كل شيء مقتدرا) الرسالة 1

- (من اطلع على أسرار العباد ولم يتخلق بالرحمة الإلهية كان اطلاعه فتنة عليه وسبباً يجر الوبال إليه) الرسالة 148

- (من عَبَّرَ من بساط إحسانه أصمتته الإساءة، ومن عبَّرَ من بساط إحسان الله لم يصمت إذا أساء) الرسالة 243

فهرس أقوال الشيخ سيدي علي العمراني الجمَل

فهرس الأبيات الشعرية

فهرس الحكايات

فهرس المدن

مدينة فاس (المغرب)

فهرس القبائل والجبال والأودية وغيرهم

القبائل

الجبال

الأودية

فهرس المساجد والزوايا والأضرحة

المساجد

الزوايا

الأضرحة

فهرس زيارة الأولياء

(إضافة إلى زيارة الأضرحة التي سبق ذكرها)

فهرس الأعلام

حرف الألف

حرف الباء

حرف التاء

حرف الجيم

حرف الحاء

حرف الخاء

حرف الدال

حرف الذال

حرف الراء

حرف السين

حرف الشين

حرف الصاد

حرف الطاء

حرف العين

حرف الغين

حرف الفاء

حرف القاف

حرف الكاف

حرف الميم

حرف النون

حرف الواو

حرف الياء

فهرس المحتويات

فهرس أحب / نحب / لا نحب

- أحبكم أن تتذاكروا في الذي يميت نفوسكم ويحيي قلوبكم: الرسالة 112
- أحبكم أن تتركوا المحبة المشتتة إذ هي تمنعكم من السر والخير والفضل والبركة: الرسالة 116
- فلا نحب إلا من يقوم بالواجبات وبما تأكد من نوافل الخيرات: الرسالة 1
- فلا نحب من يتجرد إلا بعد أن يتوب من كل ذنب: الرسالة 65
- فلا نحب أخي أن يتجرد من أسبابه حتى ينوي: الرسالة 84
- فلا نحب من يسكت من الإخوان وقت المذاكرة: الرسالة 92
- فلا نحب من يقول ألله ألله دائما وحالته الهيمان في الدنيا والكب على القيل والقال، إنما نحب: الرسالة 96
- ولا نحب من يغلق باب الله في وجوه عباد الله وهي مفتوحة على الدوام: الرسالة96
- لا نحب من يشغلني عن ذكر ربي ولو كان أبي وأمي أو أخي وعمي أو خالي أو حبيبي أو غيرهم: الرسالة 124
- فلا نحب من يتكلف منهم: الرسالة 152

فهرس احذرْ

- وهذه غفلة عظيمة...فاحذروا يا أخي منها: الرسالة 16
- فالناس...فاحذرهم دائما واخش شرهم: الرسالة 39
- فاحذر أيها الفقير من أن تقودك نفسك إلى ما عنه نهاك ربك ثم تترك ما أمرك به، فكن على حذر منها: الرسالة 80
- فاحذر يا سيدي أحمد اكعرير الزياتي متابعة العلم الظاهر........: الرسالة 81
- واحذر يا سيدي أحمد أن تفهم من كلامنا هذا إهمال علم الظاهر: الرسالة 81
- فاحذر من أهل الأغراض الدنيوية دائما إذ في القرب منهم بعْدٌ من الله: الرسالة 85
- واحذر يا أخي أن تفسر آية من الآي تفسيرا قصيرا بل بالغْ في تفسيرها تصبْ وإذا لم تبالغ في تفسيرها فإنك تخطئ لا محالة: الرسالة 87
- فاحذر أن تكون حريصا على مذاكرة أحد من الناس إلا إذا اضطر إليك: الرسالة 91

- احذر من صحبة ثلاثة أصناف من الناس الجبابرة الغافلين والقراء المداهنين والمتصوفة الجاهلين: الرسالة 96

- واحذروا غاية جهدكم من العمل بقول القائل ليس إلا أهل الظاهر وأما أهل الباطن فتلك أمة قد خلتْ: الرسالة 97

- واحذروا من دسائس أنفسكم لئلا ينقطع المدد عنكم: الرسالة 112

- فاتركوا ما لا فائدة فيه واحذروه على الدوام: الرسالة 154

- فاحذروا هذا الباب (الوسواس) فقد أُخِذَ منه خلق كثير من العباد والزهاد وأهل الجد والإجتهاد: الرسالة 243

- واحذروا من رقاد همتكم على الدوام: الرسالة 247

فهرس آخِر:

- المعرفة هي مقام الإحسان وآخر منازله: الرسالة 75

- آخِر ما سمعتُ من الشيخ الجليل أبي الحسن سيدي علي الجمل العمراني رضي الله عنه "تَعَرَّضُوا لنفحات الله": الرسالة 263

فهرس أول:

- أول ما استفدتُ من أستاذي رضي الله عنه...: الرسالة 3

- وأول أمْر النبي صلى الله عليه وسلم الرؤية: الرسالة 99

- فهذه أول كرامة أكرمني بها ربي: الرسالة 173

- وهذا أول ما وقع لي: الرسالة 210

- الصلاة عمود الدين وأول ما فرض الله على عباده وأول ما يسألهم عنه يوم القيامة: الرسالة 245

فهرس أشدُدْ يدك

- فاشددْ يا أخي يدك على ذكر ربك كما قلنا ترى عجبا: الرسالة 37

- واصبر على ربك واشدد يدك على الصبر عليه: الرسالة 37

- واشدد يدك على هذه المذاكرة المباركة والله يغنيك بها آمين: الرسالة 38

- فاثبت يا أخي على هذه المذاكرة واشدد يدك عليها إن أردت أن تعمل الطريق في الكون بأسره: الرسالة 93

- العبودية هي شرف كل أحَد أحد كائنا مَنْ كان ذلك الأحَد فشدوا أيديكم

عليها: الرسالة 151

- فإن شئت أن تجور على الوهم كما جار عليك فاشدد يدك على سنة نبيك صلى الله عليه وسلم مادامت حياتك واستطاعتك: الرسالة 234

- وشدوا أيديكم على دينكم غاية جهدكم: الرسالة 271

فهرس إنْ أردتَ

- فإن أردت أيها الفقير أن يكون ريحك فوق الأرياح كلها وفوق الأقران كلهم فاثبت في شهود ربك وقت تعرفه لك: الرسالة 48

- إن أردتها (أي المعاني) ففر من الحس كما فررنا: الرسالة 56

- إن أردتَ أن ترِد عليك المعاني كما وردتْ على غيرك من أهل الصدق أو أكثر منهم فتأخَّرْ عن الدنيا وعن سائر شهواتك فإنها ترد عليك بجيوشها العظيمة القوية الشديدة: الرسالة 70

فهرس إذا أردتَ

- فإذا أردت أيها الفقير أن تربي من شئت فتسببْ في ولادته في المعاني حتى تحصل له فإذا حصلتْ فحينئذ ربيه فإنه يتربى لك: الرسالة 70

- وإذا أردت فعل أمْر من أمورك المهمة وخشيت عاقبته فانهض إلى الإستخارة النبوية: الرسالة 234

فهرس مَنْ أراد:

- ومن أراد أن لا ينقطع المدد عنكم فلا يعز نفسه بل يذلها: الرسالة 112

- ومن أراد ألا ينقطع عنه المدد فلا يتكلم في فنه مع كل أحد إنما يتكلم فيه مع أهله: الرسالة 112

- من أراد الحرية فليرض بالعبودية كما رضيها نبيه: الرسالة 31

- فمن أراد أن تريه الحرية وجهها فليرها وجه عبوديته وهو النية الصالحة والمحبة الصادقة والظن الحسن والخلق الكريم والوقوف عند الأمر والنهي: الرسالة 67

- من أراد أن يعرف هل يرى صلى الله عليه وسلم يقظة أو إنما يرى مناما فلينظر كتب القوم رضي الله عنهم: الرسالة 50

- ومن أراد أن يعرف هذا من هذا فلينظر ما لسيدي ابن عطاء الله في أستاذه

المذكور في كتابه "لطائف المنن" وما لأستاذنا في كتابه: الرسالة 81

- ومن أراد أن يعرف فضل الزيارة وسرها وخيرها وبركتها ومزيتها فلينظر كتب القوم رضي الله عنهم: الرسالة 172

- فمن أراد قرب المسافة عليه ويكون له من الخصوصية ما لغيره فلا يأخذ من الدنيا إلا ما يتيسر له منها بلا مشقة ولا تعب: الرسالة 11

- ومن أراد أن يتحقق بما هو حق وبما هو باطل فليترك حب الدنيا من قلبه ولا يرضى عن نفسه: الرسالة 97

- فإن قلتَ قد تلبس علينا الأمر فلم نذْر مَنْ على الحق ممن على الباطل، قلنا من أراد أن يعرف ذلك فليحسن ظنه بربه وبعباده: الرسالة 123

- فمن أراد المعاني فعليه بترك المحسوسات، ومن أراد المحسوسات والملذوذات والشهوات فلا يطمع في المعاني إذ لا سبيل له إلا من باب تركها: الرسالة 111

- فمن أراد أن يتحلى فعَن الهوى يتخلى: الرسالة 142

- فمن أراد سلامة دينه وسلامة شبحه فليشتغل بذكر ربه أو يصمت أو يرقد: الرسالة 144

فهرس إن شئتَ

- فإن شئتَ أن تنال ما تريد فصَلِّ على النبي المجيد ولو مئة مرة بين اليوم والليلة: الرسالة 38

- فإن شئت أن تتخلص من الشكوك والأوهام فتحصَّنْ دائما بسنة النبي عليه السلام: الرسالة 93

- وإن شئت أن تتقي ذلك كما يجب (أي الإستبراء) فالشبعة السنية تقرب الأمر عليك: الرسالة 93

- فإن شئت أن تجور على الوهم كما جار عليك فاشدد يدك على سنة نبيك صلى الله عليه وسلم ما دامت حياتك واستطاعتك: الرسالة 234

- إن شئت أن تقتل مَنْ ظلمك فاقتلْ نفسك فإنك تقتل بقتلها جميع الظالمين: الرسالة 8

- إن شئت سلامة نفسك...ففِر من الحس كما فررنا: الرسالة 56

- وإن شئت أن تتهنَّى من نفسك فدَعْ حديثها عنك حين توسوسك ولا

تلتفت إليه: الرسالة 93

- فإن شئت الخلاص من شهوات نفسك فعليك بما يرضي ربك ولا عليك في الناس إن ذموك أو مدحوك رأوك على ما يكرهون أو يحبون: الرسالة 156

- وإن شئتم أن يأخذ الله بيدكم فاسلبوا له الإرادة في أنفسكم فإنه يتولى أمركم كما تولى أمر غيركم: الرسالة 134

- فإن شئت أن تكون قويا على الدوام فكُنْ ضعيفا على الدوام وأقللْ من الطعام والكلام والاستئناس بالناس، وإن شئت أن تكون غنيا على الدوام فكن فقيرا على الدوام، الخ: الرسالة 89

- وإنْ شئت أن ترث الأنبياء عليهم السلام فتخلقْ بخلقهم وسِرْ على سيرهم: الرسالة 100

- فإن شئت يا أخي أن ترجع إلى وطنك الذي جئت منه وهو عالم الصفا...انسلخْ من عالم الكدر كما تنسلخ الشاة من جلدها وانسه ولا تذكره قط: الرسالة 52

- فإن شئت أن تقضى حوائجك بغير سبب فيها فأعرضْ عنها وأقبلْ على ربك فإنها تقضى إن شاء الله: الرسالة 54

- فإن شئت أن تتصل معانيك بمعانينا فصِلْ حسك بحسنا أو نقول اقرب حسك بحسنا إن أمكنك ذلك وإلا فبأدنى شيء من الزيارة توجهه إلينا ولو مرة في الشهر: الرسالة 130

- فإن شئت أن تطوى لك الطريق وتحصل في ساعة على التحقيق فعليك بالواجبات وبما تأكد من نوافل الخيرات وتعلمْ من علم الظاهر ما لا بد منه...وخالفْ هواك: الرسالة 2

- فإن شئت أن يظهر فضل الله عليك فكُنْ مستمرا على سلوكك معتنيا دائما بما ينفعك وبما يعود خيره في الدنيا عليك عارفاً بشرائع طريقك وعاملا بها وغير خائض فيما لا ينفعك وغير متبع لما يخف عليك...ولا تلتفت إلى من يذمك أو يمدحك: الرسالة 156

فهرس من شاء

- ومن شاء أن يتعرض لنفحات ربه فلا يكنْ مع نفسه على ما تشتهيه ويخف عليها وليكن معها على ما لا تشتهيه ويثقل عليها: الرسالة 145

- فمن شاء أن يتعرض لمواهب الله أو نقول لنفحات الله فليستحي من الله ولا ينحرف عن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم: الرسالة 263
- فمن شاء أن يحوز من الخيرات فوق ما يتصور في عقله فليستحي من ربه ولا ينحرف عن سنة نبيه صلى الله عليه وسلم: الرسالة 251
- فمن شاء منكم أو من غيركم أن تنقلب ناره جنة فلا يتزحزح عن السنة إذ هي سفينة النجاة ومعدن الأسرار والخيرات: الرسالة 270
- فمن شاء سلامة نفسه أو سعادة نفسه أو سهولة أمره...فليستحي من ربه ولا يؤخر الصلاة عن وقتها: الرسالة 250
- فمن شاء أن يكون سيد أقرانه ومصباح أهل زمانه فليستحي من ربه ولا يفرط في دينه: الرسالة 251
- فمن شاء أن يعرف ما يذهب من أيام عمره سبَهْلَلا فليجعلْ وقتا دائما لربه لا لحظ من حظوظه بشرط أن يكون طاهر البدن والثياب والمكان واللسان من الكذب والبطن من الحرام: الرسالة 41
- فمن شاء أن تصدق عليه الآية الكريمة التي هي قوله تعالى: ﴿ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ﴾ [النمل: 88] كما صدقتْ على غيره فليقنعْ من الدنيا بأدنى شيء منها وليفطم نفسه عنها دائما إقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم وينظر أشياخه وإخوانه وعباد ربه كلهم بعين التعظيم: الرسالة 60
- الطمأنينة تنزل عند ذكر الله، ومن شاء أن يعلم ذلك علما يقينا أو حقيقيا فليواظب على ذكر الله تعالى بسكينة ووقار وإجلال وحالة نظيفة سنية واعتماد على الله تعالى، وعلى هذه الحالة الموصوفة ينبغي للسالك أن يكون في سائر عمله: الرسالة 272

فهرس الأمثلة:

- فالخصوصية أيها الفقير ذات حسْن وجمال وقدّ واعتدال، فهي كالعروسة الجميلة الصورة التي لا نظير لها في الحسن: الرسالة 33
- فإذا تحلى بالمعاني التي ترد عليه من حضرة ربه فلا نخاف من رجوعه إلى ما ترك، وذلك كشجرة أريد تلقيمها بأخرى فلا بد لصاحبها أن يقطع أغصانها إلا ما شاء الله منها ليرجع الماء إليها وحينئذ تعيش أو نقول تنتج وتسخر: الرسالة 65

- ولا خفاء أن الدجاجة لا تلِد إلا بعد أن تجعل لها مولاتها بيضة، كذلك شيوخ الطريقة رضي الله عنهم لا ترد عليهم العلوم التي ينفقونها على المقتدي بهم إلا بوجود بحثهم وحكهم الحك البالغ: الرسالة 92

- المريد إذا لم يكن له شيخ لم يجئ منه شيء، كشجرة تنبت في الفيافي فإنها لا تنبت ولا يتم ثمارها: الرسالة 96

- وهو أيضا (الوهم) عند من لم يسمع حديثه ولم يتبع رأيه من السائرين به إلى الله كالريح القوي المسرح عند رياس البحر في ساعة واحدة يصلون به إلى ما لم يصل غيرهم إليه في شهر أو سنة والله أعلم، ومن وقف مع حديثه ورأيه بقي والله معوقا بجزيرة القطيعة: الرسالة 106

- ونرى من يتعلق تارة بهذا وتارة بهذا فهو إذاً كمن يحفر على الماء هنا شيئا وهنا شيئا فهذا يموت عطشانا ولا يلحق الماء، بخلاف من يحفر بموضع واحد توكلا على الله واعتمادا عليه فإنه يلحق الماء ويشْرب ويشرب الناس: الرسالة 116

- المنقطع عن الخلق ضعيف، والقوي هو الذي لا يفارقهم ويسْلم منهم، لأن من هو بالريح وهو الناس وسراج قلبه يضيء ولا يطفئه ريح الناس ليس كمن هو بالبيت والأبواب مغلقة إذ هو إنْ نفخ عليه الريح قيل يبقى مشعولا وقيل لا بخلاف من هو في الريح والريحُ ينفخ عليه ولم يطفئه فافهم: الرسالة 123

- وكيف يا أخي لا تذكر إلا إن قلنا لك اذكرْ، فأنت والله كالبهيمة التي تمشي بالنخْس، لأن من كان مع الذاكرين لا يحتاج إلى من يقول له اذكرْ: الرسالة 124

- ولم يبق إلا الصفاء الكبير الذي قَلَّ له النظير فوردتْ عليَّ حينئذ علوم وهبية كثيرة كأمواج البحر، حتى لو اجتمع علماء المشرق وعلماء المغرب وسألني كلا منهم عن شيء لأجبتُ كل واحد عما سأل ولم نفتقر إلى ما نقول له، إذ صرْتُ كالمصباح فبعدما يشعل منه كل أحَد أحد مصباحه أو فتيلته لم ينقص من ضوئي شيء بل يبقى كما هو: الرسالة 180

فهرس أؤكد / نؤكد

- أؤكد عليكم تأكيدا محتما أن لا تسردوا كتابنا ولا كتاب سيدي علي شيخنا رضي الله عنه على مَنْ ليس من أهل فنكم ولا بد ولا بد: الرسالة 265

- ونؤكد عليك أن لا تسمع كلام من لا يخشى الله في المنتسبين إلى الله: الرسالة 162

- فأؤكد عليكم أن تحذروا ما استطعتم من ملاقات أهل الدعاوى من أهل وقتكم ومن الكلام معهم: الرسالة 117

- أؤكد عليك أن لا تسرحهم في أغراضهم: الرسالة 147

- فالمؤكد به عليك أن تربي كل مَنْ يتخذك شيخا، وقد أذنتك بذلك: الرسالة 160

- وأؤكد عليك تأكيدا محتما أن تَرُدَّ الفقراء عن حلقة الذكر التي يعملون في الأسواق: الرسالة 160

- ونؤكد عليكم تأكيدا محتما أن تعظموا أشياخكم وإخوانكم وكافة عباد ربكم، إذ بالتعظيم بما ذكرنا تتعظّموا أنتم، وبالإهمال له تهملوا أنتم: الرسالة 102

- فنؤكد عليك أيها الفقير تأكيدا محتما وعلى كل مقتد بي أن يكون عليها (زيارة الأولياء) دائما إنْ أمكن ذلك كما يكون على زيارة أهله ما دام حيا وأن يكون أيضا على إسقاط منزلة نفسه: الرسالة 76

- وأؤكد عليكم أن تكونوا على إسقاط منزلة أنفسكم وأن تحذروا غاية جهدكم من الوقوع في المحرمات والمكروهات: الرسالة 140

- ونؤكد على أخي أن يؤكد.....أن لا يسرفوا في خرق عوائدهم: الرسالة 10

- فأوكد ما أوصيكم به وأنصحكم وأفيدكم والدين نصيحة أن لا تنفصلوا عن ذكر ربكم: الرسالة 271

- ونؤكد عليكم أن تعتنوا بالإستبراء وبالنظافة والمواظبة على الوضوء: الرسالة 242

- ونؤكد عليكم تأكيدا محتما أن تكونوا على النظافة والمسكنة والقناعة دائما: الرسالة 8

- ونؤكد على كل من رجع من حال الغفلة إلى حال الذكر أن يعلق قلبه برؤية ذات ربه دائما: الرسالة 13

- ونؤكد عليك الإبتدار إلى التعلق بأحد وقت حيزتك لا بالكتابة ولا بغيرها لئلا تغلق باب الإضطرار بيدك لأنه يقوم لك مقام الاسم الأعظم: الرسالة 24

- فأؤكد عليكم تأكيدا محتما أن تشتغلوا بربكم ولا عليكم فيمن يشتغل بكم، لأنكم إن لم تنتصروا لأنفسكم فالله ينصركم ويتولى أمركم: الرسالة 128

- أؤكد عليكم أن تقربوا من نبيكم كثيرا بالصلاة عليه والسلام: الرسالة 129

فهرس ترى عجبا

- وخالِفْ هواك إذ ذاك ترى عجبا: الرسالة 2
- لا تقلْ ما أنا شيء ولا تقل أنا شيء، لا تقل خصني شيء لا تقل ما خصني شيء، قلْ ألله ترى عجبا: الرسالة 4
- واجعل كليتك عند ربك ترى عجبا، ولا تجعلها عند الدنيا كالناس لئلا يصيبك ما أصابهم: الرسالة 16
- واسلبْ لربك الإرادة ترى عجبا: الرسالة 24
- فالأخُ الذي تحيرتَ في أمْره قلْ له يقوم بالمفروض وبما تأكد من المسنون ثم يقول بعد ذلك حسبنا الله ونعم الوكيل ثلاثا ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ثلاثا ﴿ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ ثلاثا ﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ﴾ [الكهف: 10] الآية ثلاثا أللهم صل على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلمْ ثلاثا صباحا ومساء يرى عجبا: الرسالة 26
- فلا شيء أنفع لك أيها الفقير من الصدق مع ربك فيما به أمرك وفيما عنه نهاك، والله إن كنتَ معه كذلك حتى ترى عجبا: الرسالة 27
- فاشددْ يا أخي يدك على ذكر ربك كما قلنا ترى عجبا: الرسالة 37
- فكُنْ أيها الفقير عليَّ الهمة دائما ترى عجبا: الرسالة 71
- فمن أراد أن يذل نفسه فليفقرها من الدنيا ومن الناس إلا من ينهض منهم حاله ويدل على الله مقاله إذ لا شيء أثقل عليها من ذلك، فانهضْ إليه يا سيدي أحمد ولا تنهض إلى غيره ترى عجبا: الرسالة 96
- ادْنُ أيها الفقير من أهل الخير وابعدْ من أهل الشر دائما واترك ما لا يعنيك وتخلقْ بخلُق نبيك صلى الله عليه وسلم ترى عجبا: الرسالة99
- وانظر أحوال الخضر عليه السلام في كتاب الله تعالى ترى عجبا: الرسالة 119
- اسمعْ ما أقول لك وكُنْ عليه دائما ترى عجبا، فوقتُ الشدة الخيرُ والشر كلاهما حاضرين غير غائبين وقريبين غير بعيدين فإنْ ذكرت فيه ربك ونسيت نفسك ربحتَ وإن عكست خسرت: الرسالة 127
- فرددتُه عن المشي إلى الحاكم وقلت له فَوِّضْ فيه أمرك إلى الله ترى عجبا: الرسالة 204

- فاجمعْ ما فرقتَ من أهل محبتك ونصرتك وأصلحْ ما أفسدت من أمرك ترى عجبا: الرسالة 231

- انْسَ يا أخي نفسك بربك ترى عجبا، ولا تنس ربك بنفسك فتموت غما وهما جيفة: الرسالة 238

- إذا تخبل ريحك وضاق حالك واشتد أمرك فاترك الخوض عنك وصَلِّ على نبيك صلى الله عليه وسلم ما شاء الله واتْلُ ما تيسر من القرآن ما شاء الله ومن الهيللة ما شاء الله وصلِّ ركيعات وكنْ هكذا مهما أصابك ما أصابك ترى عجبا: الرسالة 240

- وهَضْمُ النفس شأنُ أهل العلم والدين فكُنْ عليه دائما ترى عجبا: الرسالة 241

فهرس التعرض للنفحات

- وبعد يا إخواني فمن شاء أن يتعرض لمواهب الله أو نقول لنفحات الله فليستحي من الله ولا ينحرف عن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما يثبت عليها ولا يتزحزح عنها ما دامت حياته واستطاعته كما قلنا مرارا متعددة، واعلموا علمكم الله خيرا ووقاكم شرا أني آخر ما سمعت من الشيخ الجليل أبي الحسن سيدي علي الجمل العمراني رضي الله عنه "تعرَّضوا لنفحات الله": الرسالة 263

- ومن شاء أن يتعرض لنفحات ربه فلا يكُنْ مع نفسه على ما تشتهيه ويخف عليها، وليكن معها على ما لا تشتهيه ويثقل عليها فإن مسافة الطريق يطويها وثمرة عمله يجنيها: الرسالة 145

- قال بعضهم (ترْكُ شهوة واحدة من شهوات النفس أنفع للقلب من صيام سنة وقيامها) وقال بعضهم (لأَنْ أترك من عشائي لقمة أحب إلي من أكلها وأقوم من أول الليل إلى آخره)، قلتُ فهكذا تعرَّضوا لنفحات ربكم: الرسالة 145

- فتنبهوا وتعرضوا دائما لنفحات ربكم ولا تتراخوا في سلوك طريقكم: الرسالة 157

- تعرضوا لنفحات ربكم بالحذر دائما مما يقسّي قلوبكم كالكلام دائما والشبع دائما والتأنس بالخلق دائما: الرسالة 157

- وقد أردناك بارك الله فيك أن تتعرض دائما لنفحات ربك وذلك بأن تقرن حركاتك وسكناتك بذكر ربك كما أَمَرك وبمحبة أهل الانتساب إليه والإحسان

فهرس الدواء

- دواء تشتيت القلب: الرسالة 95
- دواء للوصول إلى التحقق بما هو حق وبما هو باطل: الرسالة 97
- دواء الوهم: الرسالة 106
- دواء للرجوع إلى عالم الصفاء: الرسالة 109
- دواء حتى لا ينقطع عنك المدد: الرسالة 112
- كيف تتعامل مع أهل الدعاوى: الرسالة 117
- دواء مَنْ تلبَّس عليه الأمر فلم يدْر مَنْ على الحق ممَّنْ على الباطل: الرسالة 123
- دواء من يعترض على شيخه: الرسالة 126
- دواء الفاقة والشدة: الرسالة 127
- دواء الخواطر النفسانية: الرسالة 133
- دواء التحير: الرسالة 144
- دواء الكدر والوساوس: الرسالة 153
- دواء لتسريح الماء المعنوي: الرسالة 155
- دواء للتخلص من شهوات نفسك: الرسالة 156
- دواء مَنْ تخبل ريحه وضاق حاله واشتد أمره: الرسالة 240
- دواء الوسواس: الرسالة 243
- دواء الحمَّة: الرسالة 246
- دواء الهم والغم والحزن والغبن: الرسالة 267
- دواء التحير في أمر من الأمور: الرسالة 268

فهرس السر / الأسرار

- الأسرار لا تتلقى من السطور وإنما تتلقى من الصدور كما في القرآن العظيم ﴿ وَحُصِّلَ مَا فِي ٱلصُّدُورِ ۝ ﴾ [العاديات: 10]: الرسالة 96
- المنقطع إلى الله دائما له أنوار وأسرار، ومن له أنوار وأسرار له خصوصية، ومن له خصوصية يعرف الحق من الباطل، ومعرفة الحق من الباطل مرتبة عَلية: الرسالة 97
- لا يخلو منه أي من السر إلا جاهل أو مخذول: الرسالة 73
- وكل أمْر أمر فله سر كبير ووجه واضح شهير: الرسالة 106

- فإنْ فوضتَ أمرك لربك أيها الفقير وسلبت له الإرادة في نفسك حين يؤذيك من الناس من يؤذيك فاحذرْ من الإنتصار لها ومن أن يرق قلبك عليها حتى يشفي غرضه من يؤذيك، فإن السر الذي لم يخطر لك ببال يخطر لك وأنت تنظره بعينك وتسمعه بأذنك: الرسالة 49

- فظَهَرَ لي فضل كبير وسر واضح شهير، والسببُ فيه أني سلبتُ الإرادة لربي في نفسي يفعل بها ما يريد: الرسالة 243

- والسرُّ في الانخفاض من الناس: الرسالة 147

- لا يعرف سر الافتقار الذي قلنا إلا مَنْ خرج حب الدنيا من قلبه: الرسالة 96

- لا يعرف سر الذل الذي تقدَّم أيضا إلا مَنْ ترك نفسه: الرسالة 96

- السر والفضل والبركة والخيرات في ترك الدنيا: الرسالة 100

- حالة التجرد إذ لها فضل كبير وسر واضح شهير: الرسالة 9

- حلقة الذكر لها فضل كبير وسر واضح شهير: الرسالة 40

- زيارة الأشياخ رضي الله عنهم لها فضل كبير وسر واضح شهير: الرسالة 76

- فليبشر بخير كبير وسر واضح شهير كل مَنْ تنبه واعتنى فأعرض عن هواه وأقبل على مولاه: الرسالة 245

- وتنبَّهوا لما يحدث في الوقت فإني أرى أن يحدث فيه الخير الكبير والسر الواضح الشهير: الرسالة 50

- وقد أمرتُ بهذا (ورد خاص) بعض الإخوان رضي الله عنهم فكان له الخير الكبير والسر الواضح الشهير: الرسالة 26

- ولا شك أن الفكر إن حصل لأحد بعد سنة أو سنتين أو ثلاثة فقد حصل على خير كبير وسر واضح شهير: الرسالة 13

- ورأيت بأثر رؤيته (صلى الله عليه وسلم) في تلك الساعة مولاتنا فاطمة الزهراء رضي الله عنها فارتحل قلبي بسبب رؤيتها عن عوائده وعن سائر شهواته ولم يقبل إلى ذلك قط ومن تلك الساعة ونحن بخير والحمد لله والشكر لله وذلك سرُّ الرؤية الحقيقية: الرسالة 81

- فمهما حضر ذكر الله ذهب البأس، ومهما حضر البأس ذهب ذكر الله، ومَنْ زعم أنهما يجتمعان فهو جاهل بمزية ذكر الله وهو لا يعرف قدْر ذكر الله ولا سِرَّ ذكر الله: الرسالة 138

- وذلك سِرُّ الاضطرار يا مَنْ لا يدري ما في مُلْك الله من الأسرار: الرسالة 145

- فهذا يا إخواني سر الرجوع إلى الله في الأمور الكبيرة والصغيرة وهذا سر الإنحياش إليه: الرسالة 236

فهرس علامة

- فالمنقطع إلى الله له علامة كبيرة يُعْرَف بها وهي أن تكون الأمور بأسرها جليلها وحقيرها طوْع يده وعند أمره ونهيه: الرسالة 43

- فاحذرْ أن تكون حريصا على مذاكرة أحد من الناس إلا إن اضطر إليك، وعلامة اضطراره إليك أن يتيسر لك ما تمده به من المواهب الربانية التي هي العلوم الوهبية: الرسالة 91

- وعلامة ذهاب حبها (أي حب الدنيا) من قلبه أن ينقبض بوجودها وينبسط بفقدانها: الرسالة 101

- وإذا ظهر الخراب على جوارحه واستقر على حالة الخراب فهو من الرجال الكبار، فهذا علامة بلوغه أو نقول وصوله إلى ربه: الرسالة 123

- وعلامة مَنْ سقط مِنْ عيْن الله خُلُوُّ قلبه من تعظيم شرائع الله: الرسالة 242

فهرس العمل الكثير

- فإنْ شئتَ أن تنال ما تريد فصَلِّ على النبي المجيد ولو مئة مرة ما بين اليوم والليلة، لأن القليل الدائم من الأعمال خيرٌ من الكثير المنصرم منها، والعمل لا يكون قليلا إلا إذا كان صاحبه على غير السنة المحمدية وأما إذا كان عليها فلا يكون عمله إلا كثيرا: الرسالة 38

- وأَقَلُّ شيء من الأعمال يكفيهم إنْ تركوا ما لا يعنيهم وتخلقوا بخلق نبيهم صلى الله عليه وسلم: الرسالة 149

- فالأعمال التي بأيدي الناس اليوم كثيرة جدا لكن لا ثمرة لها من أجْل حب الدنيا الذي سكن قلوبهم واستقرَّ بها ولم يرحل منها، ولو قنعوا منها كما قنع مَنْ قنع منها لكَفاهم أقل من عشر عُشر أعمالهم ولحَضرتْ لهم ثمرة أعمالهم كما حضرتْ لغيرهم، إذ الأعمال بالقلوب ذرة منها أفضل من أمثال الجبال من أعمال الجوارح، وعلى هذا فلا شك أن الأعمال بالقلوب كثيرة ولو قلتْ وبغير القلوب قليلة ولو كثرتْ كما في الحِكم العطائية (ما قَلَّ عملٌ برز من قلب زاهد، ولا كثر

عمل برز من قلب راغب): الرسالة 120

- لا ينفعك كثرة أعمالك مع خبث قلبك ولو علمت ما علمت، إنما تنفعك سلامة صدرك مع ما فرض الله عليك وأقَلُّ عمل يكفيك معها، ولا يكفيك صيام نهارك وقيام ليلك أو عبادة دهرك كله مع مرض قلبك واستغراقك فيما يكره الله منك: الرسالة 72

فهرس لسان الحال:

- وكان (أي سيدي علي الجمل) يُكْثر من ذكر هذه الأبيات:

يا ليتك تَحْلُوُ والحياة مريرةٌ ... وليتك ترضى والأنام غضابُ

وليت الذي بيني وبينك عامر ... وبيني وبين العالمين خرابُ

إذا صَحَّ منك الود فالكلُّ هين ... وكل الذي فوق التراب تراب

وقد كان لسان حاله يقول أللهم الفضيحة مع الخلق والسترة مع الحق ولا العكس وهو السترة مع الخلق والفضيحة مع الحق قال الله عز وجل ﴿ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ﴾ [الجاثية: 19]: الرسالة 82

- وقد كان أستاذنا يقول لنا رضي الله عنه الكونُ دائما يقول لنا بلسان حاله: اضْربْ وإلا فَاحْنِ قفاك تأكل الزّرْ: الرسالة 93

- ولا تلتفتْ إلى من يذمك أو يمدحك قائلا بلسان حالك: إن الذي تكرهون مني ذاك الذي يشتهي قلبي: الرسالة 156

- فمَنْ صدقَ في إقباله على الله نادته مكونات الله أو موجودات الله بأسرها بلسان حالها كل شيْء شيء منها يناديه بلسان حاله: دائما هاتِ يدك يا مَنْ أعرض عن هواه وأقبل على مولاه وليس له حبيبٌ مثله ولا صديق مثله، والناس في غفلة عن هذا: الرسالة 170

فهرس الولي:

- الفقير إذا بَدَّلَ ذكر كل شيء بذكر الله تخلصتْ له عبوديته لله، ومن تخلصتْ عبوديته لله فهو ولي الله: الرسالة 4

- وهكذا حتى يستوي عندك الخفيف والثقيل والممدوح والمذموم ويصير الإخلاص في الجهات كلها فحينئذ يكون حُرّا، ومن كان حرا كان والله وليا: الرسالة 5

- فكانت حقيقته حقيقة نورانية ولم تكن والله ظلمانية، ومن كان هكذا كان واللهِ ولي الله: الرسالة 110

- النور إذا تقوَّى في باطن المؤمن أخرج منه كل شيء، وإذا أخرج منه كل شيء بقي بباطنه مولاه سبحانه وتعالى، ومن كان هكذا كان وليا من أولياء الله: الرسالة 123

- الولي مَنْ تولاّه الله فغَطَّى وصفه بوصفه ونعته بنعته أي غطى عجزه بقدرته وضعفه بقوته وفقره بغناه وذله بعزه وجهله بعلمه: الرسالة 139

- ومَنْ رفَع همته عن الدنيا لحق والله بالأولياء: الرسالة 145

- فمَنْ أسْلم وجهه لله وأعرض عن هواه فهو ولي الله: الرسالة 170

- كل مَنْ أقبل على الله وأعرض عن هواه فهو ولي الله: الرسالة 237

يا عَجَبا

- ويا عجبا كيف انقلبت الحقائق حتى رجعت السنة بدعة والبدعة سنة ورجع الأعمى ينعت الطريق لِمَنْ بعَيْنه: الرسالة 28

- ويا عجبا كيف تنكر وتستبعد رؤية النبي صلى الله عليه وسلم وقد رآه يقظة كثير من الأولياء رضي الله عنهم: الرسالة 50

- ويا عجبا مِمَّنْ أُسِرَ في بر الإسلام وهو يحزن على مَنْ أُسِرَ في بر الكفر وهو لم يشعر بأسره في بره: الرسالة 64

- ويا عجبا كم شَدَّدُوا وكم بَعَّدُوا وكم صَعَّبوا وكم ضيقوا على الناس المسالك وعرضوهم للمهالك: الرسالة 81

- ويا عجبا الواصلُ لا يشدد ولا يضيق مع وجود قربه والمنقطعُ يشدد ويضيق مع وجود بعده: الرسالة 81

- ويا عجبا نبينا صلى الله عليه وسلم لم يضع لبنة على أخرى، وعلماءُ وقتنا لطف الله بنا وبهم وكان لنا ولهم لا يقبلون حالة الخراب قط وإنما يقبلون حالة البنيان: الرسالة 123

- ويا عجبا إنْ كنا لا نقتدوا بمثل هؤلاء (الأولياء) فبِمَنْ نقتدوا من الناس: الرسالة 123

- ويا عجبا المُلْك مُلْكه وهو يشتريه منا بنفسه ولا نبيع له: الرسالة 128

- فيا عجبا ممن يتنقم من التسبب في صلاح نفسه ويقول لو تركتُ أسبابي

واشتغلت بربي لكان خيراً لي مما أنا عليه، مع أن له أوقاتا ضائعة في غير الإشتغال بربه وهو لا يراها ولا يتنقم منها، فهذا هو الخذلان وهذا هو الخسران: الرسالة 141

- ويا عجبا ممن يسمع هذا الفضل العظيم عن النبي الكريم من غير شك ولا خلاف ثم لا يصْرف أيام عمره في قراءة العلم: الرسالة 266

- ويا عجبا ممن يسمع ما أعدَّ الله للمتقين في الجنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن الصحابة وعن التابعين وعن غيرهم من أئمة الدين رضي الله عنهم ونفعنا وإياكم ببركاتهم أجمعين ثم لا يصْرف أيام عمره في طاعة ربه: الرسالة 266

فهرس اليقين:

- بتَرْكِ الدنيا تتقوى النورانية، وبتقوية النورانية يتقوى اليقين: الرسالة 97

- وإنْ لم تسمع حديثه (الوهم) تقوتْ نورانيتك، وبتقويتها يتقوى يقينك: الرسالة 106

- مخالفة أهوائنا إذ هي تنتج العلم الوهبي، والعلم الوهبي ينتج اليقين الكبير: الرسالة 107

- واللهِ ما حجبنا عنه إلا الوهم الذي أنتجه الجهل، ولو علمنا لأنتج لنا علمنا اليقين، واليقين يسْلب قلوبنا وسائرنا من رؤية الأغيار كما هو شأنه: الرسالة 133

فهرس يكفي:

- الواجبات تكفي مع ما ذكرنا وتغنيه الغنى الكبير، ولا تكفيه الأعمال الكثيرة مع عدم ما ذكرنا: الرسالة 1

- ويكفي في فضل ذكر الله قوله تعالى: ﴿ فَٱذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ ﴾ [البقرة: 152] وقوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه عن ربه عز وجل (أنا جليس مَنْ ذكرني): الرسالة 4

- لا ينفعك كثرة أعمالك مع خبث قلبك ولو علمت ما علمت، إنما تنفعك سلامة صدرك مع ما فرَض الله عليك وأقَلُّ عمل يكفيك معها، ولا يكفيك صيام نهارك وقيام ليلك أو عبادة دهرك كله مع مرض قلبك واستغراقك فيما يكره الله منك: الرسالة 72

- مَنْ تَرَك ما لا يعنيه فأقل شيء من الأسباب يكفيه، وإن لم يتركه فلا يكفيه شيء ولو عمل ما عمل: الرسالة 106

- ويكفينا في شرف العلم وفي عُلُوِّه وارتفاعه أنه صفة الله تعالى: الرسالة 131

- وأقل شيء من الأعمال يكفيهم إن تركوا ما لا يعنيهم وتخلقوا بخُلق نبيهم صلى الله عليه وسلم: الرسالة 149

- ويكفيكم مع الخُلق الحسن الفرْضُ وما تأكد من السنن لا سيما مَنْ قنَع منكم وتمسكن: الرسالة 249

- ويكفينا في فضلها (الصلاة) أنها تنهى عن الفحشاء والمنكر: الرسالة 260

- ويكفينا من الفقه، والله أعلم، الرسالة الشهيرة للشيخ الأعظم سيدي محمد بن أبي زيد القيرواني أو ربع العبادة للشيخ الجليل سيدي خليل وحتى المرشد المعين للشيخ الجليل سيدي عبد الواحد بن عاشر يكفينا إن شاء الله، كما يكفينا من قراءة القرآن العظيم قراءة ورش: الرسالة 266

فهرس ينبغي / لا ينبغي:

- وإسقاط منزلة النفس شرط لازم إذ قال بعضهم "إن الذي تكرهون مني ذاك الذي يشتهيه قلبي"، لكن لا ينبغي لك أيها الفقير أن تقول هذا الأمر إلا بعد أن تقوله لنفسك ثم تسيرها عليه لا على غيره: الرسالة 15

- والأسباب الدينية هي التي ينبغي الاعتناء بها في كل زمان، وفي هذا الزمان أحرى وأحرى: الرسالة 16

- فلا ينبغي للمحب الصادق أن يهمل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في صلاة الفريضة ولا في صلاة النافلة: الرسالة 18

- وينبغي أن يستحضر السلام عليه كما يستحضر الصلاة عليه: الرسالة 18

- فلا ينبغي لعاقل أن يحزن على الأسارى الذين هم عند النصارى حتى لا يكون هو أسيرا عند الدنيا وعند النفس وعند الشيطان لعنه الله وعند الهوى: الرسالة 64

- فلا ينبغي لأحد أن يجهل مرتبتها (الولاية) ولا أن يهمل أهلها، إنما يتأكد في حقه أن يعرفها: الرسالة 139

الباب السابع: رسائل أخرى للشيخ مولاي العربي الدرقاوي

ثلاثة رسائل من الشيخ مولاي العربي الدرقاوي، في حق تلميذه سيدي محمد بن أحمد البوزيدي.

1- الرسالة الأولى

إلى كافة إخواننا أهل التجريد الظاهر أهل فاس وغيرهم، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته. أما بعد فإياكم ثم إياكم من قلب الحقائق، والله ما هي خدمة سيدي محمد بن أحمد البوزيدي الغماري لنا، والله ما هو عمله إلا لله، ولو كان لغير الله حتى يعيى منها، والله ما خدمنا الله عشر العشر من خدمته، والله ما هو إلا سيدنا كلنا كبيرنا وصغيرنا أحببنا أم كرهنا، والله لا يتكلم فيه بالسوء إلا فاسق أو منافق أو مخدوع أو حاسد أو راضٍ عن نفسه أو من فيه دعوة نافذة. اللهم ارزقنا ما أعطيته من النية والمحبة والصدق وباركْ في عمره يا رب، وارزقنا وإياه الأدب على الأدب حتى نلقاك يا رب يا رب يا رب يا رب يا رب يا رب يا رب. وقد كتبه أفقر الورى إلى رحمة مولاه العربي الدرقاوي تاب الله عليه.

2- الرسالة الثانية

إلى كافة من بفاس من إخواننا المتعلقين بنا، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد فقد أجزنا سيدي محمد بن أحمد البوزيدي الشريف فاحترموه وعظموه ووقروه وزوروه واسمعوا له، إذ هو خليفتنا في حياتنا وبعد مماتنا رغما على أنفنا، والله ما علمت أحدا من فقراء الوقت يعرف طريق القوم مثله، وأنتم وأنا في أثره لأن شمس سعادته وصلت إلى وسط السماء وشمسنا وراءها، وقد أحببناه بأنفسنا بل بربنا أن يقدم إلى بلده يذكر عباد الله كسيدي الشاذلي، والله يبارك فيه وفيكم إلى يوم القيامة، وعليكم بالتخلق بالرحمة على الدوام، رزقنا الله ذلك بجاه النبي عليه السلام. وكتبه عبد ربه العربي الشريف

الدرقاوي لطف الله به.

3- الرسالة الثالثة

أرسل إلى الشريف الصوفي الأكمل سيدي محمد البوزيدي سلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته، أما بعد فافتح أذنيك ما استطعت واسمع ما أقول لك واحفظ ولا تنس واشدد يدك عليه ولا تفارقه والله معك. اسمع يا سيدي إن الله أعطاك عطاء كبيرا حيث فقّهك في طريق أوليائه وجعلك من ورثة أنبيائه صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فاشكره يا سيدي بشكر رسول الله صلى الله عليه وسلم، فغاية غاية الكمال الشرائع. واعلم يا سيدي أن الحالة التي كان عليها شيخنا شيخ أهل وقته سيدي علي العمراني رضي الله عنه حالة شريفة كبيرة غريبة قل من كان عليها من أولياء الله تعالى، فإنه كان ظاهرا للناس خفيًّا عنهم بالزي الذي يتزيا به الناس وهو زي أولياء الله تعالى أهل التجريد، واختفى عنهم بالسؤال الذي كان يسأل في الأسواق وبإظهار البخل فإنه كان لا يطعم حبيبا ولا عدوًّا ولا قريبا ولا بعيدا إلا أنه كان لا يعرف أحدا، فوجد قلبه على الدوام بإسقاط الكلف، وهم رضي الله عنهم مع ما به صلاح قلوبهم، وأنت يا سيدي نحبك أن تقلل من معرفة الناس بإطعامهم البَلْبُولَ [1] بالماء والملح كما كان صلى الله عليه وسلم وكما كان الفقراء في الزمان المتقدم ليظهر الصادق من الكاذب والحبيب من العدو، فكن يا سيدي على حال شيخنا رضي الله عنه إذ لحاله سر كبير في الوقت الذي بأيدينا وغيره، وانظر ماذا يفعل الله بأهل الظهور، واعتبر وتأمل في حالة الشيخ المذكورة تجدها كما تحب وترضى من أولها إلى آخرها، كان رضي الله عنه رئيسا كبيرا ماهرا يمشي بأصحابه بالليل والنهار والبر والبحر مع العدو والحبيب ولا يخشى عليهم ولا على نفسه من شيء، قدم مرة إلى المشرق كما علمت وأعطوه الأحباب الخيل الأحرار والإبل والقطائف والدوائر والبقر والغنم وغير ذلك فباع كُلما دخل بيده وقبض حقة فضة وصرفها ذهبا ليصغر

---

(1) البَلْبُولَ: الدشيشة.

الحس وجعل ذلك في خنشة [1] وأتى إلى أولاده فقيرا غريبا كما مشى من عندهم وهذا مما يناسب حالنا الذي نحن عليه يا سيدي، ولذلك قلت لك لا تأتينا إلا كما مشيت من عندنا. واعلم يا سيدي علَّمَكَ الله علما لدنيا وعلم أولادك وأحباءك وأهل وقتك على يدك وعلى يد أولادك وأولادهم إلى يوم القيامة أن الغيبة التي غبنا من فاس فيها خير كبير كبير كبير ووجوه كثيرة تولانا الله فيها رغما على أنفنا ونحن لم نشعر بذلك فله الحمد وله الشكر على الدوام، هذا وقد أحببنا بحب الله سيدي محمد بوزيدي أن يتهيأ لزيارة والدته وأهله وبلدته وأن يكون على بصيرة في القدوم إلى أهله وبلدته ليقيم بها يذكر عباد الله، والله يا سيدي محمد بن أحمد بوزيدي ما علمت على حاجة بقيت لك عندنا ولا عند غيرنا ولنا عندك حوائج بارك الله فيك وفي حوائجك إلى يوم القيامة، وقد أحببنا سيدنا يقيم مخفية [2] للشيخ كما يحب ويرضى ويدفعها إلى ولده هاشم بارك الله فيه ولا تسرف ولا تقتر يا سيدي قال تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾ ﴾ [الفرقان: 67] صدق الله العظيم، وقد أحببنا سيدي محمد أن يعطي نسخة من هذه الرسالة لأهل فاس إخوانه سيدي عبد السلام بنونة وسيدي الحاج الطاهر الحبابي وسيدي محمد بن إبراهيم وسيدي محمد بن أبي يعزى بارَكَ الله في إخواننا إلى يوم القيامة، ونحب من سيدي أن يدخر رسائلنا ليرحمنا إن متنا قبله ولا يهملها، وحاشا الله أن نتهمه بإهمالها، وكذلك الرسالة التي أمرتك أن تعطي نسخة منها لسيدي الحسين البوزيدي حتى هي نحبك أن تدخرها إذ فيها ما ينفع ولا يضيع شيئا من رسالتك أنت كما قلت والله معك، وسلم على أحبائنا وأولادنا والسلام.

---

(1) خنشة: كيس من قماش خشن (تستعمل عادة للقمح وغيره).

(2) مخفية: أي قصعة الأكل، بمعنى الإطعام والصدقة.

4- رسالة الشيخ مولاي العربي الدرقاوي إلى تلميذه سيدي محمد الحراق

(الحمد لله وحده صلى الله وسلم على من لا نبي بعده

إلى من نحن وإياه ذات واحدة، نحب له ما نحب لأنفسنا، ونكره له ما نكره لأنفسنا، والله مطلع علينا، السيد الجليل، الشريف الأصيل، الفقيه الوجيه، المعظم المحترم البركة، العالم العلامة، ولي الله تعالى، أبي عبد الله سيدي محمد الحراق الحسني العلمي، وكافة أهل محبتنا حيث ما كانوا بالمدينة التطوانية، دفع الله عنها كل بلية، وبنواحيها، سلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته. أما بعد إني أنصحك لله وفي الله وابتغاء مرضاة الله، ونصحي إياكم أن تكونوا دائما على السنة المحمدية التي هي الحصن المانع من كل بلية، أو التي هي سفينة النجاة ومعدن الأسرار والخيرات، وإذا تحيرتم في أمر من أموركم وضاقت منه صدوركم واشتد منه أمركم، فلا تخوضوا فيه، أي فلا تدبروه ولا تختاروه كما هو شأن جل الناس، أو كما هو شأن أهل الغفلة لطف الله بنا وبهم، بل اشتغلوا بما أمركم به ربكم، إما صلُّوا ما شاء الله أو اتلوا ما شاء الله أو اذكروا لا إله إلا الله ما شاء الله، وهكذا فإن الله تعالى يجعل لكم فرجا ومخرجا كما جعل لأوليائه رضي الله عنهم ونفعنا وإياكم ببركاتهم والسلام. وكتبه العربي بن أحمد الشريف الدرقاوي

لطف الله به آمين، نزيل قبيلة بني زروال حرسها الله.

ومن تمامه مؤكد عليك يا سيدي محمد الحراق أن تضيف المذاكرة هذه إلى أخواتها، وقد قيدناها وحدها منفصلة عما قبلها وبعدها، وقد أخبرتني فيما مضى بشرح على الحِكَم العطائية وجدته هنالك ولم تذكر لي مؤلفه، فأحبك أن تذكره لي لعلي أعرفه، لأني سمعت كثيرا ممن شرح الحكم ولا أعرف حقا إلا سيدي ابن عباد وسيدي الشطيبي وسيدي التادلي، لا نكره أن يفتح الله علينا في شرح أكبر مما نعرف، وفوق كل ذي علم عليم، ومنتهى العلم إلى الله العظيم، وما تأخرنا في المجيء إلى تجساس [1] إلى الآن إلا لأجل المرض الذي بالدنيا والموت والفتن، وإذا سلم الله عباده وتكرم عليهم وعلينا بالعافية فلا يفيدنا إلا المجيء إلى ملاقاتكم بتجساس، وأما خبر الدنيا فالله تعالى يلطف بنا وبسيدنا نصره الله ورعيته والمسلمين جميعا).

(1) تجساس: قرية في قبيلة غمارة، في شمال المغرب.

5- رسالة الشيخ مولاي العربي الدرقاوي إلى تلميذه سيدي محمد بن معروف، سليل سيدي علي بوشنافة

(الحمد لله وحده صلى الله على من لا نبي بعده

محبنا في الله الولي الصالح، الواعظ الناصح، أبا عبد الله سيدي محمد بن معروف، وكافة إخواننا في الله، بعد السلام عليكم، نحبكم في الله بارك الله فيكم أن تتخلقوا بالخلق الكريم، إذ هو السبب العظيم، فمِنَّا وجود الأسباب، ومن ربنا رفْعُ الحجاب، وقد نرى والله أعلم أن المسافة المعلومة عند القوم رضي الله عنهم ما طالت على السائرين إلا بسبب سوء خلقهم، وأما لو تخلقوا بالصبر على الفقر وإذاية الخلق وتخلقوا أيضا بعُلو الهمة عن ما لا يعني لقصرت المسافة عليهم ووصلوا إلى حضرة ربهم من حينهم.

وقد نرى كثيرا من الناس مع عبادة كثيرة وهو هو كأنه لم يعبد قط، وذلك بسبب سوء الخلق، كان لا يتواضع بل يتكبر فهو مع عبادته مع الكبر، كان لا يسخى بل يبخل فهو مع عبادته مع البخل، كان لا يزهد بل يرغب في الدنيا فهو مع عبادته يرغب في الدنيا ويحرص في أمرها غاية الحرص، كان لا يحلم فهو مع عبادته ذو سخط عظيم وقلق، كان لا يستنصف فهو مع عبادته لا يستنصف، وهكذا، فأي عبادة هذه وأي حالة، فانتبهوا إخواني وذكِّروا عباد الله هذا وغيره، والله يهدي الجميع، بجاه النبي الشفيع. ونؤكد عليكم ألا تنتصروا لأنفسكم، بل تسلبوا له الإرادة فيها لربكم على الدوام، والله يتولى أمركم كما تولى أمر غيركم، والسلام. وكتبها محبكم العربي بن أحمد الشريف الدرقاوي، والحمد لله رب العالمين).

6- رسالة الشيخ الدرقاوي إلى تلميذه سيدي عبد السلام ابن نُونة الفاسي

(الأخ النظيف، الصادق العفيف، الولي الصالح، الشهير الواضح، محبنا في الله، سيدي عبد السلام ابن نونة، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وبعد، فكل مَنْ سَمَّيْتُه باسم فله ما لاسمه، مَنْ سميته نظيفا حتما يكون نظيفا، ومن سميته الصادق حتما يكون صادقا، ومن سميته العفيف حتما يكون عفيفا، ومن سميته العالم حتما يكون عالما، والحليم يكون حليما، والكريم يكون كريما، وهكذا، ونرجو الله أن تسمى في الناس الورع، إذ الورع في الشاذليين كالكبريت

الأحمر قلَّ أن يوجد إذ هم بسط، والمبسوط قلَّ أن يتورَّع).

7- رسالة من الشيخ مولاي العربي الدرقاوي

إلى تلاميذه بمدينة مراكش

(ساداتنا الأعلام، شموس الهدى ومصابيح الظلام، فقراء مراكش، أخص من سيادتكم العلية، ومراتبكم السنية، الوليئن المباركئن أبي العباس أحمد وشقيقه سيدي محمد الغالي، وسيدي الحاج محمد الشماع، وأبي زيد سيدي عبد الرحمن بن التهامي، وسيدي عبد الرحمن القباج، وسيدي عبد العزيز، وسيدي محمد بن الحاج المراكشي، وسيدي محمد بن الحاج الصويري، وسيدي العربي، وسيدي محمد مغوص، وسيدي محمد الودثاني، وسيدي الطيب بن الشرقي الرحماني، وسيدي الحسن المصلوحي، وشريف الأصلين من أفديه بالنفس والعين مولاي العربي نجل الولي الصالح سيدي محمد بن إدريس تغمده الله برحمته آمين، وكافة من احتوى عليه حائط مراكش من إخواننا وساداتنا الفقراء، حفظكم المولى ورعاكم، ولذكره ومعرفته أهلني وأهلكم، وسلام الله الأتم، ورضوانه المبارك الأعم، يعمكم ويشملكم في الحركات والمقام، ما تقابل الإيجاد والإعدام.

هذا وموجبه تجديد العهد بكم، والسؤال عن أحوالكم، أجراها المولى على ما يسر الفأل، في الحال والمآل.

وبعد فليكن في كريم علمكم، أني على عهدكم ومحبتكم، إلى لقاء الله، فالله المسئول أن يجعلها للجميع ذخرا، وأن ينفعنا بها دنيا وأخرى، آمين، ويرحم الله من قال:

علـى العهـد مـن تلـك المعاهـد زينـبُ
ومـا غيـرتها الحادثـات فـتحجبُ
لقـد حفظـت تلـك العهـود ولـم تكـن
تـضيع عهـدا بالمحـصب زينـب

وكيف لا يدخرها سبحانه وقد أوجب على نفسه محبة المتحابين من أجله تكرما منه وفضلا، فقال على لسان نبيه عليه السلام (وجبتْ محبتي للمتحابين في، ووجبت محبتي للمتزاورين في، ووجبت محبتي للمتجالسين في، ووجبت محبتي للمتباذلين في)، لأن المتحابين في الله والمتزاورين في الله والمتجالسين في الله

والمتباذلين في الله كلهم من أهل الله، أعرضوا عن هواهم، وأقبلوا على مولاهم، وبالإدبار والإقبال تثبت لهم هذه الأحوال، وتثبت لهم أيضا بالصحبة وهي أصل الأصول، وعليها يُبنى كل معقول ومنقول، ولهذا مدحها الصادق الرسول بقوله: (صحبة يوم صحبة، وصحبة شهر قربة، وصحبة سنة رحِم)، وقد ورد في فضل الصحبة ما لا ينحصر بالكتابة ولا بغيرها سنة وقرآنا.

حينئذ من كانت فيه هذه الأحوال، فهذا أحد الرجال، وولي الله بلا محال، قال عليه السلام (عن يمين الرحمن، وكلتا يديه يمين، رجال ليسوا بأنبياء ولا شهداء يغشى بياض وجوههم أعين الناظرين، هم جماع من القبائل، يغبطهم الأنبياء والشهداء لقربهم من الله، يجتمعون على ذكر الله، ينتقون أطايب الكلام كما ينتقي أحدكم أطايب التمر).

وقد جرى بيني وبين بعض الإخوان مذاكرة في قول مولانا الشيخ لجميع أصحابه (أنتم أولياء الله حقا)، فقال ذلك صدق الشيخ رضي الله عنه إلا أنها ولاية تصديق كما قال الشاذلي رضي الله عنه لا ولاية تحقيق، لأن ولاية التحقيق لها علامات إن ظهرتْ ذلك العلامة على أحد فهو ولي الله، وإلا فلا، فسكت ولم أجاوبه، فبعد أيام كنت جالسا أمام الصبيان إذ جال فكري في مقالة الشيخ لجميع أصحابه (أنتم أولياء الله حقا) فظهر لي أنها كلمة حق عن تحقيق، وليست بتزويق ولا تشديق، ولو قالها بتزويق وتشديق لقلنا أنه جاهل بأمر الولاية والطريق، كيف وهو رضي الله عنه جل عمره معشش فيها يصفها ويفصلها ويبيّنها لمن يطلبها في حياته وبعد وفاته، ولا يصف إلا الحق، ولا يفصل إلا الحق، ولا يبين إلا الحق، ولا يقول إلا الحق، ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝﴾ [النجم: 3 - 4]، صدق الله العظيم، ولم يوصل إليهم إلا من أراد أن يوصل إليه كما قال الولي، والأمر مبهم عن غير أهله، منهم من حصل عليها وتمتع بحسنها وجمالها في حياته، ومنهم من يتحفه مولاه بها بعد وفاته، والموت والحياة سيان عند من عرف، وقد ذكر بعض أهل التحقيق أن من حصل له نزر يسير من العلم بالله في حياته لا بد أن يترقى به بعد مماته، كيف والطائفة المباركة جلها علما إلا النادر، والنادر لا حكم له، ولا غرابة بأن واجهت الشيخ الجليل عناية ربانية وقد أطلعه الله على ملكوته فأراه أن جميع أصحابه كلهم أولياء من باب الفضل والكرم، كما واجهته العناية صبيحة ذات يوم عيد نبوي بعد صلاة الصبح والزاوية مشحونة بالفقراء فقال

رضي الله عنه قد رأيت عليكم بشارات- ولم يقل بشارة واحدة- منها أني رأيت همة ولي من أولياء الله شطيت كل واحد منكم من حضرة الخلق إلى حضرة الحق، وكما واجهت العناية الربانية أفضل الخلق وأكملهم وأشرفهم صلى الله عليه وسلم فقال (أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم)، وكما واجهت سيدي المرسي رضي الله عنه فقال (ما من ولي لله كان أو سيكون إلا وقد أطلعني الله على اسمه ونسبه وكم حظه من الله)، وكما واجهت العناية وليا من أولياء الله فقال رضي الله عنه (لولا الحياء لوضعت قدمي على متن جهنم فلا يدخلها أحد من هذه الأمة)، وتكفي هذه الإشارة ولا حصر إن ذكرت عناية أهل الله حينئذ، فمن وصلت إليه الولاية وتمتع بها وبمفارقها فبالفضل والمنة، ومن تأخرت عنه إلى وقت إبانها فبالفضل والمنة، ولا خفاء أن وجود الفضل والمنة ظاهر وهو تبشير جميعهم بالولاية وخطابه بها من غير استحقاق، ما يُبدل القول لدي، جفت الأقلام وطويت الصحف، كما بشروا وخوطبوا بها سحرة فرعون من غير استحقاق أيضا وقد ناداهم مناد بمجرد ملاقاتهم بموسى (أبشروا يا أولياء الله)، والعجب كل العجب أن سحرة فرعون لم يأتوا لموسى مؤمنين ولا طالبين للإيمان، وإنما أتوه للمناظرة والمبارزة بما يعلمونه من السحر، فناداهم مناد الغيب بما كان مدخرا لهم في الغيب (أبشروا يا أولياء الله) فأقلب الله حالهم ومآلهم تكرمة لهم وعناية بموسى عليه السلام، فوُعدوا حينئذ بالقتل والعذاب، فطابت نفوسهم وحنت واستبشرت واستعذب لهم العذاب بما شهدوا وعاينوا من لذيذ الخطاب، وأما وجود المنة على من وعد بالولاية وتأخرت عنه فقد نظر الله......إلى بعض الأواني، فعلم أنها لا تطيق حمل الأسرار والمعاني، فادخرها لهم عنده إلى أوان رشدهم، لأن الإنسان قبل رشده لا يصلح لأخذ الأمانة بنص القرآن، فمن لاح له شيء منها قبل رشده هلك وضل وأضل، ﴿ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴾ [الأحزاب: 43]، ﴿ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ ﴾ [الأحزاب: 44]، ﴿ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴾ [الأحزاب: 44]، صدق الله العظيم، وله الفضل والمنة على فضله الجسيم، والحمد لله رب العالمين).

8- رسالة من الشيخ مولاي العربي الدرقاوي

إلى تلاميذه بالرباط وسلا

(إلى كافة مَنْ بالرباط وسلا من إخواننا في الله، السادات الفضلاء، بعد السلام

عليكم، شرّفَ الله قدركم، نؤكد عليكم ألا تكلفوا نفوسكم بكثرة الأعمال، بل قوموا بالواجبات وما تيسر من نوافل الخيرات تسعدوا، قال عليه السلام (أنا وأتقياء أمتي برآء من التكلف)، وإن كان ولا بد من التكليف فالتقصير من العوائد أولى من كل عمل والله أعلم، إذ لا يحتاج من قصّر من العوائد إلى كثرة الأعمال بل أقل شيء منها يكفيه أو يغنيه، ولا بد ولا بد اتركوا ما لا يعنيكم، ولا تعملوا إلا ما لا بد منه كالخمس صلوات وصوم رمضان والزكاة والحج إن وجبا، وأما النوافل فالشفع والوتر والفجر وتحية المسجد وصوم عرفة وعاشوراء فكثيرٌ مع ترك ما لا يعني والله أعلم، ونؤكد على كل من تحير في أمر من أموره أن يبادر إلى ضريح ولي شهير ممن هنالك تاليا ما شاء الله من القرآن صباحا ومساء ولو سورة ليلا وأخرى نهارا ومصليا على رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر مرات وقائلا حسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم مثل ذلك، أسبوعا أو أسبوعين أو ثلاثا، فإن الله يحقق الحق ويبطل الباطل، والسلام).

9- رسالة من الشيخ مولاي العربي الدرقاوي إلى تلاميذه في بعض القبائل

(إلى كافة إخواننا في الله السادات الفقراء أهل قبيلة اتزاره وأهل قبيلة ولها صد، ومن بتلك النواحي كلها، سلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد، فتهلوا في دينكم كل وقت وحين، شدة ورخاء، إلى أن يأتيكم اليقين أي الموت، ولا بد ولا بد تهلوا في دينكم ولا بد ولا بد تهلوا في دينكم ولا بد ولا بد، فهذا ما أقول لكم، وهو غاية نصحي لكم، وقد قلت لكم فيما مضى مَنْ أراد أن يكون ريحه فوق الأرياح كلها ومقامه فوق مقامات أهل عصره كلهم فلينحش إلى ربه بما أمره كل وقت وحين إلى أن يأتيه اليقين أي الموت شدة ورخاء ولا بد ولا بد، يكون لله وقت الشدة، كما يكون له وقت الرخاء، ولا تعجزوا عن زيارة بعضكم بعضا ولو مرة في الشهر إلا إن كان البعد المفرط، وضيف الله لا يكرمه إلا من أكرمه الله، وواظبوا على حلقة الذكر ولو مرة في الجمعة، إذ هي من رياض الجنة قال صلى الله عليه وسلم: إذا مررتمْ برياض الجنة فارتعوا قالوا: يا رسول الله وما رياض الجنة؟ قال: حلق الذكر، وهذا كله بعد أداء الفرض، إذ الفرض لا يتقدمه سبب، ولا يفتقر إلى من يقومه إليه إلا من لا خير فيه، والحاصل من كان لله كان الله له، والسلام.

وكتبه العربي بن أحمد الشريف الدرقاوي لطف الله به آمين).

10- رسالة من الشيخ مولاي العربي الدرقاوي إلى بعض الشرفاء العروسيين

(الحمد لله وحده. إلى كافة إخواننا في الله السادات الشرفاء العروسيين العلميين بدار وليد بربع أولاد قاسم بالقبيلة الزروالية، دفع الله عنها كل بلية، خصوصا الشريف الأجل، الذكي الأفضل، محبنا، وأجل الناس لدينا، أبي عبد الله سيدي محمد بن عبد السلام، سلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته. وبعد، يا إخواني فأجرنا وأجركم على الله في كل من مات منا ومنكم ومن عباد الله كلهم، وأوصيكم أن تترجلوا ولا تدهشوا أو تهتموا أو تغتموا أو تحزنوا، وعليكم بالصدقة والدعاء كل يوم وكل ليلة، لأن الصدقة تدفع البلاء وتشد سبعين بابا من الشر، والدعاء مخ العبادة، وفي القرآن ﴿ قُلْ مَا يَعْبَؤُاْ بِكُمْ رَبِّى لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ ﴾ [الفرقان: 77]، ولا بد ولا بد اعتنوا بالصدقة والدعاء كل يوم وكل ليلة ولا تهملوها، إذ لا شك أن من أهمل الصدقة والدعاء وما أمر الله به هو المهمول والمطرود والعياذ بالله، والسلام. وكتبه العربي بن أحمد الشريف الدرقاوي الحسني لطف الله به).

11- رسالة من الشيخ مولاي العربي الدرقاوي إلى كافة الإخوان في الله

(الحمد لله وحده صلى الله على من لا نبي بعده

إلى كافة من بأرض المغرب عمّرها الله من إخواننا في الله السادات الفقراء أهل الحواضر وأهل البوادي المتسببين والمتجردين، سلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد، يا إخواني فمَنْ شاء سلامة نفسه وسهولة أموره وستر عيبه وحياة قلبه فليستحي من ربه ولا ينحرف عن سنة نبيه صلى الله عليه وسلم، فكونوا على ما به أمركم الله، لا محيد لكم عن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإياكم والفضول، فإني سمعت عن بعض من بطنجة حرسها الله ما ضاق منه صدري وانقبض منه خاطري لما نعلم من قول الله تعالى ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [النور: 63]، ولا بد ولا بد تنبّهوا وانتهوا وأغلقوا باب

التهم كما قال صلى الله عليه وسلم، وقفوا عند الحدود، وأوفوا بالعهود، إذ لا خير إلا لمن أوفى بعهد الله وكان على سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهذا خبر معلوم، عند الخصوص والعموم، فهذا ما نقول لكم، وهو غاية نصحي لكم، والدين النصيحة، ولا خير في قوم لا يتناصحون ولا يقبلون النصيحة، ومن لم يقبل النصيحة، يخاف على نفسه الفضيحة، والسلام.

وكتبه العربي بن أحمد الشريف الدرقاوي لطف الله به آمين).

12- رسالة من الشيخ مولاي العربي الدرقاوي إلى سيدي محمد البقال

(الحمد لله وحده ولا يدوم إلا ملكه

سلالة الأولياء، ومعدن الأتقياء، الأخ الصالح، الشهير الواضح، سيدي محمد المرابط المفضل البقال، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وبعد، فالسادات الأجِلَّة، البدور الأهلة، أولاد البَقَّال، من حيث هم لهم فضل عنده على كثير من الزوايات، ونحبهم كثيرا، ونحب لهم ما نحب لأنفسنا كأسلافهم الذين تقدموا نفعنا الله وسائر المسلمين ببركاتهم آمين. وكيف يا أخ، وقد شاع في هذه الناحية أنك تقول للناس استعدوا للحرب والمخزن السلطان والقواد والأشياخ والجوار والأصول مقطوعة والديار محروقة، فإن كان الأمر كما نسمع فقد تعرضت للهلاك، اهربْ اهرب من مثل هذا ولا تقرب إليه، والنصيحة لله، الدين نصيحة، قال عليه السلام (رحم الله عبدا قال خيرا أو صمت)، وقال عليه السلام (مِنْ حسْن إسلام المرء تركُه ما لا يعنيه)، ونحب يا أخ أن تكتفي بعلم الله فيما أعطاك، ولا تحب أن تظهر، فإن من أحب الظهور فهو عبد الظهور، ومن كان عبد الخفاء فهو عبد الخفاء، ومن كان عبد الله فسَواءٌ أظهره أم أخفاه، ونسألك الدعاء الصالح ولا بد، لأن من مثلك مستجاب ومقبول غير مردود، والله يحفظ عقيدتنا في ربنا، ويزيدنا حبا في نبينا، والسلام، وفي رمضان المعظم عام 1230. وكتبه العربي بن أحمد الشريف الدرقاوي الحسني لطف الله به).

13- رسالة من الشيخ مولاي العربي الدرقاوي

(وبعد نحب إخواننا بارك الله فيهم أن يكونوا على منهاج رسول الله صلى الله عليه وسلم أي على سنته الشريفة، إذ كل من خالفها هلك، وكل من اتبعها نجا وسلك، ومن أعظم سنته صلى الله عليه وسلم ترك الدنيا وأهل الدنيا، إذ كل من تمسّك بالزهد فيها وفي أهلها أشرقت عليه أنوار، واستولت عليه أسرار، وصار من

المقربين الأخيار، مع قلة علمه وعمله، إذ الزهد فيها وفي أهلها هو عين العلم والعمل، والرغبة فيها وفي أهلها هو عين الجهل والضلال، فعلى هذا المنهاج الشريف، بُني أمر الطريق عند كل عالم وعارف، وإلا فلا علم ولا معرفة، أحبّ من أحبّ وكره من كره، إذ بالزهد فيها وقع الزهد في النفس، وبتركها وقع ترك النفس، وبإهانتها وقع إهانة النفس، وبذُلها وقع ذل النفس، وبسببها وقع التكبر والتجبر لعامة الناس وخاصتهم، وبسببها وقع الشح والبخل، وبسببها وقع العُجْب الذي هو أصل المسخ كله، وبسببها وقعت في النفس جميع الأوصاف الدنية، ولولا حبها وحب أهلها لبقيت النفس على عهدها القديم الذي كانت عليه في سابق الأزل، فاذكروا الله يا إخواني عند الفقر وعند الغنى، وعند الفقر أعظم، وعند الذل وعند العز، وعند الذل أعظم، وعند العطاء وعند المنع، وعند المنع أعظم، وعند المدح وعند الذم، وعند الذم أعظم، وعند المرض وعند الصحة، وعند المرض أعظم، وهكذا، إلا أن كثير الناس يظنون أنهم يذكرون الله تعالى ذكرا خالصا فإذا تقلبت عليهم الأحوال نسوا مولاهم، بسبب فقد هواهم، والرجل هو الذي يزيد حاله عند فقد شهوته الدنيوية وإلا فهو من الشمايت الكبار، اختبروا أحوالكم بهذا الاختبار، وزنوا على نفوسكم بهذا الميزان، إن كنتم صادقين في طلب مولاكم العزيز المنان، ونحن نحب إخواننا أن يُواصِلوا بعضهم بعضا، ويتواضعون لبعضهم بعضا، ويؤثرون بعضهم بعضا، كما كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وحال أهل الله جملة، والسلام).

14- رسالة من الشيخ مولاي العربي الدرقاوي إلى الإخوان الذين سُجنوا بتطوان لما كثر عليهم الإنكار من أهل الخذلان.

(بالثبات الثبات، والتجلد والصبر على البليّات، وكونوا عباد الله وقت هجم المخلوقات، ولا تعتمدوا على الأسباب وسلموا الأمر لله في كل الحالات، ولا تقفوا مع هم ولا هول ولا عادات، ولا تلتفتوا إلى أهل ولا حُكام ولا قضاة، وارفعوا همتكم لرب الأرضين والسماوات، وتمسّكوا بدين خالقكم، والزموا سنة نبيكم، واسلكوا منهاج أشياخكم، وحسِّنوا أخلاقكم، وكثروا من أذكاركم، واشتغلوا بعبادة مولاكم، وفرغوا فيها قلوبكم، وغيبوا عن تدبير أنفسكم، واسلكوا المنهاج، ولا تكثروا الهرج، ولا تتكلموا مع الناس باللجاج، وإياكم ومقالة الحلاَّج، وعليكم بالخمول، فهو مقر الوصول، والإخلاص فيه مكمول، وصراط الفحول، فمن أراد

النظرة الصافية، فليبعْ نفسه لله بالكلية، وليصبر على كل بلية، وينقطع إلى الله بإخلاص النية، ويتخلق بالأخلاق النبوية، ويتعلق بالسنة المحمدية، ويتخلص من الأوصاف الردية، ويتطهر من الأهواء النفسية، ومن الأشغال الدنيوية، ومن حَمية الجاهلية، ويثبت في طريقتنا هذه السنية، الموصلة إلى الحضرة الإلهية، واجعلوا أنفسكم أرضية، وقلوبكم سماوية، وأرواحكم علوية، وأسراركم قدوسية، وأفعالكم عبودية، وأقوالكم أذكارية، وأبدانكم أيوبية، وحالتكم إبراهيمية، وإيمانكم محمدية، ودعوتكم موساوية، وأحوالكم صوفية، وعلومكم ربانية، والحذر كل الحذر، من مرافقة البشر، ومن التعرض للضرر، ومن مخالطة أهل الكدر، ومن ضاق حاله في الحضر، فليعزم على السفر، ليكمل له الدواء المعتبر، ومن سكن حاله مع الله فليسكن تحت الخمول عن نظر، ويصبر تحت الأقدار، ويحمل الجفاء والضرر، ويسلك سبيل المهاجرين والأنصار، ويزين ظاهره بالسكينة والوقار، وباطنه بتجليات الأنوار. ومما نأمر به إخواننا أينما كانوا أصحاب المرقعات ألا يرجعوا للباس الثياب، بل يبقوا على ما هم عليه من الخراب، ويختفون في الكهوف حتى يظن الناس أنهم أموات، ويجتهدون في العبادات والرياضات، ويجاهدون أنفسهم بالجوع والسهر وتصفية النظر، حتى يشرق في سرّهم الشمس والقمر، ومن كان منهم متأهلا، فليسلك على ما كان عليه سهلا، حتى تزول هذه الحملة، ومن تزلزل أو تحوّل، أو حصَل له وقوف أو ملل، أو ظهر منه قوة الجُهَّال، فاتركوه سبيلا، واهجروه هجرا جميلا، وأعينوا بعضكم بعضا، وغضوا أبصاركم عن كل قبيح غضا، وارفضوا الدنيا من قلوبكم رفضا، واقبضوا في الله قبضا، وعضوا على طريقتكم عضا، سواء كانت حلوة أو مرة فإن العاقبة للمتقين، ومنتهى المراتب كمال اليقين، وأصفى المشارب شراب المحبين، والحمد لله رب العالمين).

15- رسالة من الشيخ مولاي العربي الدرقاوي، حين سُجن، أرسلها إلى الفقراء.

(إلى كافة إخواننا في الله، السادات الفقراء، سلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد، يا إخواني فالأمر لله لا لغيره، وما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، فلا يكدركُم ما أصابنا، ولا بد ولا بد، إذ لم يصبنا إلا ما أصاب ساداتنا الذين هم عند الله أعظم قدرا منا ومن غيرنا وهم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام والأولياء رضي

الله تعالى عنهم، ولو أصابنا يا إخواني ويا أهل محبتي جميعا ما لم يصبهم لتكدرنا واهتممنا واغتممنا وتروعنا وخفنا، وحيث لم يصبنا إلا ما أصابهم فرحنا وسررنا وانبسطنا وذهب البأس عنا، والله على ما نقول وكيل.

واعلموا رحمكم الله أن لنا من علم ساداتنا وهم أشياخنا ما وسَّع الله به ضيقنا، أو ما شرح الله به صدورنا، أو ما قوَّى الله به ضعفنا، أو ما بدَّل الله به الكدر بالصفاء الكبير، والله على ما نقول وكيل.

وأوصيكم كل الوصية، أن تثبتوا على السنة المحمدية، التي هي الحصن المانع من كل بلية، التي هي سفينة النجاة، ومعدن الأسرار والخيرات، وأن لا تزحزحوا عنها إلى غيرها كل وقت وحين، إلى أن يأتيكم اليقين.

وأوصيكم كل الوصية، أن تستحضروا قول الله عز وجل ﴿ إِن يَمۡسَسۡكُمۡ قَرۡحٞ فَقَدۡ مَسَّ ٱلۡقَوۡمَ قَرۡحٞ مِّثۡلُهُۥۚ ﴾ [آل عمران: 140] وقوله تعالى: ﴿ أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ ﴾ [البقرة: 214] الآية، وقوله تعالى: ﴿ أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَعۡلَمِ ٱللَّهُ ﴾ [آل عمران: 142] الآية، وقوله ليس البر- إلى قوله- المتقون، وأن تستحضروا أيضا كلام أهل الطريقة وهم شيوخنا وشيوخ غيرنا، رضي الله عنهم دنيا وأخرى، وقد قالوا: (عند تقلبات الأحوال تعرف الرجال من الرجال)، و(عند الامتحان يُعز المرء أو يُهان)، وقالوا (من ادَّعى شهود الجمال قبل تأدبه بالجلال فارفضه فإنه دجال)، وقال صلى الله عليه وسلم لرجل من الصحابة- والله أعلم-: هل استويتَ قال: وكيف أستوي يا رسول الله؟ قال: أن يستوي عندك العطاء والمنع والعز والذل والغنى والفقر والحياة والموت والعلو والدنو، وهكذا.

قلت والصوفي يا إخواني حقيقة من لا يستوحش من فقد شيء من الأشياء جليلا كان أم حقيرا، فهذا قولنا لا قول غيرنا، واسمعوا جواب ولي الله تعالى محمد بن أبي زيان نفعنا الله ببركاته لمن قال له الله يخلف الإبل قال له رضي الله عنه: الحمد لله ما ذهب لنا ظهرا ولا عصرا، والذي قال أيضا لمن قال له السلطان امتحن سيدي فلان وسيدي فلان وأخذ متاعهما إذا نخاف منه قال: إنما الخشية من الله فالماء والقبلة لا يقدر أحد على نزعهما والباقي متروك لمن طلبه، إلى غير هذا مما لأهل اليقين الكبير، رضي الله عنهم ونفعنا وإياكم ببركاتهم، ونؤكد عليكم أن لا تهملوا الصدقة كل يوم وليلة ولو بشق تمرة، وكذلك الدعاء إذ هو مخ العبادة، وفي

القرآن العظيم ﴿ قُلْ مَا يَعْبَؤُا بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ ﴾ [الفرقان: 77].

وأوصيكم أن تذهبوا حيث شئتم، أي كل واحد يذهب إلى مكانه، ولا بد ولا بد، ونحن في يد الله، وهو لا يفعل بنا وبكم وبسائر عباده إلا خيرا، والسلام.

وكتبه العربي بن أحمد الشريف الدرقاوي لطف الله به).

16- رسالة من الشيخ مولاي العربي الدرقاوي، سمَّاها «المذاكرة القلبية في الطريقة الخفية».

(الحمد لله الذي جذب قلوب أوليائه واصطفاهم، وقرَّب منزلهم لديه واجتباهم، وجذبهم عن غيره، وأشغلهم بخدمته، فهم ممتثلون لأمره، مجتنبون لنهيه، سلك بهم أحسن المسالك، ووقاهم من طريق المهالك.

وصلى الله على سيدنا محمد الذي من أجْله تنوروا، وبه صلحت سجاياهم وائتمروا، وعلى آله وأصحابه المتبعين لـهَدْيِه، المجازين له عن أحْسن ما أتاهم به عن ربه، بكل حمد وثناء جميل، ووقار وبذل أنفسهم والمال الجزيل.

وبعد، فإني تذاكرت مع بعض العُلَما، في شأن طريقتنا الوسما، واستشعرت منه بعض الإنكار، في تجردنا كلنا ومخالفتنا لأهل الدنيا في اللباس والمأكل والفرار، فأردت أن أرده إلى الحق بإشارة لطيفة، وقول فصل محق وجعلت ذلك تأليفا، أنسا لمن توحشت عليه الطريقة وتأليفا، وسمَّيته "المذاكرة القلبية في الطريقة الخفية"، فأقول وبالله أستعين:

التجريد الذي رأيتنا عليه كلنا، وتوهَّم لك أن الصواب هو أن يكون كل واحد على حالة وإذا اتفق لبعض فلا بأس ولا يكون اتفاقنا صوابا إذ الناس مختلفون في الأمراض فلا تكون أدويتهم متفقة إلا إذا اتفقوا في الأمراض.

اعلم يا سيدي أن التجريد الذي رأيتنا عليه، هو عند جميع من يعرفه بمنزلة الإكسير الذي قيراط منه يقلب الخافقين، فلا يكرهه أحد إلا إذا لم يجده، ولو عرفتَه لتمنيته على الله أن لو كان الناس كلهم عليه، إذ هو كما وصفنا، وهو همة عالية كما قال ابن عطاء الله في حكَمه (وإرادتك الأسباب مع إقامة الله إياك في التجريد انحطاط عن الهمة العالية). قلتُ وهو الطابع لأهل الكمال، وما ظهر لسيدنا أن الاتفاق عليه خِطاء إلا لقلة أهله في الوجود، وما قلّ أهله في الوجود إلا لصعوبته على النفوس، إذ هو الإخلاص بعينه عند من عرفه، والإخلاص عزيز في

الوجود أعز من الكبريت الأحمر إذ هو صعب على النفوس، قيل لسهل بن عبد الله: أي شيء أشد على النفوس؟ قال: الإخلاص لأنه ليس لها فيه نصيب.

قلت ولا يقدر عليه إلا من قواه الله وقربه الله وأحبه الله واختاره الله وأخذه إليه ولم يتركه لغيره، كما أخذ أبا يعزى وسيدي عبد السلام بن مشيش وسيدي أوَيْس القرني، رضي الله عنهم، كلهم كانوا على التجريد. مولاي عبد السلام ترك الدنيا كلها ولم يأخذ منها إلا ما لا يقال فيه أنه أخذ وهو جلابة من شرك التوت وشاشية من ابَرْدي وهو الذي يكون به الوقيد، وسيدي أبي يعزى كان يلبس الحصير حتى اشتهر به وكان يُدعى أبا الحصير، وسيدي أوَيْس خبره معلوم إذ النبي صلى الله عليه وسلم أخبر به وبأحواله المرضية، وعند أهل المعرفة لم يمدح النبي صلى الله عليه وسلم أحوال أويس فقط بل كل من كان مثله حالا ومقالا، وما تجرد ساداتنا أهل التجريد حتى شاهدوا حالَ رسول الله صلى الله عليه وسلم وحالَ كل من أخذ الله بيده من الأنبياء والأولياء عيانا، واللهِ ما تخلقوا بأحوال التجريد حتى فنوا في حال النبي صلى الله عليه وسلم وهم ينظرون إليه، ومن عرف الحق أنكر الباطل، ومن أحب الآجل بغض العاجل، فافهمني يا سيدي وقل الحق ولا تستحي والله لا يستحي من الحق.

وإن قلتَ مولاي عبد السلام وإخوانه أهل التجريد كانوا في الخلوات. قلتُ نعم كانوا في الخلوات وكانوا في العمارات، والذي في العمارات في وسط أهل العوائد وقد خرقوا عوائد نفوسهم فهو أشرف وأقوى حالا من الذين في الخلوات، فافهمني يا سيدي وقل الحق ولا تستحي والله لا يستحي من الحق.

وإن قلتَ مولاي عبد السلام وإخوانه أهل التجريد كانوا شيء، والناسُ اليومَ شيء، تعني فضيلتهم على ما ترى في الزمان.

قلنا فضيلتهم وفضيلة غيرهم من الأولياء المنتسبين ما عندنا ما نقول فيها رغما على أنفنا أنهم أولياء الله، وأولياء الله لقمة أكبر من الفم، ولكن لكل وقت رجال، وهذا خبر معلوم.

وإن قلتَ لنا لكل وقت دولة ورجال، ولكن تلبس علينا الأمر من كثرة الدعاوي فلم نعرف الحق من الباطل.

قلنا من أراد أن يعرف الحق من الباطل فليحسن ظنه بالله وبعباد الله ولا يسوءه قط، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (خصلتان ليس فوقهما شيءٌ من

الخير: حسن الظن بالله وحسن الظن بعباد الله). قلتُ والله ما ربح من ربح من أول الدنيا إلى آخرها إلا بالنية الصالحة والظن الحسن، وما خسر من خسر من أول الدنيا إلى آخرها إلا بالنية الفاسدة والظن السوء. صاحب النية الصالحة والظن الحسن يربح في مواضع الخسران، فما بالك بمواضع الربح، وصاحب النية الفاسدة والظن السوء يخسر ويُطرد ولو كان في حجر رسول الله صلى الله عليه وسلم، فافهمني يا سيدي، وقل الحق، ولا تستحي، والله لا يستحي من الحق.

وإن قلتَ يا سيدي كما يقول من عجز عن التجريد ولم يقدر على قتل نفسه من كثير ممن يخوض في علم التصوف في وقتنا هذا، هل لا طريق إلى الله إلا من التجريد؟

قلتُ نعم لا طريق إلى الله إلا من التجريد، إذ الطرق كلها ترجع إليه، فلا يدخل على الله إلا منه، ولا يدخل من غيره قط، ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [الأنعام: 94].

فإن قلتَ: وهل التجريد لا يكون إلا بتجريد الظاهر؟

قلتُ نعم لا بد من تجريد الظاهر والباطن.

فإن قلتَ: إذا تجرد القلب يكفي، ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ﴾ [الحج: 46]، وفي الخبر (إن الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أجسامكم ولكن ينظر إلى قلوبكم)، فكيف نفتقر إلى تجريد الظاهر؟

قلتُ: إذا سكن التجريد القلبَ سكن الجوارح، وإذا سكن الجوارح سكن القلب، ولا يمكن أن يسكن في جهة دون أخرى، فمهما حصل في الظاهر حصل في الباطن، ومهما حصل في الباطن حصل في الظاهر، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح سائر الجسد، وإذا فسدت فسد سائر الجسد، ألا وهي القلب)، وقال صلى الله عليه وسلم (لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه)، وقال ابن عطاء الله (ما استودع في غيب السرائر ظهر في شهادة الجوارح)، وكل إناء بالذي فيه يرشح، وما تنطق الأواني إلا بما سكن: يعني بلسان حالها وهو أفصح من لسان المقال، ولا شك أن الظواهر هي التي تصدق البواطن وتكذبها، إذ لا تستقر الظواهر إلا فيما تستقر البواطن، إذ البواطن أصول، والظواهر فروع، وإن كانت البواطن مجذوبة كانت الظواهر كذلك، وإن كانت البواطن سالكة كانت الظواهر كذلك، وإن كانت أخروية كانت الظواهر كذلك، وإن كانت دنيوية

كانت الظواهر كذلك، وإلا يصدق عليها قول الله عز وجل ﴿ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٣ ﴾ [الصف: 3] وقوله تعالى: ﴿ يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ﴾ [آل عمران: 167] وغير ذلك، وقد تكلم الشيخ سيدي علي رضي الله عنه هنا أي في التجريد الذي نقول فقال رضي الله عنه: اعلم أن التجريد هو التجريد من الدنيا حسّا لا معنى، لأن التجريد معنى لا يحصل نفعه حتى يحصل التجريد الحسي، وإن حصل التجريد المعنوي لا يُعبَئُ به ولا فائدة فيه ولا يلتفت إليه ولا يحكم به، إلا إذا ظهر الحسي، (أمِرْتُ أن أحكم بالظواهر والله يتولى السرائر)، لأن الظواهر هي التي تثبت وهي التي تنفي، ومن لم يثبت له في الظاهر شيء فليس بشيء، وإن كان الباطن هو أساس الظاهر وعليه بني- انتهى كلامه. وقال الشيخ سيدي أبو مدين الغوث رضي الله عنه: إذا رأيتَ من يدَّعي مع الله حالا وليس على ظاهره منها شاهدا فاحذره- انتهى كلامه. وانظر يا سيدي لو كانت المعنى تقبض بدون الحس لكفانا الاعتقاد بالقلب دون النطق بالشهادتين، وحيث كان لا يكفي الاعتقاد بالقلب أمرنا بالنطق بالشهادتين باللسان وأمرنا بالصلاة والصوم والزكاة والحج وغير ذلك من الأعمال الحسية التي أتانا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الله، فافهمني يا سيدي، وقل الحق، ولا تستحي، والله لا يستحي من الحق.

وإن قلتَ: الله تعالى يجرد قلوب أوليائه من سواه ويقويهم على أن يخرجوا جذبهم إلى الظاهر وأنتم ضعفاء لم تقدروا على ذلك أخرجتم الجذب إلى الظاهر لشدة ضعفكم.

قلتُ: لم نكن أنا ولا أنت ولا من مات قبلنا ولا من يأت بعدنا ولا من معنا في وقت أعظم من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا من الصحابة رضي الله عنهم، ومع ذلك لما أخلى الله قلوبهم من غيره أخلى حتى جوارهم الظاهرة غيرةً منه عليها لئلا تأخذها الدنيا كما أخذتنا، كانوا رضي الله عنهم لا يدخرون شيئا من الدنيا وإنما يسترون أبدانهم المستورة بالله بما تيسر ولا يختارون، ويتعشون ولا يتركون شيئا للغذاء، ويتغذون ولا يتركون شيئا للعشاء، وهذا دأبهم رضي الله عنهم، وإذا جاءهم شيء من الدنيا بعد ذلك كانوا يتصدقون به ولا يدخرونه، وكانوا يسْمحون في أنفسهم ويعطون لغيرهم، ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ

شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [الحشر: 9]، وهذا هو التجريد، وهذا هو الفناء الذي هو عين البقاء، كان في ظواهرهم رضي الله عنهم كما كان في بواطنهم.

فإن قلت: إذا كانت الدنيا في اليد ولم تكن في القلب فلا تضر، إذ الصحابة رضي الله عنهم كانوا كذلك كسيدنا عبد الرحمان بن عوف وغيره.

قلت نعمْ كانت في يد بعضهم، ولكن كالجمرة مهما دخلت في يد أحدهم رماها ولم يتركها في يده ولو ساعة ثقة منهم بالله عز وجل، ولم تكن لها قيمة عندهم، الذهب والحجر سواء لا فرق بينهما، إذ هم رضي الله عنهم لا يشاهدون قدرا دون قدر مولاهم، فهؤلاء لا تضرهم أبدا، وغيرهم يا سيدي تهلكهم كما ترى، وقد قال الشيخ رضي الله عنه: الفقير الصادق هو الذي لا يجد عدوه سبيلا إلى الوصول لإذايته، هذه علامته أنه يكون دائما لا شغل له إلا حبيبه، واشتغاله بحبيبه يحجبه عن عدوه، والحبيب مع العدو مثل الليل مع النهار لا يجتمعان أبدا- انتهى كلامه، وهو موافق لنسجنا، ولا شك أن التجريد إذا حصل للمريد حصل له الإخلاص، وإذا لم يحصل له التجريد لم يحصل له الإخلاص، إذ التجريد خراب، والخراب إذا لم يظهر في كلية العبد فهو باق في حالة الطفولية، ولا يرشد حتى يظهر الخراب في كليته كما ظهر في كلية ساداتنا المذكورين وغيرهم، هذا هو الحق، وغيره هو الباطل، إذ النور إذا دخل صميم القلب وسُويداءه خرج منه كل شيء، وإذا خرج من القلب كل شيء فكيف لا يتخرب الظاهر أو كيف لا يتجرد الظاهر من كل شيء. الوارد يأتي من حضرة قهار، من أجل ذلك لا يُصادمه شيء إلا دمغه، ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ﴾ [الأنبياء: 18]، متى وردت الواردات الإلهية إليك هدمت العوائد عليك، ﴿ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾ [النمل: 34]، ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾ ﴾ [الإسراء: 81]. ويا عجبا نبينا صلى الله عليه وسلم يقول بلسان حاله ومقاله على الدوام: الخراب الخَراب الخراب، مات ولم يضع لبنة على أخرى، وعلماؤنا وأهل وقتنا يقولون: البنيان البنْيان البنيان عكسَ النبي صلى الله عليه وسلم، وقلَّ من سكت ولم يقل البنيان، فاهرب يا سيدي ممن يحب الدنيا ويقول البنيان ولا تقرب منه، ولو كان أباك أو أخاك أو ولدك ولو كان شيخك، إذ الكتاب والسنة لا يقولان إلا الله وشيء خفيف من الأسباب، ولا أرى

في زماننا والعياذ بالله إلا الجري على الدنيا، وقلَّ من نجى كما ذكرنا، فانتبه يا سيدي إلى السنة أين هي واقربْ منها وحدك ومع الناس، وانتبهْ إلى البدعة أين هي وابعدْ منها وحدك ومع الناس. اللهم أرنا الحق حقا وأعنا على إتباعه، وأرنا الباطل باطلا وأعنا على اجتنابه، ﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴾ [الكهف: 10]، ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ۝ ﴾ [آل عمران: 8].

وقد قلتَ يا سيدي ما عندكم أوراد كما عند الناس وتركتم التلاوة وكلكم تعرفون القرآن وتركتم أذكار ونوافل الخيرات الصلوات وغير ذلك من النُسك وحتى الفرائض فلا تقومون بها كالناس إنما تصلون وحدكم أي وقت تيسر لكم وقيل لا تصلون بالكلية.

اعلم يا سيدي أن الجواب على النوافل تفهمه من الكلام على التجريد أعلاه إذا تأملت وأنصفت، وإلا فلا، ولنا جواب بالغ على ذلك إن شاء الله ولنذكر منه ما تيسر وهو يكفي إن شاء الله إذ هو واضح لا يرده عارف قط، وهو يا سيدي قال بعض الصحابة رضي الله عنهم تابَعْنا الأعمال كلها فلم نر في أمر الآخرة أبلغ من الزهد في الدنيا، وقد ظهر لنا شيء مما ظهر لهم ولله الحمد، فلذلك تخربنا مما رأيت اعتناء أو نقول اغتناء منا بما لم تر أخذنا عنا رغما على أنفنا، وقد أخذ خلقا كثيرا من أول الدنيا إلى آخرها، فلا تستغرب حال من يُحجَب بالحقيقة عن الشريعة، إذ الدنيا عامرة بالمجاذيب لا يصلون ولا يصومون ولا يزكون ولا يحجون ولا يتكلفون بشيء، والأمر واضح، سيما ليس فينا من تهتك كما ذكرنا وذلك لكمال شيخنا رضي الله عنه كان يردّنا إلى السلوك لا لنقصان حالنا في الجذب، وكلام النية قصير، وقد كتبت لبعض الإخوان قلتُ له فيه اعلم يا أخي أن الطريق إلى الاستقامة التي كان عليها الكبار من أولياء الله هي القناعة من الدنيا مما تيسّر والهروب من أهل الغفلة على الدوام بعد الفريضة المفروضة وهي لا تخفى على سيدنا. هذا ما عندنا من النظر، فالرّجلة يا سيدي فيه، والله يعينك عليه، وإياك أن تتعب نفسك في غيره، والله يا سيدي ما نفعنا كثرة الاجتهاد في الأعمال مع الرغبة في الدنيا والاستئناس بالناس، قرأنا كثيرا وصلينا كثيرا وصُمنا كثيرا وحبسنا ألسنتنا عن ذكر ما لا يعنينا كثيرا، ولم ينفعنا شيء من ذلك حتى انتبهنا للعلة الباطنة التي هي الرغبة في الدنيا والأنس بالخلق، فقصرنا بتوفيق من الله، فظهر لنا سر التقصير

في الحين، وشهدنا بركة ذلك عيانا والحمد لله. هذا ما قلتُ لك يا سيدي وهو حق لا خفاء فيه، إذ لا شيء يشهد لنا بمحبة الله الصادقة مثل الزهد في الدنيا والوحشة من الناس، فمن فرَّ من هذا فهو محب صادق، ومن لا فلا، إذ لا يصدق محبة الله إلا محبة الرسول صلى الله عليه وسلم، ولا يصدق محبة الرسول إلا إتباع السنة التي هي الزهد في الدنيا والوحشة من الناس على الدوام، ﴿ وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ۝٢٨ وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ ﴾ [الكهف: 28]، ﴿ فَأَعۡرِضۡ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكۡرِنَا وَلَمۡ يُرِدۡ إِلَّا ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ۝٢٩ ﴾ [النجم: 29].

ولنجاوبك يا سيدي على ترك النوافل الذي رأيتنا عليه جوابا آخر، وهو يا سيدي نوافلُنا وإن شئت قلت أورادنا وإن شئت قلت أسبابنا أسباب غريبة قريبة شريفة لطيفة دقيقة لا يعقلها إلا أهل الذوق الصريح أهل الفهم عن الله، وهي يا سيدي أسباب قاطعة ماضية تقرب من الحق وتبعد من الخلق، إن الذي تكرهون مني ذلك الذي يشتهيه قلبي، بخلاف الأسباب غيرها فمهما تمسكت بها وشاهدك الناس متمسكا بها جاؤوك كلهم، وإذا جاؤوك فتنوك، ألا تراهم إذا أقبلوا فتنوا، ولا نردها أي الأسباب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الله لكن أسبابنا حتى هي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي يا سيدي صعبة على النفوس مختارة لذبح النفوس في رمشة عيْن إن حضر الصدق، ولا يقدر عليها إلا من كان قويا عند الله في سابق الأزل وعليها مدارنا ومدار من سبقنا، كسيدي أحمد بن يوسف الملياني الذي ذبح نفوس أصحابه رضي الله عنهم بغير صلاة ولا صيام ولا تلاوة ولا ذكر ولا سهر ولا غير ذلك من سائر الأعمال المرضية أو تقول الشرعية، كما ذبح سيدي عبد الله التاودي نفس صاحبه البرذاعي، والغزالي مذبوح، والششتري مذبوح، وسيدي علي مذبوح شيخنا، وأنا مذبوح، ومن تعلق بي كله مذبوح، رضي الله عنا وعن ساداتنا أجمعين.

ولنجاوبك يا سيدي جوابا آخر وهو: قال الشعراني رضي الله عنه في العهود: وقد كان الشيخ عز الدين بن عبد السلام رضي الله عنه يقول وهل ثم طريقٌ غير ما فهمناه من الكتاب والسنة وينفي طريق القوم، فلما اجتمع بسيدي أبي الحسن

الشاذلي وأخذ عنه صار يقول والله ما قعد على قواعد الشريعة التي لا تنهدم إلا الصوفية، إلى أن قال وكذلك بلغنا عن الغزالي قبل اجتماعه بشيخه.

قلتُ: وقد جاز على غير الطريق المعروفة عند عامة الناس خلق كثير، ﴿ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴾ [الأنعام: 89].

ولنجاوبك يا سيدي جوابا آخر وهو أن الشوق يُوصل إلى الله بالطريق وبلا طريق رغما على أنف كل أحد.

ولنجاوبك يا سيدي جوابا آخر وهو: طريقنا باطنية والمدار عند أهل الباطن على النظرة، وطريق غيرنا ظاهرية والمدار عند أهل الظاهر على الخدمة، وقد قلتُ لك في القرويين مرارا أن النظرة والخدمة لا تجتمعان إلا في رجل على قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو غريب في الوجود، إذ النظرة ضد الخدمة، والضدان لا يجتمعان، قال الله عز وجل ﴿ وَلَن تَسْتَطِيعُوٓا۟ أَن تَعْدِلُوا۟ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ۖ فَلَا تَمِيلُوا۟ كُلَّ ٱلْمَيْلِ ﴾ [النساء: 129].

وأما ترك الصلاة بالكلية الذي توهّم لك فينا، فأما أنا لا أتركها ولا أعلم من تركها من أهل ناحيتنا، ولا أرى إخواننا الملازمين لنا إلا في الصلاة على الدوام، إذ الصلاة صورة وروحُها الحضور، والحضور عند إخواننا مؤبد، إذ لا حائل بينهم وبينه، تركوا أنفسهم أولا ثم زادوا عليها ترك الدنيا ثم زادوا الهروب من الدنيا، عيّبوا أنفسهم وإن شئت قلت غيّروا هيئتهم بين الناس فنفروا منهم، وهي حكمة كبيرة، وأخذوا ذلك من كتاب الله عز وجل، قال الله عز وجل ﴿ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا ﴾ [الكهف: 79] أي السفينة، وقال تعالى ﴿ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ ۖ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴾ [طه: 12]، وأخذوا ذلك من وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم لحال أويس القرني وأمثاله الذي هو (رُبَّ أشعث أغبر ذي طمريْن تنبو عنه أعين الناس لو أقسم على الله لأبرّه).

قلتُ: ولا يمكن أن يستشرف أحد على حضرة الله ويبقى على هيئته كائنا ما كان نبيا أو وليا، لا بد له أن يتواضع، أو نقول يخضع لعظمة الله، ﴿ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ ﴾ [الأعراف: 143]، وانظر يا سيدي كيف اعتزل إخواننا عن الخلق وهم معهم على الدوام، ﴿ وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ

إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓاْ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ﴿١٦﴾ ﴾ [الكهف: 16]، ﴿ فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾ وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٥٠﴾ ﴾ [مريم: 49 - 50]، ﴿ فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِى رَبِّى حُكْمًا وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢١﴾ ﴾ [الشعراء: 21]، ﴿ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾ [الشعراء: 77].

والله يا سيدي ما غَنىَّ عليها وأكلها في وقتنا هذا مما أعلم إلا إخواننا الملازمين لها، وأما غيرهم يغني عليها ولا يأكلها كالحَلوي في أزقة المدينة، ﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ ﴾ [الكهف: 29]. إخواننا يا سيدي سكارى حيارى واقفون ببابه، وغيرهم فيما أعلم يتكلم على خرق العوائد وهو ساكن في العوائد لا يتحرك، أو نقول يشير إلى الحق وهو ساكن إلى الخلق، أو نقول يشير إلى الحق وهو ساكن إلى الباطل، أو نقول يشير إلى الآخرة وهو ساكن إلى الدنيا، أو نقول يشير إلى الرحمن وهو ساكن إلى الأكوان، أو نقول يشير إلى مولاه وهو ساكن إلى هواه، وقد كتب الجُنَيْد إلى بعض إخوانه: مَنْ أشار إلى الله وسكن إلى غيره ابتلاه الله وحجب ذكره عن قلبه وأجراه على لسانه، فإن انتبه وانقطع عما سكن إليه ورجع إلى ما أشار إليه كشف الله ما به من المحن والبلوى، وإن دام على سكونه نزع الله من قلوب الخلق الرحمة عليه وألبسه لباس الطمع فيزداد رغبة فيهم مع فقدان الرحمة من قلوبهم، فتصير حياته عجزا وموته كمدا ومعاده أسفا، ونعوذ بالله من السكون لغيره. قلتُ قال الله عز وجل ﴿ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۖ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الأنعام: 54] وقال سبحانه ﴿ فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٩﴾ ﴾ [المائدة: 39] إلى غير ذلك من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، ولا يستبعد التوبة إلا جاهل، قال ابن عطاء الله (ما توقف مطلبٌ أنت طالبه بربك، ولا تيسر مطلب أنت طالبه بنفسك) وقال أيضا (لا نهاية لمذامك إن أرجعك إليك، ولا تفرغ مدائحك إن أظهر جوده عليك)، وقال آخر: إذا كنا به تهنا دلالا على سائر الحرائر والعبيد، وإن نحن عدنا إلى أنفسنا يشبه ذلنا ذل اليهود.

اللهم من رفع كتابنا هذا وأعزّه ودعا لصاحبه وأشياخه وإخوانه وأولاده

والمسلمين أجمعين فأعطه يا رب خير الدارين ولا تحاسبه ولا تعاقبه. انتهى على يد مؤلفه أفقر الورى إلى رحمة مولاه العربي بن أحمد الشريف الدرقاوي الحسني، وكان الفراغ منه وقت الزوال من اليوم الرابع والعشرين من رمضان المعظم عام 1212).

فهرس المحتويات